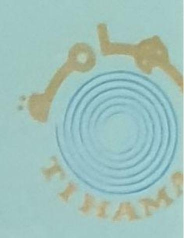
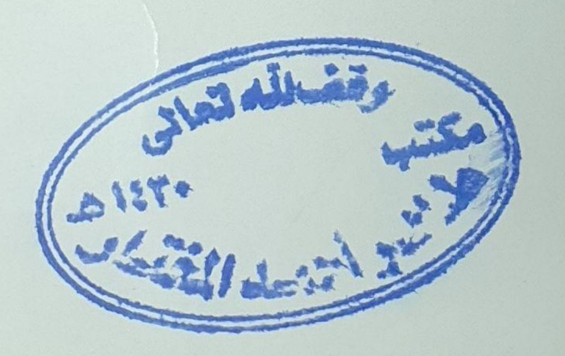


الكتاب العربي السعودي ٧٤

حسين عبد الله باسلامه

خلافة أبي بكر الصديق



الطبعة الأولى
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
جدة - المملكة العربية السعودية

الكتاب العربي السعودي ٧٤

حسين عبد الله باسلامه

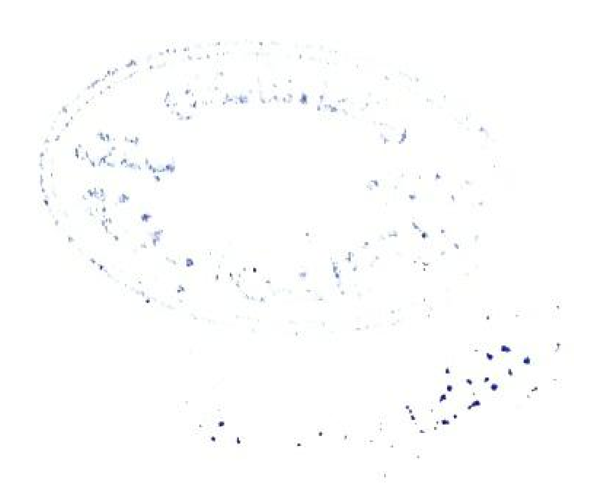
خلافة أبي بكر الصديق

الطبعة الأولى
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
جدة - المملكة العربية السعودية





بسم الله الرحمن الرحيم





الناشر





خلافة
أبي بكر الصديق

مقدمة

كتب مؤلف هذا الكتاب .. حسين عبد الله باسلامه المكي ـ رحمه الله ـ للتأريخ .. وفى التأريخ الكثير ! .. أرَّخ للمكان .. والزمان ! .. كتب تأريخ الكعبة المعظمة ـ عمارتها وكسوتها وسدانتها ! .. وعن تأريخ عمارة المسجد الحرام ومقام ابراهيم وبئر زمزم .. وكتب عن الاعلام كالإمام الشافعى رحمه الله ! .. واهم من ذلك كتب عن (سيد) من احتلت اسماؤهم صفحات التأريخ بل عن سيد البشر وسيد العرب والعجم .. كتب عن حياة محمد (ﷺ) كتب محمد ، تلك السيرة العطره ، أربعة مجلدات !؟ .. ولم يوفها حقها ! .. كما قال .. ووفقه الله فقام بطبعها على نفقته الخاصة .. طباعة جميلة أنيقة داخل المملكة وفى جدة عام ١٣٥٣ هـ .. واستمر مواصلة رحلته فى التأريخ فكتب عن سير الخلفاء الراشدين ! .. يوفيهم بعض حقهم ! ..

لكن المنية .. أو ربما ـ كما تقول الوالدة ـ المادة حالت دون طباعة تأريخ الخلفاء الراشدين فبقيت (اربع) مخطوطات ! .. تتناقلها الاسرة من (دولاب) الى آخر ومن صندوق الى خزانة ! .. مجموعة من الورق الاصفر ! .. الى ان وفق الله المرحوم الشيخ عمر عبد الجبار فطلب ان يواصل طباعتها مع ما طبع على نفقته من كتب الوالد (حسين باسلامه) ! فطلب

منى ان أودع المخطوطات لدى احدى الشخصيات الاسلامية السعودية التى كانت تقيم فى القاهرة ! .. ليتولى الاشراف على طباعتها ! ..

وتمر الايام وتمضى الشهور .. وتتبدل الاحوال ولم تطبع المخطوطات التى حوت سير الخلفاء الراشدين .. ابو بكر وعمر وعثمان وعلى - رضى الله عنهم - ! . وبحثت عنها ! .. فعلمت انها فقدت !؟! تأثرت !. وشعرت العائلة بالحزن على الجهد .. على العالم ، على ضياع كفاح المرحوم وسهره الليل الطويل يجمع اشتات التأريخ من امهات المصادر !.

وفى يوم - كانت المفاجأة .. احضر لى الشيخ عبد الله عبد الجبار ما أمكنه العثور عليه من نسخ المخطوطات !. هذه النسخة فقط !. حياة وتأريخ خلافة أبى بكر الصديق !؟ ..

ولى أمل وكلى رجاء والأسرة كلها تواصل الدعاء بان نجد النسخ الأخرى من المخطوطات !. لكى ندفع بها الى النور ! .. الى الحق الى كل من اراد ان يعيش فى عبق السيرة النبوية الشريفة وسير الصحابه الكرام ! .. الذين بهم نعتز اليوم كأمة اسلامية لها كيان وماض وتأريخ .. ومكانها فى الدنيا والآخرة خير مكان باذن الله ..

ابن المؤلف

الدكتور عبد الله حسين باسلامه المكى
استاذ بكلية الطب جامعة الملك عبد العزيز
جدة - فى ١/ شوال /١٤٠٢ هـ
الموافق ٢١/ يوليو /١٩٨٢ م

مقدمة

الحمد لله الواحد الاحد الفرد الصمد ، الذى لم يلد ، ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، مالك الملك ذي الجلال والاكرام ، الذى يؤتى الملك لمن يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، بيده الملك وهو على كل شيء قدير .. والصلاة والسلام على سيد العرب الذى جاء بالهدى ودين الحق ، والحكمة وفصل الخطاب ، وعلى آله وصحبه الذين جاهدوا فى الله حق جهاده ، وقاموا بإعلاء كلمة الله ، ونشروا الاسلام فى أنحاء العالم من بعده ، خليفة بعد خليفة ، حتى وطدوا أركانه ، وشيدوا بنيانه ، وأعلوا مناره .

اما بعد فقد منّ الله سبحانه وتعالى على باتمام القسم الاول من كتاب (حياة سيد العرب .. وتاريخ النهضة الاسلامية مع العلم والمدنية) وانى سأقوم بعونه الله تعالى على تدوين القسم الثانى الذى يشتمل على تاريخ الخلفاء الأربعة ، وما وقع فى عصرهم السعيد ، من توطيد أركان الإسلام ، وتشييد دعائم العلم ، والمدنية ، والعمران والحضارة فى أنحاء الكرة الأرضية على الأساس الذى وضعه سيد العرب ﷺ . ولم آل جهدا فى تتبع أعمالهم المجيدة التى قاموا بها فى الفتح من حروب ، وسياسة ، وعلم ، ومدنية ، وعمران ، وحضارة ، وتمصير الأمصار ، وتشيد الزراعة والصناعة ، حتى اصبح العالم الاسلامى بفضل مساعيهم ، وحسن ادارتهم ، فى أعظم سعادة وأعلى مجد ، واقوى شكيمة ، من سائر الامم المعاصرة لهم ، بل صار هو المعلم لسائر الامم ـ وبالاخص اوروبا ـ كافة الفنون والمعارف .

ولما رأيت ان التاريخ الاسلامى كاد يضمحل فى المختصرات التى اصدرها المتأخرون من المؤرخين خشيت ان تمادى الحال على ذلك يضيع التاريخ الاسلامى ويضمحل فى تلك المختصرات ، كما ضاع واضمحل غيره من العلوم الاسلامية فقد عزمت على تدوين ما صححه جهابذة الاسلام من تلك الحوادث التى وقعت فى عصر الخلفاء الراشدين ائمة

الهدى ، متتبعا فى ذلك اصح المصادر وانقاها ، وسأسلك فى تدوينه وترتيبه وتحليل القضايا ، ما سلكته فى تأليف القسم الاول من حياة سيد العرب ﷺ من التسلسل والترتيب العصرى لكى يتم للقارىء ما يرجوه من الوقوف على ماضى الاسلام وعظمته ، وجلاله ، وقوته ومنعته ، وحسن نظامه ، وعدله ، ومساواته بين افراد الامة ، وحريته التى هى مثال الفضيلة . والله اسأل ان يرشدنى الى الصواب ، ويبعدنى عن الخطأ والزلل ، ويهدينى وعموم المسلمين الى صراطه المستقيم ، انه بالاجابة جدير ولما يشاء قدير .

المؤلف

منشأ التاريخ في العالم

ان من انفس العلوم واعظمها قدرا ، واجل الفنون التى تتغذى بها ارواح المفكرين من اصناف البشر ، وترتوى منها قلوب ذوى الالباب المتعطشة الى التطلع على حوادث الدهر وتقلبات الازمان وتطور العالم والامم ، منذ خلق الله السموات والارض جيلا بعد جيل ودهرا بعد دهر وعصراً بعد عصر الى العصر الحاضر والى يوم البعث والنشور ، هو علم التاريخ ، ذلك العلم الجليل الواسع الاطراف ، الغزير المادة ، الذى كشف لكل امة من الامم ، او عصر من العصور ، عن حقائق الامم البائدة والعصور الخالية عنه ، والعوالم المندثرة التى قد اندرست معالمها ، وتهدمت اثار مجدها ، وتضاءلت حضارتها ، وتلاشت معالم مدينتها ، وتقوض شامخ عمرانها . وابان عن تطوراتها ومجرى سياستها وما كان يحدث فيها من مباراة الاقران ومصارعة الابطال فى معترك الحياة ، للوصول الى المعالى . وعن اقعاء الجبناء وذوى العقول المتحجرة ، والادمغة الجامدة ، والنفوس المنحطة ، والاخلاق الرديئة ، عن القيام بواجبهم الاجتماعى . وعن تطاير شرر ذوى الطباع الهمجية ، والاخلاق الشرسة والنفوس الشيطانية التى قد دأبت على التمرد ضد الانسانية ، والفضيلة ، ومكارم الاخلاق وعما طوى ذلك الدهر من اعلام عظام وفلاسفة مثقفين وحكماء ، وادباء وخطباء محنكين ، وشعراء مثقفين وقواد مدربين ، وابطال وفرسان قد مارسوا الوغى ، واطباء خبيرين ، ومهندسين ، ومكتشفين ومخترعين ، وغير ذلك من ذوى الحيثيات البارزة الذين تزينت تلك العصور المنصرمة بوجودهم اذ ان التاريخ هو المدرسة الاولى لتهذيب الاخلاق والثقافة العالمية حيث يشتمل على العظة الحسنة لكل لبيب حاذق مفكر ، حيث انه يستنتج من تلك الحوادث المدهشة والقصص العجيبة ما يجعله على حذر تام من تقلبات الدهور وصروف الازمان ، وعلى استعداد تام ايضا لمصارعة الحوادث ومعاركة ما يعترض الحياة من محن الدهر ، وصروف الازمان . وكذلك يجعل فيه نهضة لمبادرة المعاصرين له فى التقدم ، والمدنية ، والحضارة ، والعمران .

وقد نشأ علم التاريخ منذ خلق الله تعالى البشر ، لا شك ان العوالم البائدة قد دونت

لها تاريخا حوى شيئا من حوادثها حيث أن ذلك طبيعى للأمم ، وقد دل التنقيب والاكتشاف على ذلك ، لأن علم التاريخ نشأ منذ خلق الله تعالى البشر غير اننا لم نعثر على اصل منشأ التاريخ ، وكيف كان ابتداء تدوينة منذ الخليقة . وقد بحثت كثيرا فى شتى الكتب التى وصلت الى يدى فلم اعثر على شىء غير ظنى نتج عن مطالعة بعض المكتشفين والمنقبين والرواد وقد تحصلت بعد البحث الطويل على انه كان هو المدرسة الأولى لتهذيب الأخلاق ونواة الثقافة العالمية حيث يشتمل على العظة الحسنة فكان أول ما ابتدأ التاريخ بالكتابة على الصخور ، وعلى الاحجار التى توضع على المقابر ، ثم ترقى تدريجا فاتخذ عمل الهياكل ، وتصوير صور الملوك ، وذوى الشخصيات البارزة وكُتب عليها تاريخ بصورة مقتضبة جدا ، فكان بعضها يحتوى على اسم الملك فقط ، وبعضها يزداد فيه يوم توليه ذلك الملك ومدة ملكه ويوم وفاته ، وكذلك كان بعض القواد الفاتحين اذا دخلوا بلدة كتبوا على بعض صخورها اسماءهم وضمنوها شيئا بسيطا من الحوادث . ثم اخذ التاريخ يتوسع ويزداد بيانا فى بعض الحوادث المهمة حتى صارت الحوادث تُدون بصورة مختصرة على اعمدة الرخام والحجر الصوان ، والمسلات ، وما شاكل ذلك . وهذا النوع يعبر عنه فى العصر الحاضر بفن الآثار .

ثم اخذ التاريخ يتطور بحالة اوسع من ذلك فصار المؤرخون ينظمون الحوادث التاريخية نظما فى اشعارهم ويعبرون عن الوقائع بالايام وهى الوقائع الحربية ، كيوم حرب البسوس ، وداحس والغبراء ، وذى قار ، ونحوها . وذلك كان من اعمال العرب العرباء سكان قلب الجزيرة العربية قبل الاسلام .

وقد جاءتنا الكتب السماوية وفى نهايتها القرآن المجيد بقصص معظم الانبياء وما وقع لهم مع اممهم وما كان من خلق ادم وحواء ونزولهما الى الارض وغير ذلك تبصرة وذكرى لقوم يفقهون واضحة جلية ، بأفصح عبارة ، بخلاف ما هو منقوش على الصخور والاحجار فلم يكن بها وضوح مثل الذى جاء به القرآن المجيد حيث ان عباراتها مقتضبة جدا ، الا ما كان من امر حوادث العصور التى كانت بين عصر موسى وعيسى ومحمد ﷺ وبالاخص العرب فقد دونوا وقائعهم الحربية ضمن قصائدهم كما اوضحنا ذلك .

ومن حيث ان الامية كانت غالبة على الامة العربية فى تلك العصور الغابرة ، ومن طبيعة الاميين حفظ الحوادث والوقائع عن ظهر قلب ، فكانت العرب تحفظ الحوادث وتمليها على بعضها بعضا وتدونها فى صدورها ، لا فى سطورها ، وكل طبقة تأخذ الحوادث والوقائع

تاريخية عمن تقدم عنها بطريقة التلقى ، وتمليها على الطبقة التى بعدها ، فكان الأبناء يأخذون الحوادث والقصص والوقائع التاريخية عن الآباء والاجداد ، ويملونها على الابناء والاحفاد ، وهلم جرا .

وقد سبقت الامة العربية كثيرا من الامم الاخرى من جهة العناية بضبط الوقائع التاريخية سواء كانت حربية ، او اجتماعية ، او ادبية ودونوها نظما ونثراً ، كما هو ظاهر فى سياق التاريخ . فمنهم من كان يؤرخ من هبوط آدم عليه السلام الى الطوفان ، ثم منه الى زمن نار ابراهيم الخليل عليه السلام ، ثم ارَّخ بنو اسماعيل عليه السلام من بنيان الكعبة المطهرة حين بناها نبى الله ابراهيم مع ابنه اسماعيل عليهما الصلاة والسلام الى وفاة كعب بن لؤى . ثم ارّخت العرب بوفاة كعب بن لؤى وهو الجد الثامن لرسول الله ﷺ وكان بينه وبين مبعث النبى ﷺ خمسمائة وستون عاما ، وكان معاصرا لنبى الله عيسى المسيح عليه السلام الى عام الفيل ، ثم ارخوا بعام الفيل الى البعثة النبوية ، ثم بالبعثة النبوية الى الهجرة . ثم ابتدأ التاريخ الاسلامى من الهجرة النبوية الى اليوم والى ما شاء الله تعالى .

وذكر الحافظ السخاوى فى كتابه الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، ان حِمْيَرَ كانت تؤرخ بالتبابعة ، وغسانا بالسند ، واهل صنعاء بظهور الحبشة على اليمن ، ثم بغلبة الفُرس . وأن الفُرس أرخت بأربع طبقات من ملوكها فالاول (بكيومرت) ويعتقدون انه آدم عليه السلام ، والثانى بيزدجرد ، والثالث بازد شير بن بابك ، والرابع بأنو شروان العادل .

واما الروم فأرَّخت بقتل دارا بن دارا الى ظهور الفرس عليهم . واما القبط فأرخت ببخت نُصر الى قلا بطره صاحب مصر . واما اليهود فارَّخت بخراب بيت المقدس . واما النصارى فبرفع عيسى المسيح عليه السلام . هذا ما ذكره الحافظ السخاوى والذى عليه قاطبة المسيحيين فى العصر الحاضر هو ابتداء التاريخ من ميلاد عيسى واصبح هذا التاريخ عاما فى معظم الكرة الارضية .

فلما جاء الاسلام بنظام العالم والامم ، وبالمدنية الفاضلة ، والحضارة الراقية ، والعمران الهائل ، وتبسط الفتح الاسلامى فى مشارق الارض ومغاربها فى عصر الخلفاء الراشدين ومن حذا حذوهم من خلفاء بنى امية ، وبنى العباس ، قام اقطاب العلم ممن هم

ولع بالتاريخ من اعلام الاسلام وجهابذته بتدوين عموم الحوادث والوقائع والقصص . واخذوا يتتبعون رواة الحوادث التاريخية فى كل مصر ويقيدونها فى كتبهم كل منهم بحسب ما وصل إليه من رواة الاخبار كما تلقاه عن الراوى ، ومن المعلوم ان كل راو من الرواة كان يحدث بما فهم من الحوادث ، وتصور من الوقائع ، وعلم من القضايا التاريخية ، بحسب قوة ادراكه وفهمه وتصوره .

فكان اول من امر بالتاريخ فى الاسلام رسول الله ﷺ كما رواه ابن جرير الطبرى فى تاريخه عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما انه قال : كان التاريخ فى السنة التى قدم فيها رسول الله ﷺ المدينة . وروى عن ابن شهاب الزهرى انه قال : ان النبى ﷺ لما قدم المدينة وقدمها فى شهر ربيع الاول امر بالتاريخ . وروى ابن عساكر فى تاريخ دمشق عن انس بن مالك رضى الله عنه قال : كان التاريخ من مقدم رسول الله ﷺ الى المدينة .

وقد ابتدأ التاريخ الاسلامى من اول المحرم فى السنة التى هاجر فيها رسول الله ﷺ الى المدينة . ثم تنظم وانتشر التاريخ واستعمل فى التحارير والمراسلات والدواوين والسجلات فى خلافة امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنه سبع عشرة من الهجرة . وسبب ذلك كما جاء فى كثير من التواريخ الصحيحة ، والروايات الموثوقة ان ابا موسى الاشعرى رضى الله عنه كتب وهو باليمن الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه : انه تأتينا منك كتب ليس لها تاريخ . فجمع عمر رضى الله عنه كبار الصحابة واستشارهم فى ذلك ، فات رأى عمر ، وعثمان ، وعلى ، رضى الله عنهم على اول المحرم من سنة الهجرة .

وهذه الرواية لا تخالف الرواية الاولى من كون التاريخ ابتدأ فى عصر النبى ﷺ وبأمره ، وذلك لعدة احتمالات منها انهم ابتدأوا بالتاريخ فى العصر النبوى واستعملوه فى ضبط الحوادث والوقائع وما شاكلها ولم يستعملوه فى التحارير والخطابات والاوامر التى تصدر من ولاة الامر الى العمال ، والقواد ، والامراء ، والقضاة ، فلما كتب ابو موسى الاشعرى رضى الله عنه الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه : انه تأتينا منك كتب ليس لها تاريخ . فتنبه امير المؤمنين عمر الى ذلك واستشار كبار الصحابة فاستحسنوا

ذلك ثم استعملوه ، وكان ذلك مبدأ التاريخ على الرسائل ، والتحارير ، والسجلات ، والاوامر ، فى عصر امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وكذلك يفهم من قول ابى موسى الاشعرى : انه تأتينا منكم كتب ليس لها تاريخ . ان من عادتهم أنهم كانوا يؤرخون الجوابات ، والأوامر ، والمراسلات ، ثم اهمل ذلك ، ولما نبههم ابو موسى الى لزوم ذلك ليعرف تاريخ الاوامر ويعلم الناسخ والمنسوخ منها،والمقدم والمؤخر ، وجدوا ان ذلك من اللوازم فاستعملوه . ويحتمل ايضا ان ابا موسى كان يعرف ذلك من عادات اهل اليمن واحب ان يرشد امير المؤمنين عمر الى ذلك لما فيه من المصلحة .

ويحتمل ايضا ان التاريخ استعمل فى العصر النبوى على الرسائل ، والتحارير ، والاوامر ، ثم اهمل بسبب ما اعترى المسلمين من الفتن التى وقعت فى ردّة العرب فى عصر الخليفة الاول ابى بكر الصديق رضى الله عنه كما سيأتى تفصيلها فى هذا الجزء ثم استؤنف العمل به فى عصر امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وعلى كل الحالات فما هنا تعارض بين الروايتين المتقدمتين فى كون ان التاريخ بدىء به فى العصر النبوى فى امور خاصة ، ثم استعمل فى عصر عمر فى عموم الأمور .

وقد جاء القرآن المجيد بعبر تاريخية عظة للمسلمين عن القرون المتقدمة على العصر النبوى ، وذلك عن اخبار الانبياء عليهم السلام وما وقع لهم مع شرار البشر ، وجبابرة الخلق ، وطغاة العالم ، منها قوله تعالى (وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاء فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) وقوله تعالى (ذلك من انباء القرى نقص عليك منها قائم وحصيد) وقوله تعالى (نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن) وقوله تعالى (وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم) وقوله تعالى (كَذَّبَتْ قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود ، وعَاد وفرعون واخوان لوط ، وأصحاب الأيكة وقومُ تُبَّع كُل كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيد) وقوله تعالى (ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او ألقى السمع وهو شهيد) وقوله تعالى (وانه لذكرٌ لك ولقومك) وهذا كثير فى القرآن المجيد مما حدث لموسى مع فرعون ، وبنى اسرائيل ، وقصة عيسى بن مريم مع اليهود ، ويوسف مع اخوته ، وابراهيم مع النمرود وهود مع عاد ، وغير ذلك . وكلها عظة تاريخية لقوم يعقلون . وجاء فى القرآن المجيد ما يحث الناس ارشادا واشارة الى دراسة التاريخ وفهمه والاتعاظ به بقوله تعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل

وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا) وقوله تعالى (وهو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الايات لقوم يعقلون) وقوله تعالى (ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض لايات لقوم يتقون) . وغير ذلك من الآيات البينات . فكان القرآن هو المرشد الحكيم لكافة الامم الى ما فيه خير الدنيا والاخرة فى كل شيء ، ومن ضمن ارشاداته دراسة التاريخ وحفظه ، فلذلك قام المسلمون بحفظه وتدوينه .

غير ان تدوين القصص والوقائع والحوادث التاريخية والتبسيط فيها كان فى القرن الثانى للهجرة ، وذلك لأن الامة العربية كانت لا تعتمد فى اخذ الاخبار الا عن نفس الشخص الراوى لذلك الخبر ، وذلك لاجل ان تَخَّبر ثقل الراوى من جهة صدقه ، وحفظه ، وامانته ، واخلاصه ، اتقاء من التدليس فى الرواية ، والاحتراز من الوضع والخلط والاختلاق . فلما اتسع الفتح الاسلامى وتبسط المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها ، واستشهد كثير من رواة الاخبار وانقبر معهم علمهم ، وكان رجال العلم قديما وحديثا فى الدنيا فى جانب الاقلية الساحقة ، اخذ علماء الاخبار وجهابذة التاريخ والاثار يتسابقون الى تدوين الاخبار ، وتثبيت الروايات ، ورصد القصص ، فى دواوين خاصة ، وذلك بعد فحصها ، وتمحيصها ، وتنقيحها ، ومعرفة غثها ، من سمينها ، ومعرفة شخص الراوى من جهة فهمه وقوة ادراكة ، ودرجة حفظه ، وشدة ذكائه . فمنهم من دون اصح الروايات واوثقها ، ومنهم من جمع كل ما سمع من الرواة سواء الصحيح منها والضعيف ، والشاذ ، والمنكر ، واسند كل خبر الى راويه على قاعدة تسلسل الرواية بالتحديث ، او العنعنة ، او الاخبار ، ولذلك تجد فى هذه الكتب كثيرا من الروايات والقصص يعارض بعضها بعضا . ولكن رجال العلم من ارباب الجرح والتعديل قد فحصوا عموم تلك الروايات وحللوها وبينوا درجة الراوى من جهة الصحة ، والضعف ، والحفظ ، والتدليس ، والسهو ، والخلط ، والكذب ، سواء كانت الرواية عن حديث مرفوع الى النبى ﷺ ، أو خبر موقوف على أحد الصحابة رضى الله عنهم ، أو قصة أو حادثةأو قضية وقعت فى زمن من الازمان . فهؤلاء هم حفاظ الاخبار ، ورجال العلم ، فقد خدموا العلم ونقحوا الاخبار من الدخيل فيها مثل قصص الكذابين الذين يريدون خلط الجوهر بالحصا ، والدر بالجير ، والعنبر

بالقار ، ليشوهوا مجد الاسلام واهله ، ويلبسوا على المسلمين بان فى اخبار الاسلام الغث والسمين ، كل ذلك كان من نتائج عمل اقطاب العلماء فى تنقيحهم الروايات لأجل ان يكون القارىء على بصيرة من صحيح الرواية وسقيمها ، ومعرفة الراوى الصادق فى خبره ، والراوى الكذاب المختلق لبعض الروايات لتضليل الناس وتشويه سمعة التاريخ

واليك صورة من صور فحص الروايات عند اهل العلم بالاخبار التى هى من ضمن طرق الجرح فى الخبر والتثبت من الرواية ، ذكر الحافظ السخاوى فى كتابه المتقدم ذكره : انه لما اظهر بعض اليهود كتابا وادعى انه كتاب رسول الله ﷺ باسقاط الجزية عن اهل خيبر ، وفيه شهادة الصحابة رضى الله عنهم وذكر ان خط على رضى الله عنه فيه ، وحمل الكتاب فى سنة ٤٤٧ الى رئيس الرؤساء ابى القاسم على وزير القائم فعرض على الحافظ الحجة ابى بكر الخطيب ، فتأمله ثم قال هذا مزوّر ، فقيل له من اين لك هذا ؟ قال : فيه شهادة معاوية ـ يعنى ابن ابى سفيان ـ وهو إنما اسلم عام الفتح ، وفتح خيبر كان سنة سبع ـ يعنى انه قبل اسلام معاوية بسنة واشهر ولم يكن ممن هاجر قبل الفتح حتى يتسنى له ان يشهد ـ وفيه شهادة سعد بن معاذ رضى الله عنه وهو قد مات يوم بنى قريظة قبل فتح خيبر بسنتين . فاستحسن ذلك منه واعتمده وامضاه ولم يجز اليهود على ما فى الكتاب لظهور تزويره . ولذلك امثال كثيرة معروفة فى الكتب المختصة بتنقيح الاخبار والروايات ، خصوصا فى كتب الموضوعات ، ومصطلح الحديث .

وقد تأتى فى بعض كتب الاخبار والتاريخ جملة روايات فى قضية واحدة ، او حادثة واحدة ، او قصة واحدة ، فيظن القارىء ان فيها ارتباكا ، او تشويشا ، مع ان الامر غير ذلك ، حيث ان حفظ الرواة وقوة مداركهم تختلف فى ضبط الوقائع وتتفاضل على بعضها بحسب عنايتهم بتلك القصة ، فمنهم من يروى الخبر بايجاز ويرى ان ذلك اقرب للفهم ، واخف للحفظ ، واسهل لنقل الاخبار . وبعضهم يروى عين ذلك الخبر باسهاب ويرى ان الاسهاب هو المقصود من نقل الرواية برمتها وذلك اوضح واكمل . وبعضهم يروى الحادثة على حسب ادراكه وفهمه وتصوره . وهؤلاء يتفاوتون فى التصور والفهم والادراك ، فبعضهم ذو مدارك واسعة ، وبعضهم ذو تصورات سقيمة ، وبعض الرواة لا يستطيع ان يروى الخبر بألفاظه فيرويه بالمعنى ، وهؤلاء هم الاكثر ، سواء كانوا فى الازمنة السالفة او الحاضرة . وقل أن تجد فى الناس من يستطيع ان يروى حادثة او محاضرة بالحرف الواحد

ولأضرب لك مثلا وهو : قف على باب احد الاندية التى تلقى فيها المحاضرات واسأل الذين كانوا يستمعون تلك المحاضرة حال خروجهم كلا بمفرده على حدة عما قاله المحاضر ، ثم سلهم بعد اسبوع عن نفس تلك المحاضرة فهل تجد منهم شخصين يستطيعان ان يرويا لك تلك المحاضرة بالحرف الواحد ؟ او تتفق رواية الشخص الواحد بالالفاظ حينما روى لك المحاضرة حال خروجه من النادى ، وحين سألته عن تلك المحاضرة بعد اسبوع ؟ فمن المستحيل ان تجد من يروى تلك المحاضرة بالحرف الواحد ، او يتفق عُشر المجتمعين على صيغة واحدة بدون ان يزيد احدهم على الاخر ، او ينقص عنه من الألفاظ او الجمل شيئا ، بل ولا تجد فى المائة واحداً يستطيع ان يروى لك تلك المحاضرة حرفيا كما القاها المحاضر بدون ان ينقص منها جملا او ألفاظا وانما يروى لك بعضها بالمعنى وبعضها بالحرف الواحد ، وذلك بحسب ما فهم او تصور ، والبعض يروى لك طرفا منها بالحرف الواحد وطرفا بالمعنى ويترك جانبا منها سهوا اوغفلة . كما ان المعنى يختلف باختلاف الفهم والادراك والذوق . ولذلك اتخذ اهل العصر الحاضر طريقة الاختزال ، ومع ذلك تجد كتاب الاختزال بعد انتهاء المحاضرة او الخطبة يقابلون ما دونوه مع بعضهم بعضا لتصحيح ما اذا سقطت من احدهم كلمة او جملة حتى يكونوا على نسق واحد فى نشر المحاضرة ، وكثيرا ما يحصل السقط على كاتب الاختزال اذا كان منفردا .

ومن ذلك تعلم ان تعدد الروايات فى كتب الاخبار انما هو لأجل ان يتحصل من مجموعها على الالمام بكل ما ورد فى تلك الحادثة او القصة ، وتتأكد من مجموعها ايضا على صحة ذلك الخبر ، لأن المؤلف قد نقل لك عن الذى روى الخبر على طريق الايجاز ، وعن الذى رواه بالاسهاب ، وعن الذى روى بالمعنى ، وعن الذى روى اول الحادثة وترك باقيها ، وعن الذى روى وسطها ، والذى روى اخرها ، وهذا كان مقصد اولئك العلماء فى سرد جملة روايات فى موضوع واحد لاجل الحصول على عموم القصة من جميع اطرافها وقد جاء بعد رواة الاخبار بالتحديث مؤرخون نظموا تلك الروايات المتعددة وجعلوها رواية واحدة بدون اسنادها الى رواتها بعد تنقيحها وتهذيبها مثل ابن الاثير ، وابن خلدون وابى الفداء ، وغيرهم من مؤرخى القرون الوسطى لاجل ان يسهلوا على القارىء دراسة القصة منسبكة مرتبة منقحة من القيل والقال .

وقد وضع العلماء كثيرا من الكتب فى علم الاصول ، وجعلوا لكل فن من العلوم

قاعدة . وقسموا علم الرواية والاخبار الى اربعة اقسام وهى (المتواتر) وهو ما يرويه الجمع الغفير عن الجمع الغفير ، وحددوا هذا الجمع بما فوق الاربعة الى الاربعين فاكثر ، بشرط ان يكونوا عدولا ضابطين . ثم (المشهور) وهو ما يرويه بضعة اشخاص عن مثلهم ، وحدده بعضهم بان لا يقل رواته عن ثلاثة اشخاص عن امثلهم فاكثر ، ثم (العزيز) وهو ما يرويه شخصان عن شخصين مثلهما ، وهذا القسم قليل جدا ولذلك سموه بالعزيز ، ثم (الغريب) وهو ما يرويه فرد واحد عن فرد واحد وهو ما يسمونه بخبر الاحاد . وجعلوا الروايات على اربع درجات وهى (الصحيح) و (الحسن) و (الضعيف) و (الموضوع) ولكل واحدة من هذه الدرجات قاعدة تعرف بها . ومن ذلك تعلم شدة حرص اهل العلم بالاخبار فى التثبت عن صحة الخبر وضبطه ، وعلى ذلك دون العلماء كتب الاخبار ، فبعضهم اسهب فى نقل الاخبار لتظهر كثرة الرواية فى قضية واحدة ، وقلتها فى قضية اخرى مع بيان الشاذ منها والمنكر ، والصحيح الذى اعتمد عليه . ومن ذلك صار التاريخ الاسلامى من اصح التواريخ عموما ، وهو التاريخ الوحيد الذى يعول عليه كافة العالم اجمع لشدة عناية جهابذة العلماء فى تصحيح الاخبار .

وقد تسابق فى دراسته كثير من المستشرقين فهالهم ما تضمنه ذلك التاريخ المجيد الحافل بالقصص الرائعة ، والحوادث الشيقة ، والوقائع الهائلة ، والقضايا البديعة ، فبعضهم صرح بالحقيقة الناصعة وابان ما للاسلام من الفضل العميم على سائر الامم فى مشارق الارض ومغاربها وكان محل اعجابهم حتى قال جستاف لوبون : ما عرف التاريخ فاتحا ارحم من العرب . وقال دوزى : لا ينهض الشرق الا بنهوض العرب . يعنى المسلمين منهم لانهم هم الذين يسيرون على تعاليم الدين الاسلامى . وقال احد وزراء فرنسا الاستاذ سديو : لقد كان المسلمون متفردين بالعلم فى تلك القرون المظلمة فنشروه حيث وطأت اقدامهم ، وكانوا هم السبب فى خروج اوروبا من الظلمات الى النور . وقال الاستاذ لاين بول : لبثت اسبانيا فى قبضة المسلمين ثمانية قرون وضوء حضارتها الزاهرة يبهر اوروبا وتقدمت بها الاداب والعلوم والفنون دون سائر الاقطار الاوروبية الاخرى فهرع اليها الطلاب من فرنسا والمانيا وانجلترا ليردوا مناهل العلم التى كانت تفيض على البلاد العربية دون غيرها . وقال رئيس الكنيسة الانجليزية اسحاق طيلر : الاسلام ينشر لواء المدنية التى تُعَلِّم الانسان ما لم يعلم . وقال جيبون : ان الشريعة المحمدية تشمل

الناس جميعا فى احكامها من اعظم ملك الى اقل صعلوك فهى شريعة حيكت باحكم واعلم منوال شرعى لا يوجد مثله قط فى العالمين . وقال المسيو ليون روش : ان الدين الاسلامى دين المحامد والفضائل ولو انه وجد رجالا يُعَلّمونه الناس حق التعليم ويفسرونه تمام التفسير لكان المسلمون اليوم ارقى العالمين . قال استاذ جامعة نيويورك بامريكا ، درابر : لم تكن اوروبا العصرية بأعلى ذوقا ولا ارقى مدنية من عواصم الاندلس على عهد العرب . وقال : واننا لندهش حين نرى فى مؤلفات المسلمين من الاراء العلمية ما كنا نظنه من نتائج العلم فى هذا العصر . وقال امبراطور فرنسا نابليون لشدة دهشته من تاريخ الاسلام ، وهو فى جزيرة سانت هيلانة : ان العرب فتحوا الدنيا فى نصف قرن لا غير .

وقال الدكتور روزيه رئيس جامعة لوزان : لم يتيسر لمدنية القرن العشرين ان تقيم ارقى مما انشأه ابناء العرب فى القرون الوسطى . وقال المستر كنورثى الكاتب البريطانى : عندما حكم الخلفاء بغداد اداروا أمورهم بروح الحرية فارتقت العلوم فى ايامهم وازدهرت الحكمة حتى اخذ الغرب علومه عنهم ودرسها فى جامعاته . وقال الموسيو هنرى لاوس : امكن لفريق من المستشرقين ان يعترفوا بوجود ثقافة اسلامية عامة ، ابتدأ التاريخ بالدعوة الاسلامية الاولى على عهد النبوة ، ثم تكونت فى زمن الخلفاء الراشدين ، والدولة الاموية ، من الشرق الى الغرب . وغير ذلك مما قاله علماء الغرب بعد درس التاريخ الاسلامى والتشريع وهذا بعض ما صرح به اولئك العلماء والمنصفون فى مدنية الاسلام ونهضته وانه الاستاذ الاول لاوروبا بل للشرق والغرب فى العلم والمدنية والحضارة والعمران وكل ذلك استنتجوه من كتب الاسلام والتاريخ الاسلامى ، واما بعض المستشرقين فقد اخذ بهم الحنق والاغتياظ كل مأخذ من الحضارة الاسلامية وكبر شأن التمدن الاسلامى فى نظرهم ، ولم يجدوا ما يقولونه فى التاريخ الاسلامى غير تتبع بعض القصص التى اختلقها بعض اعداء الاسلام ودسوها على بعض اهل القصص الذين لا يفهمون من الروايات الا ما فيه اضحوكة باردة او عبارة سخيفة بقصد التسلية ونسبوها الى الاسلام ، وهم لا يشعرون بما فيها من السخافة والسخرية واساءة سمعة ابطال الاسلام ، وقد تتبع علماء الاسلام تلك الروايات والقصص المختلفة واعلنوا عنها انها مكذوبة على المسلمين ونفوها ونبذوها ، وبينوا حقيقة واضعيها واغراضهم الشيطانية . فاستغل تلك الروايات بعض المستشرقين وجعلوها حجة لهم فى التشنيع على التاريخ الاسلامى ، ورموه بالخلط والارتباك

والاضطراب ، وجعلوا ما قاله علماء الجرح والتعديل فى نفيها ونبذ من صنعها ، ان ذلك يوجب الشك والارتياب فى صحة التاريخ الاسلامى ، حتى قال بعض المستشرقين فما كتبه ونشره عن التاريخ الاسلامى:ان ترادف الروايات فى خبر واحد او قصة واحدة ، يوجب عدم الثقة والاعتماد على ما هو مذكور فى التاريخ الاسلامى مما هو منسوب الى الدين الاسلامى من العدل والحرية والمساواة بين الرعية ، والحضارة التى اوجدها المسلمون فى عموم الامصار التى قد استولوا عليها ، والعمران الذى شنشنوا به فى تواريخهم ، والمدنية التى صموا بذكرها الآذان ، ولو كانت تلك الحوادث صحيحة لما اختلف فيها الرواة . وعلل ذلك بعضهم بقوله:ان السبب فى ذلك الاضطراب هو كون التاريخ الاسلامى لم يدون من اليوم الذى ظهر فيه محمد ﷺ بالاسلام ، وذلك لانه لم يكن فى المسلمين من له ولوع بتدوين الاخبار فى ذلك العصر حتى انه يتتبع الجيوش ويرصد الوقائع حال حدوثها ، وكذلك فى عصر الخلفاء الراشدين وانما صار المؤرخون يدونون كل ما يبلغهم من الاخبار ، ويرصدونها على علاتها . فلذلك صار فى كل حادثة جملة روايات بعضها يعارض بعضا ومن اجل ذلك اختلط الحق بالباطل ، والصحيح بالكذب . فتجد لهذه الاقوال رواجا عند الجهلاء من الناس الذين لم يدرسوا قاعدة تدوين الاخبار عند علماء الاسلام كما تقدم تفصيله . مع انك تجد كثيرا مما يكتبه علماء الاثار من الغربيين من تواريخ مبناها على اثر من الاثار ، وهذه الاثار يكون بعضها من الاحجار ويكون ما كتب عليها لا يتجاوز بضعة اسطر ، فيقوم ذلك المؤرخ الاثرى بتحرير جزء ضخم او عدة اجزاء مبناها على ما استنتجه من ذلك الاثر ، والحقيقة ان كل ما كتبه هو حدس وتخمين ، وليس لما ملأ به صفحات ذلك التاريخ اصل قديم يعول عليه غير ذلك الاثر الذى هو عبارة عن جملة وجيزة . والمدهش انك تجد لهذا التاريخ شأناً عظيما ورواجا كبيرا عند جُلّ اهل العصر الحاضر ، ولم تجد احدا منهم انتقده او سأل مؤلفه عن مصدره الخيالى الذى مبناه على التصور الفكرى . وهنا نتساءل اذا كان هذا التاريخ الخيالى الذى مبناه على التصور الفكرى مقبولا فلم لا يكون التاريخ الاسلامى الذى مبناه على تلقى الخبر عن رجال عدول ضابطين وتلقته الأمة الاسلامية بالتحديث والاملاء طبقة عن طبقة ، صحيحا نقيا من كل تزوير وبهتان ؟ والظاهر من عدم قبوله عندهم لأنه لا يتمشى مع الاهواء والاغراض واصبح الهوى عندهم المعيار لصحة بعض روايات التاريخ الاسلامى وعدمه فما

انطبق على الهوى فهو الصحيح وما لا ينطبق فهو حديث خرافه ، وموضوع ، فلا يكون التاريخ صحيحا فى نظرهم الا اذا تلاءم مع اغراضهم السياسية ومشاربهم المسممة بالاهواء والاغراض . وأخذ مقلدوهم يتابعونهم على العماء بدون تبصر وتفكر . تلك سجية الأغبياء فى كل عصر ومصر .

فاذا تركنا المستشرقين وما يقولونه من الطعن والتشنيع فى التاريخ الاسلامى ، ورميهم له بالاضطراب والتشويش والارتباك وغير ذلك من الكلمات الجوفاء التى مبناها على الحنق والعداء المحض ، وحملنا اقوالهم على امرين : الاول اما انهم لم يدرسوا قاعدة الجرح والتعديل وتمحيص الرواية ومعرفة درجة الراوى من جهة الصدق والامانة على تلك القاعدة التى بنى اعلام الاسلام تدوين تاريخ الاسلام عليها ، والامر الثانى انهم درسوا شيئا من قبيل ذلك ولكنهم ارادوا ان يدلسوا ويشوهوا سمعة التاريخ الاسلامى بما ليس فيه ، من القصص التى دسها اعداء الاسلام فى العصور المتقدمة فى كتب القصاصين التى قد زيفها علماء الاسلام المحققون . ولكن كيف نعمل فيمن تبع اقوال هؤلاء المستشرقين من بعض شبيبة المسلمين الذين تلقوا علومهم فى مدارس الغرب وكلياته ودرسوا بعض ما كتب المستشرقون من تشويه سمعة التاريخ الاسلامى وقلدوهم فيما تسبوه الى الاسلام من الخلط والتشويش والارتباك والاضطراب وما شابه ذلك مما تقدم بيانه بقصد تشويه سمعة الاسلام ، تقليداً اعمى بدون تبصر وتفكر ، وقبل ان يتصفحوا التاريخ الاسلامى الذى دبجه يراع جهابذة الاسلام الذى مبناه على الحقائق الناصعة التى لا شبهة فيها . فهل والحالة هذه يكون هؤلاء معذورين ، او مقصرين ، او انهم مخدوعون ؟ او نرميهم بالغباوة والحماقة لكونهم لم يتصفحوا التاريخ الاسلامى باعتناء تام ، ولم يدرسوه درسا دقيقا على اساتذة اخصائيين من علماء الاسلام بالتاريخ لكى يقفوا على اصح الروايات واوثقها وقوفا تاما

هذا ما نؤاخذهم عليه من التقصير ، أليس من العار ان يتلقوا دروسهم التاريخية التى تختص بالاسلام والمسلمين على غير علماء الاسلام ؟ ويأنفوا من تلقى ذلك عن اساتذة مسلمين ممن تخصصوا فى التاريخ الاسلامى وعلموا ما صححه علماء الأخبار من أرباب الجرح والتعديل من تلك الروايات المترادفة ؟ ألم يعلموا أن أساتذة الغرب وبالأخص المبشرين منهم ، قد تعمدوا تشويه التاريخ الإسلامى وما تضمنه من تشريع وسياسة

واجتماع ؟ وهل من الحكمة او الرأى الثاقب ان يتلقى ابناء المسلمين التاريخ الاسلامى على اساتذة قد ناصبوا الاسلام واهله العداء والبغضاء ؟ او يدرسوه فى كتب قد دونها اناس قد الحدوا فى عموم الاديان وبالاخص فى الدين الاسلامى ، وحشوها بما سولت لهم انفسهم من الكذب وإنكار الحقائق وبما يشوه سمعة الاسلام فى نظر القارىء ويجعله يفر منه فراره من الاسد . ولا يخجلون من قولهم انهم يحملون شهادة (بكلوريا) او (دكتوراه) من كليات الغرب فى التاريخ الاسلامى ، مع انه لو فحص اولئك الذين يحملون تلك الشهادة بالتخصيص فى التاريخ الاسلامى فحصا دقيقا لظهر انهم لم يدرسوا غير مبادىء التاريخ الاسلامى على غير حقيقته حيث ان التخصيص فى التاريخ الاسلامى لا يتأتى الا بعد دراسة اصوله وفروعه ومحتوياته فى اصح مصادره ، وقد ينقضى العمر دون الوصول الى الالمام به او بجله . والتاريخ الاسلامى لا يقبل التطفل ، ولذلك تجد كل متطفل عليه تنكشف حقيقته بسرعة عند مباحثته فيه . ولم يعلموا ان اولئك الاساتذة الذين منحوهم تلك الشهادة بالتخصص فى التاريخ الاسلامى قد خدعوهم بها وذلك لان الذين قاموا بتدوين التاريخ الاسلامى هم اقطاب الامة الاسلامية من علماء التفسير ، والحديث ، والفقه ، واللغة ، كموسى بن عقبة وابن اسحاق ، والبخارى وابن هشام والترمذى والنسائى وابن ماجة ، وابن ابى شيبة ، وابن جرير ، وابن عبد البر ، وابن سعد ، والذهبى ، وابن كثير ، وابن الاثير ، وابن خلدون ، وابن حجر العسقلانى ، والسخاوى ، والسيوطى ، وغيرهم ممن لا يحصون عداً . وذلك بعد ان مارسوا شتى العلوم والفنون . حيث ان التاريخ الاسلامى يشتمل على كثير من العلوم والفنون والمعارف . واليك بعض اسماء من ألّف فى التاريخ الاسلامى،فأول من الف فى السيرة النبوية موسى بن عقبة الاسدى المدنى وهو من التابعين . ومحمد بن اسحاق المطلبى مولاهم المدنى احد التابعين لانه رأى أنس بن مالك الانصارى رضى الله عنه كما قاله الحافظ السخاوى . وابو عبد الله ومحمد بن عمر الاسلمى مولاهم المدنى القاضى الواقدى . وابو عبد الله محمد بن سعد البغدادى . وابو بكر عبد الرزاق بن همام الحميرى مولاهم الصنعانى . وابو احمد محمد بن عابد القرشى الدمشقى الكاتب . وابو عثمان سعيد بن يحيى الاموى البغدادى . وابو القاسم التيمى الاصبهانى . وغيرهم من الائمة الاعلام ممن يتعذر حصرهم او عدهم .

واول من الف فى تراجم الصحابة على بن المدينى كتابا فى خمسة اجزاء . ومحمد ابن اسماعيل البخارى . وابو عيسى الترمذى . وابو بكر بن ابى داود . وعبدان الحافظ احد

شيوخ البخارى ومطين الحافظ الكبير أبو محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمى الكوفى وأبو على بن السكن . وابو حفص بن شاهين . وابو منصور البارودى . وابو حاتم بن حبان . وابو العباس الدغولى . وابو نعيم الحافظ . وابو عبد الله بن مندة . وابن سعد الحافظ . وغيرهم وقد تبعهم خلق كثير ممن اتى بعدهم صنفوا فى تراجم الصحابة كابن عبد البر حافظ الغرب والذهبى ، وابن حجر العسقلانى ، وابن الاثير . وابى القاسم البغوى . وابى الحسن بن قانع وابى القاسم الطبرانى وخلق كثير يعسر حصرهم .

واما تاريخ الخلفاء فقد الف فيه اناس كثيرون . والخلفاء من الصحابة رضى الله عنهم سبعة وهم ابو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، والحسن ، ومعاوية ، وعبد الله ابن الزبير ، رضى الله عنهم . ومن بنى امية اربعة عشر خليفة . ومن بنى العباس بضع وخمسون خليفة . وقد تسمى غير هؤلاء باسم الخلفاء وامراء المؤمنين من ملوك الطوائف والامويين بالاندلس ، والفاطميين بافريقية وملوك آل عثمان بالقسطنطينية وغيرهم ممن سمى نفسه او سمته رعيته باسم خليفة او امير المؤمنين . وقد الف فى تاريخ الخلفاء الراشدين الاربعة اناس كثيرون منهم ابو بشر محمد بن احمد بن حماد الدولابى ، وابو بكر ابن ابى الدنيا ، وابو بكر محمد بن زكريا الرازى ، وغيرهم من الصدر الاول . وتبعهم فى ذلك كثيرون وادرجوا عموم الخلفاء فى تواريخهم منهم ناصر الدين بن دقماق ، والتقى المقريزى . وابو الحسن على بن محمد بن ابى السرور عبد العزيز السروجى ، وابو الفضل احمد بن ابى طاهر المروزى ، وغيرهم . وبعضهم نظم تاريخ الخلفاء عموما فى اراجيز كأبى محمد جعفر بن احمد بن الحسين السراج ، والحافظ الذهبى ، ومحمد بن احمد الباعونى الدمشقى ، وابن ابى البقاء ، وغيرهم ممن لا يحصون .

وقد ذكر الحافظ السخاوى فى كتابه (الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ) ، اسماء كثير ممن الف فى عموم اقسام التاريخ ونقل عن الحافظ العلاء مغلطاى الحنفى انه قال : رأيت مَن مَلَك نحوا من ألف تصنيف فيه . ونقل عن الحافظ الذهبى انه قال : فنون التواريخ التى تدخل فى تاريخى الكبير المحيط ولم انهض له ولو عملته لجاء فى ستمائة مجلد ، وقد قسم الحافظ الذهبى التاريخ الى اربعين قسما ، وذكرها عنه الحافظ السخاوى ومن هذه الاقسام السيرة النبوية ، وقصص الانبياء ، وتاريخ الصحابة وتاريخ الخلفاء وتاريخ الملوك وتاريخ الوزراء ، وتاريخ الامراء ، وتاريخ الفقهاء ، وتاريخ القراء بالسبع ، وتاريخ الحفاظ ،

وتاريخ مشيخة المحدثين وتاريخ المؤرخين ، وتاريخ النحاة ، والادباء ، والشعراء ، واللغويين ، والعروضيين ، والبلغاء ، والحساب ، وتاريخ العباد ، والزهاد ، والاولياء ، والصوفية ، والنساك ، وتاريخ القضاة ، والولاة ، والمعلمين ، والقصاصين ، وغير ذلك من الاقسام التاريخية .

وجاء فى كتاب (كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون) للعلامة ملا كاتب جلبى ، انه قد استقصى الكتب المصنفة فى التاريخ الاسلامى إلى ألف وثلاثمائة مؤلف . وهى تربو على اكثر من عشرين الف جزء ، وربما فاته كثير من تلك الكتب التى دبجها يراع جهابذة المحققين من اعلام الاسلام ، وهذا بخلاف ما صنف بعد ملاكاتب جلبى فى العصور المتأخرة عنه ، وما صنف بغير اللغة العربية مما لم يقف عليه .

وهنا اذكر للقارىء ما الفه العلماء الاعلام من اهل الصدر الأول فى القرن الثانى ، والثالث ، الذين هم قد تصدوا لجمع الروايات التاريخية واخذها من رواتها بطريق التحديث والاخبار عمن تلقوا عنهم بالتسلسل الى من شاهد الحادثة ، او القصة ، او الوقعة ، والذين هم قريبو عهد بالعصر النبوى ، والخلفاء الراشدين ولم يكن بينهم وبين من شاهد الوقائع الا شخص او شخصان الى ثلاثة . فمن هؤلاء الاعلام . الحافظ ابو خيثمة احمد بن زهير بن حرب المتوفى سنة ١٧٩ . ومنهم الهيثم بن عدى بن عبد الرحمن الطائى المتوفى سنة ٢٠٧ . ومنهم الزبير بن بكار القرشى الزبيرى قاضى مكة المتوفى سنة ٢٥٦ . ومنهم الامام الحافظ ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى الجعفى صاحب الصحيح المتوفى سنه ٢٥٦ . واحمد بن داود الدينورى المتوفى سنة ٢٨٢ . وعمارة بن وثيمة الفارسى المتوفى سنة ٢٨٢ . وابن ابى شيبة محمد بن عثمان الحافظ الكوفى المتوفى سنة ٢٩٧ . وابو بكر احمد بن زهير النسائى البغدادى الحافظ المتوفى سنة ٢٧٩ . وابو جعفر محمد بن حبيب النحوى البغدادى المتوفى سنة ٢٤٥ . وابو عمر البصرى الحافظ العصفرى المتوفى سنة ٢٤٠ . والحافظ يعقوب بن سفيان الهمدانى المتوفى سنة ٢٨٠ . والحافظ ابو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزوينى المتوفى سنة ٢٧٣ . وابو عمر محمد بن يوسف الكندى المتوفى سنة ٢٤٦ .

الطبرى وهو انه ذكر ابن الجوزى ان ابن جرير بسط الكلام فى الوقائع بسطا وجعله مجلدات . وان المشهور المتداول مختصر من الكبير وانه هو العمدة فى هذا الفن ، وذكر ابن السبكى فى طبقاته ان ابن جرير قال لاصحابه : هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم الى وقتنا هذا ؟ قالوا كم قدره ؟ فذكر انه ثلاثون الف ورقة فقالوا هذا يفنى الاعمار قبل اتمامه ، فقال : انا لله وانا اليه راجعون ماتت الهمم ، فاختصره فى نحو ما اختصر التفسير .

هذا تاريخ ابن جرير الطبرى كان اصله ثلاثون الف ورقة قبل ان يختصره على ما هو بين ايدينا ، فاذا قسمنا الثلاثين الألف الورقة على اجزاء وقدرنا لكل جزء مائة ورقة عن مائتى صحيفة لبلغ ثلاثمائة جزء من الاجزاء المتوسطة ، وعلى اقل تقدير فانه يبلغ عشرة اضعاف تاريخه الذى بايدينا . فهكذا كان علماء الاسلام يتتبعون الحوادث ويستقصونها ويدونونها فى تواريخهم باسهاب ، ولكنهم قد اضطروا الى الاختصار بسبب قلة همم القراء ، وتقاعدهم عن ورود بحار العلم ، ومع الاسف قد فقد معظم التاريخ الاسلامى كما فقد اهله ، ورجاله ورواده ، ولذلك نجد اقتضابا فى كثير من الحوادث والوقائع التاريخية بسبب ذلك الاختصار الناشىء عن تكاسل القراء ، ويظن بعض من لم يتتبع الحوادث ان الرواة قصروا فى نقل الحادثة برمتها ، او قصّر فى املائها على من تلقوها عنهم ، مع ان الذى اضاع على رواد التاريخ من المتأخرين ما وقع من الحوادث المتقدمة باسهاب هو الاختصار المخل والتلخيص اللذان كان سببهما تكاسل القراء ، ولو اننا وجدنا تلك المصنفات المملوءة بتفاصيل ما وقع من الحوادث فى العصور المتقدمة لاخذنا منها صورا واضحة وتفاصيل مسهبة عن تلك الوقائع التاريخية ، اكثر مما اتينا به فى هذا الكتاب وكنا سلمنا من العناء الطويل وصرف الاوقات الثمينة فى تتبع الحوادث واستقصائها من عدة مؤلفات وتلخيصها من جملة روايات . والذى يؤلم ويؤسف اكثر واعظم مما تقدم ، هو ما نراه من بعض العصريين الذين اخذوا يتبارون فى اختصار الكتب التاريخية حتى جعلوها عبارة عن سجل اموات ، فتجد ان تاريخ احد الملوك هو ملخص فى يوم توليته ويوم وفاته ، ولا تجد لأعماله الصالحة او الطالحة ذكرا ، وكأن الغرض من دراسة التاريخ هو الوقوف على يوم ولادة ذلك الملك ويوم وفاته ، مع ان الغرض غير ذلك كما هو معلوم ، فهذه المختصرات التى هى عبارة عن فهرس الحوادث لا تفيد احدا بفائدة مطلقا حتى ولا تلامذة المدارس

الابتدائية . وفيها من اغراء التلاميذ ما يجعلهم يظنون ان التاريخ الاسلامى هو عبارة عن ذلك المختصر الذى املاه عليهم ذلك الاستاذ فى المدرسة . واختبرهم المختبرون على موجبه . ونالوا الشهادة التاريخية عليه . واذا تمادى هذا الحال على ذلك المنوال فلا شك من ضياع التاريخ لاننا نجد الهمة قد قصرت اكثر مما كانت فى عصر ابن جرير بمراحل . وهذا تاريخ ابن جرير المختصر الذى بين ايدينا قد افحم كثيرا من القراء ، ولا تجد من استقصاه درسا من فاتحته الى خاتمته احدا من عشاق التاريخ ولا بنسبة واحد فى المائة ، فكيف لو كان تاريخ ابن جرير الكبير الذى هو ثلاثون الف ورقة موجودا فى العصر الحاضر فهل تجد احدا يقرأه استقصاء من فاتحته الى خاتمته ؟ اللهم الا كونهم يستعملونه ككتب اللغة لمراجعة بعض القضايا التاريخية كما يراجعون بعض مفردات اللغة الغريبة . هكذا كان علماء الاسلام يهتمون بتدوين الحوادث والوقائع التاريخية باسهاب فهذه اسماء بعض اهل العلم من الذين تصدوا لتدوين التاريخ الاسلامى تلقيا عن الرواة من اهل الاخبار الذين تناقلوا الحوادث والوقائع التاريخية عمن تتبع الحوادث وشاهدها بنفسه فى القرن الثانى والثالث للهجرة من اهل الصدر الاول . واما اسماء من حذا حذوهم من اهل القرن الرابع والخامس والسادس الى القرن العاشر فهم فوق الحصر والعد ، اذ فى كتاب (كشف الظنون) وحده الذى هو قائمة واحدة للكتب العربية الاسلامية من عشرات القوائم امثاله الف وثلاثمائة مصنف فى التاريخ الاسلامى ، ومع الاسف لم يكن موجودا من تلك التواريخ فى العصر الحاضر مما هو متداول بأيدى القراء وفى المكتبات العامة الا جزء بسيط لا يبلغ مائتى مصنف ، واغلب هذه المصنفات قد ذهبت مع الزمن وافنتها الفتن وانتقل قسم منها الى مكتبات اوروبا .

فظهر مما تقدم ان الامة الاسلامية قد اعتنت عناية تامة بتدوين التاريخ الاسلامى على انواع واقسام شتى خصوصا فى الصدر الاول . وان ما يقوله بعض المستشرقين الذين يضمرون الكيد للاسلام واهله والطعن فى التاريخ الاسلامى من كونه مضطربا ومتشوشا وكون كثرة سرد الرواة فيه توجب الشك والريبة ، باطل لا اصل له وبعيد عن الصحة والحق والانصاف وهو قول مختلق يراد منه تشويه الحقيقة. وان مقلديهم فى ذلك ممن تلقوا عنهم تلك المفتريات فى التاريخ الاسلامى من الملاحدة والمشككين ممن سماهم اباؤهم باسماء المسلمين هم اجهل الناس بالحقائق التاريخية وغيرها . وكيف يتأتى لهم فهم

التاريخ الاسلامى ودراسته وهم فى ظلمات الجهل يعمهون اولئك الذين يظنون ان التاريخ الاسلامى هو عبارة عن تلك المختصرات المختلقة المشوهة التى تلقوها فى المدارس التبشيرية وتحصلوا منها على شهادة التخصص فى التاريخ الاسلامى ، وقد اخذ بهم الجهل كل مأخذ ودفعهم الغرور بكل وقاحة الى ارتقاء منصات الخطابة والمحاضرة والتدريس فى الاندية والمجتمعات ويرفعون عقيرتهم بغير خجل بالتشكيك فى التاريخ الاسلامى ومؤلفيه ، فلو كان لهم من العقل مثقال ذرة لما أوردوا تلك النظريات الانتقادية على التاريخ الاسلامى ورجاله وهم اجهل من اساتذتهم بما احتواه ذلك التاريخ من شاذة وفاذة ، ولعلموا ان التخصص فى التاريخ الاسلامى يحتاج الى دراسة اصوله وفروعه وقواعده ومستنتجاته ، والتوغل فيه درسا وفحصا وتمحيصا حتى يظهر بنتيجة حسنة ويحق له بعد ذلك ان يدعى التخصص ، وربما ينقضى العمر دون الوصول الى ذلك ، حيث ان فن التاريخ لا يدرك الا بالتقصى والاستقراء ، لأنه لم يكن من الفنون المحدودة كفن النحو ، او المنطق ، او الهندسة ، او الحساب ، وما شاكل ذلك حتى يتسنى تلقيه برمته أوجله فى المدارس العالية ، بل هو اوسع العلوم على الاطلاق كالحديث والتفسير يفنى العمر دون استقصائه . ومع ذلك فان المدارس هى مفتاح العلوم والفنون . ولم يكن المتخرج منها قد أَلَمَّ بعموم العلوم والفنون إلْمَاماً تاما لا يحتاج بعده الى تخصيص ، بل كل علم من تلك العلوم او فن من تلك الفنون التى تلقاها الطالب فى المدرسة العليا يحتاج معه الى تخصيص فى كل فن او علم بمفرده ، والتخصيص لا يحصل الا بعد دراسة شتى الكتب المدونة فى ذلك ومراجعة عدة اساتذة اخصائيين فى تلك العلوم والفنون وربما يفنى العمر ولم يدرك منتهى تلك العلوم ، بل انك تجد العلماء الاختصاصيين لا يألون جهدا طوال حياتهم منعكفين على دراسة كل ما وصل الى ايديهم من شتى الكتب المتعلقة بفنهم . ولذلك صار من الواجب على كل طالب متنور ان يكب على دراسة كثير من الكتب المتعلقة بتلك الفنون التى تلقاها فى المدرسة ولا يقتصر على ما تحصله فى المدرسة ، اذ ان فى ذلك الحياة العلمية التى ترفع من شأن المرء الى اوج السعادة والارتقاء ، كما ان دراسة الكتب دراسة مجردة من الفحص والتمحيص لا تجدى نفعا ، بل ينبغى ان يتدبر ويتبصر ويجهد نفسه كل الجهد فى تدقيق تلك الكتب وتحليل ما يعترضه من القضايا ومخالفة الرواة والمصنفين تحليلا تصحيحا ينطبق على حقيقة الواقع ، كى يكون بذلك بعيدا عن الغلط والخطأ ، واذا تعذ

عليه حل بعض شيء من القضايا فعليه ان يراجع العلماء في ذلك ، وليس في السؤال عيب او حطة وانما العيب والحطة في الجهل .

وبما ان التواريخ الاسلامية المعول عليها هي التي دونها جهابذة السلف من اقطاب المحققين على قاعدة التحديث ، وقد جاء في بعض تلك الروايات طرف من القصة ، وفي بعضها طرف من اولها ، وفي بعضها طرف من آخرها ، وذلك لان بعض الرواة يروى بحسب ما شاهد ، وتكون مشاهده منحصرة في جانب من الوقعة ، فيصف تلك الوقعة بحسب مداركه ، وآخر رأى تلك الوقعة نفسها فوصفها باوضح مما وصفها الأول ، وآخر رواها باختصار ، فاصبح من اشد الاعمال مشقة هو ربط تلك الروايات وسبكها في عبارة واحدة لاجل ان يستحوذ القارىء على القصة مرتبة منظمة وحيث ان غايتي من تحرير هذا التاريخ هو تصفية تلك الروايات المتعددة المترادفة وسبكها على الطريقة العصرية من جهة سلاسة التحرير وتحليل القضايا التاريخية لاجل ان تسهل على القارىء درس التاريخ الاسلامي وتصور وقائعه ، وفهم قضاياه ، بدون ان يحتاج الى شارح او يستعين باحد على فهمه وتصويره ، لعلي اكون بذلك قد قمت بواجبي نحو العلم ، والتاريخ ، والانسانية ، فقد اخذت على عاتقي الصدق والامانه والتحرى فيما انقلة من الاخبار الصحيحة ، والروايات الثابتة ، متتبعا اوثق المصادر ، ولم آل جهدا في تتبع سياسة الاسلام الداخلية والخارجية ، والحربية ، والاستعمارية والاجتماعية ، والعمرانية ، وما كان من تطبيق التشريع الاسلامي الذى مقتضاه التسامح والتساوى بين طبقات البشر من عرب وعجم ، واسود وابيض ، وشريف ووضيع ، وسيد ومسود ، امام الحقوق المدنية والقضاء العادل ، حتى يظهر للقارىء بصورة واضحة جلية كيف تسنى لقواد الاسلام الفاتحين ان يتبسطوا في انحاء المعمورة من مشارقها الى مغاربها ، وكيف استقبلهم عموم الامم بما فيهم العالم الاوروبى بصدر منشرح وقلب ملؤه الاجلال والاكبار رغبة في ذلك العدل الذى لم يَرَوْهُ قط من حكامهم البائدين ولم يسمعوا بمثله ابداً ، وذلك لأنهم وجدوا أنفسهم قد اصبحوا احراراً متمتعين بأموالهم وأهليهم وأنفسهم بعد ان كانوا ارقاء مستعبدين عند حكامهم الغابرين ، ولم يمكثوا غير برهة من الفتح حتى دخلوا في الدين الاسلامي افواجا باختيارهم ، وصار نبغاؤهم بعد زمن يسير في اعلام الاسلام في عموم علومه وفنونه ، حتى صار المسلمون يعدون بالملايين بعد ان كانوا يعدون بالعشرات . وقد قابلت بين

سياسة الاسلام العادلة فى كثير من القضايا وبين سياسة المستعمرين من الغربيين للممالك الاسلامية باسم الوصاية ، والحماية ، والاحتلال ، من ارهاق تلك البلدان المستعمرة واستبعادها وتشتيت شمل نبغائها الذين ابو الضيم على انفسهم وبلادهم . وغير ذلك من القضايا التاريخية . كما انى حللت كثيرا من الحوادث التى وقعت بين المسلمين انفسهم من خروج الخوارج ، وحدوث التقلبات السياسية بين العناصر الاسلامية . واسأل الله تعالى ان يوفقنى الى الصواب ، ويبعدنى عن الخطأ والزلل ، انه بالاجابة جدير ولما يشاء قدير .

***

أساس الخلافة في الإسلام

الخليفة فى اللغة هو الذى يقوم مقام من اخلفه فى سلطانه ، او ملكه ، او قومه ، او ماله ، او اهله ، او ادارة شؤونه ، والدليل على ذلك قوله تعالى (اخلفنى فى قومى) وقد جاء صريحا فى القرآن المجيد ان الخليفة هو بمعنى الملك او السلطان ، بقوله تعالى (يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق) وقوله تعالى (هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض) . والخلافة فى الاسلام تطلق على من خلف رسول الله ﷺ على المسلمين بعده ، ولذلك اطلقت على الخلفاء الاربعة ، ثم استعملت فى التاريخ الاسلامى على كل من ولى امر المسلمين ، وفى ذلك تنازع بين العلماء . وقد وقعت البيعة بالخلافة للخلفاء الراشدين بعد وفاة النبى ﷺ بالفعل على ثلاثة انواع وهى :

النوع الاول منها البيعة العامة من قبل اهل الحل والعقد من أعيان الأمة لرجل منهم يرون فيه المقدرة والكفاءة على تحمل أعباء الخلافة والقيام بواجبها ، وقد وقع ذلك فعلا فى بيعة أبى بكر الصديق وعلى بن أبى طالب – رضى الله عنهما – بالخلافة .

النوع الثانى – هو أن يختار الخليفة رجلا من اعيان الأمة يكون محل ثقة فى نظره ونظر الأمة حائزا على الصلاحية التامة من الوجهة الدينية ، والسياسية ، والاجتماعية ، والادارية ، والعمرانية ، موصوفا بمكارم الاخلاق ، فيعينه خليفة من بعده على الأمة وذلك بعد أخذ رأى أفراد من أهل الحل والعقد ، فيكتب الخليفة له كتاب العهد ويتلى ذلك الكتاب على العموم وتؤخذ له البيعة فى حياة الخليفة كما وقع ذلك من ابى بكر الصديق رضى الله عنه فى تعيين عمر بن الخطاب رضى الله عنه خليفة من بعده .

النوع الثالث – هو أن يعهد الخليفة فى اختيار من يخلفه الى مجلس شورى وهو يعين اعضاءه ويختارهم من الذين فيهم اهلية للخلافة ، كما وقع ذلك من عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وذلك انه عند وفاته عهد بأمر الخلافة الى مجلس الشورى بعد ان عين اعضاءه وهم عثمان بن عفان ، وعلى بن ابى طالب ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، رضى الله عنهم ممن علم فيهم

الكفاءة التامة والمقدرة العظمى للقيام باعباء الخلافة الكبرى ، وضم عليهم ثلاثة جعل لهم حق الرأى ولم يجعل لهم الحق فى الخلافة وهم عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله ابن العباس والحسن بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم ، وأمرهم ان يجتمعوا ويختاروا الخليفة من الستة المتقدمين ، فنتج من ذلك اختيار امير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه .

فهذه الأنواع الثلاثة التى وقعت بالفعل فى شكل الخلافة التى عليها كانت بيعة الخلفاء الاربعة الذين تبوأوا عرش الخلافة بعد رسول الله ﷺ . والسبب فى ذلك هو انه لم يرد نص صريح فى القرآن ، ولا حديث صحيح عن رسول الله ﷺ مبين فيه الشكل الذى ينبغى بموجبه ان يكون تعيين الخليفة، أو كيف تكون الخلافة من بعده. بل ان الأمر الصحيح الذى عليه الاجماع بين أهل السنه والجماعة ان رسول الله ﷺ ترك اختيار شكل الخلافة ومن يكون الخليفة لأمته فهم يختارون لأنفسهم من يرون فيه الكفاءة من خيارهم فينصبونه عليهم ، وجاء ذلك صريحا فى قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما ورد فى الصحيحين عن عمر رضى الله عنه انه قال حين طعن : ان أستخلف فقد استخلف من هو خير منى يعنى أبا بكر ، وان أترككم فقد ترككم من هو خير منى يعنى رسول الله ﷺ . فلذلك صار أمر الخلافة على الثلاثة الانواع المتقدمة . وسيأتى ان شاء الله تفصيلها فى مواضعها عند ذكر بيعة كل خليفة من الاربعة الخلفاء الراشدين .

وقد اورد الحافظ السيوطى فى تاريخ الخلفاء جملة احاديث فى ذلك منها عن حذيفة رضى الله عنه قال قالوا يا رسول الله ألا تستخلف علينا قال « انى ان استخلف عليكم فتعصون خليفتى ينزل عليكم العذاب » قال السيوطى اخرجه الحاكم فى المستدرك . وهذا الحديث فيه صراحة ان النبى ﷺ عرض عليه ان يستخلف احدا من اصحابه فأبى وهو يؤيد قول عمر رضى الله عنه ان النبى ﷺ ترك امر الخلافة للامة . وروى ايضا فى حديث أحمد ، والبيهقى فى دلائل النبوة بسند حسن عن عمرو بن سفيان قال لما ظهر على يوم الجمل قال أيها الناس ان رسول الله ﷺ لم يعهد الينا فى هذه الامارة شيئا حتى رأينا من الرأى أن نستخلف أبا بكر ، فأقام واستقام حتى مضى لسبيله ، ثم ان أبا بكر رأى من الرأى أن يستخلف عمر فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه ، ثم ان أقواما طلبوا الدنيا فكانت أمور يقضى الله فيها . وأخرج الحاكم فى المستدرك ، وصححه البيهقى فى الدلائل ، عن أبى وائل قال قيل لعلى الا تستخلف علينا ؟ قال : ما استخلف رسول

الله ﷺ فأستخلف ، ولكن ان يرد الله بالناس خيرا فسيجمعهم بعدى على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم . وأخرج ابن سعد عن الحسن قال قال على رضى الله عنه لما قبض رسول الله ﷺ: نظرنا فى أمرنا فوجدنا النبى ﷺ قد قدم أبا بكر فى الصلاة فرضينا لدنيانا عمن رضى رسول الله ﷺ عنه لديننا فقدمنا أبا بكر . فهذا على بن أبى طالب رضى الله عنه يعترف ويصرح ان النبى ﷺ لم يستخلف أحدا من أصحابه ، وانهم اختاروا أبا بكر رضى الله عنه خليفة عليهم . وحاصل ذلك أن كل ما تقدم صريح فى ان النبى ﷺ لم يعهد بالخلافة لأحد من اصحابه معين بالذات الا ان هناك بعض اشارات من تقديم أبى بكر فى الصلاة ولذلك قال الحافظ الذهبى : وعند الرافضة أباطيل فى انه عهد الى على رضى الله عنه .

واما الاشارة بأمر الخلافة فقد جاء فى بعض الاحاديث « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى » وروى البخارى فى تاريخه عن ابى جمهان عن سفينة ان النبى ﷺ قال لأبى بكر ، وعمر ، وعثمان « هؤلاء الخلفاء بعدى » وتعقبه البخارى فقال : لم يتابع على هذا لأن عمر ، وعليا ، وعثمان ، قالوا : لم يستخلف النبى ﷺ . وجاء فى رواية ابن حبان ان النبى ﷺ لما بنى المسجد وضع حجرا وقال لأبى بكر « ضع حجرك الى جنب حجرى ، ثم قال لعمر ضع حجرك الى جنب حجر أبى بكر ، ثم قال لعثمان ضع حجرك الى جنب حجر عمر ، ثم قال هؤلاء الخلفاء بعدى » . ففى ذلك اشارة تعد من ضمن المعجزات على ترتيب الخلفاء بعد رسول الله ﷺ ولكن لا تفيد التعيين بالذات ولو عين رسول الله ﷺ الخليفة بالذات لما عدل احد من الصحابة عنه ، حيث لما أمَّرَ رسول الله ﷺ أسامة بن زيد على جيش فيه عظماء الصحابة منهم أبو بكر ، وعمر ، لم يتأخر عنه أحد ولما اعترض بعض الصحابة على تعيين أسامة من جهة حداثة سنه لم يقبل اعتراض من اعترض حتى بعد وفاة النبى ﷺ كما تقدم بيان ذلك فى آخر الجزء الرابع من حياة سيد العرب لأن الاسلام ما قام الا على الاتباع لاوامر الله تعالى وتعاليم رسوله ﷺ فى كل شىء . واما مذهب الرافضة فى ذلك فمبناه على الأهواء والاغراض والعداء المطلق للاسلام والمسلمين وليس فيه ما يتفق مع حقيقة الواقع فكل شىء وقع هو بلا شك بقضاء الله وقدره ، فقضت ارادة الله سبحانه وتعالى ان يكون الخليفة الأول أبا بكر رضى الله عنه ، والخليفة الثانى عمر رضى الله عنه ، والخليفة الثالث عثمان رضى الله

عنه ، والخليفة الرابع على رضى الله عنه ، وقد وقع ذلك بمراد الله تعالى ، ولو شاء الله غير ذلك لوقع كما يشاء فلا رادَّ لقضائه ، سواء رضيت الرافضة أم غضبت .

وقد ورد فى صحيح البخارى أحاديث تشير الى ان الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وهى عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال : اتت امرأة النبى ﷺ فامرها أن ترجع اليه ، قالت : أرأيت ان جئت ولم أجدك ؟ كأنها تقول الموت ، قال ﷺ « ان لم تجدينى فاتى ابا بكر » قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى : ومرادها ان جئت فوجدتك قدمت ماذا أعمل ؟ قال وروى الطبرانى من حديث عصمة بن مالك قال : قلنا يا رسول الله الى من ندفع صدقات اموالنا بعدك ؟ قال « الى أبى بكر الصديق » قال الحافظ ابن حجر : وهذا لو ثبت كان أصرح فى حديث الباب من الاشارة الى انه الخليفة بعده ، لكن اسناده ضعيف ، ثم قال وروى الاسماعيلى فى معجمه من حديث سهل بن أبى خيثمة قال : بايع النبى ﷺ اعرابيا فسأله ان أتى عليه أجله من يقضيه ؟ فقال « أبو بكر » ثم سأله من يقضيه بعده قال « عمر » الحديث . وأخرج الطبرانى فى الأوسط من هذا الوجه مختصرا ، وفى الحديث ان مواعيد النبى ﷺ كانت على من يتولى الخلافة بعده تنجيزها ، وفيه رَدٌّ على الشيعة فى زعمهم انه نص على استخلاف علىّ ، والعباس

وأخرج الامام احمد فى مسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت : دخل على رسول الله ﷺ فى اليوم الذى بدىء فيه مرضه فقلت وارأساه ، فقال « وددت ان ذلك كان وأنا حىٌ فهيأتك ودفنتك » قالت فقلت غِيرَى : كأنى بك فى ذلك اليوم عروسا ببعض نسائك . قال « وأنا وارأساه ، أدعى لى أباك وأخاك حتى أكتب لابى بكر كتابا ، فانى أخاف أن يقول قائل ويتمنى متمن أنا أولى ويأبى الله عز وجل والمؤمنون الا أبا بكر » فكل ما تقدم من هذه الروايات والاحاديث سواء بلغت درجة الصحة أو لم تبلغ فهى تشير الى ان الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، ولم يكن فيها تصريح بتعيين أبى بكر أو غيره ، فلو كان التعيين صريحا لما احتاج الامر الى ما وصل اليه من المناظرة فى السقيفة بين المهاجرين والانصار كما سيأتى تفصيله قريبا . وقد أخرج مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت قال لى رسول الله ﷺ فى مرضه « أدعى لى أباك ، وأخاك ، حتى أكتب كتابا فانى أخاف ان يتمنى متمن ويقول قائل انا أولى ، ويأبى الله والمؤمنون الا أبا بكر » وأخرجه الامام أحمد وغيره من طرق عنها وفى بعضها قالت قال لى

رسول الله ﷺ فى مرضه الذى فيه مات « ادعى لى عبد الرحمن بن ابى بكر أكتب لأبى بكر كتابا لا يختلف عليه احد بعدى » ثم قال « دعيه معاذ الله أن يختلف المؤمنون فى أبى بكر » وهذه الاحاديث فيها من الصراحة أكثر مما سبق ان الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وانما لم يكتب رسول الله ﷺ لأبى بكر فى ذلك الكتاب ، وترك الامر للمسلمين مع صراحته ان لا يختلف المؤمنون فى أبى بكر ، وقد حقق الله سبحانه وتعالى رغبة نبيه ﷺ وصار أبو بكر هو الخليفة بعد رسول الله ﷺ وكان امر الخلافة ثابتا عند كثير من كبار الصحابة الذين لهم تردد واحتكاك برسول الله ﷺ وتتبع لأمر الخلافة ولذلك لم يمتد امر البيعة وانتهت فى بضع ساعات لابى بكر برضا الجمهور منهم .

وأما كون الخلافة فى قريش ، فقد وردت فى ذلك احاديث منها ما رواه البخارى فى صحيحه عن معاوية بن ابى سفيان قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ان هذا الأمر فى قريش لا يعاديهم أحد الا أكبه الله فى النار على وجهه ما أقاموا الدين » قال الحافظ ابن حجر فى الفتح : وقد ورد فى حديث أبى بكر الصديق نظير ما وقع فى حديث معاوية . ذكره محمد بن اسحاق فى الكتاب الكبير فذكر قصة سقيفة بنى ساعدة وبيعة ابى بكر ، وفيها فقال ابو بكر : وان هذا الأمر فى قريش ما أطاعوا الله واستقاموا على امره وروى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : « لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى منهم اثنان » وجاء فى رواية مسلم « ما بقى من الناس اثنان » وروى ابو داود الطيالسى عن ابى برزة ان النبى ﷺ قال « الأئمة من قريش ما حكموا فعدلوا ووعدوا فَوَفوا واستُرحِمُوا فَرحموا » وأخرجه أيضا أحمد وأبو يعلى فى مسنديهما والطبرانى .

وقد اختلف الطوائف فى ذلك على آراء منهم من جعل الخلافة حقا لقريش ، ومنهم من حصرها فى بنى هاشم ، قال الحافظ ابن حجر فى الفتح وقيد ذلك طوائف ببعض قريش فقالت طائفة لا يجوز الا من ولد على ، وهذا قول الشيعة ، ثم اختلفوا اختلافا شديدا فى تعيين بعض ذرية علىّ ، وقالت طائفة يختص بولد العباس ، وهو قول أبى مسلم الخراسانى واتباعه ، ونقل ابن حزم أن طائفة قالت : لا يجوز الا فى ولد جعفر بن أبى طالب ، وقالت أخرى فى ولد عبد المطلب ، وعن بعضهم لا يجوز الا فى بنى أمية ، وعن بعضهم لا يجوز الا فى ولد عمر ، قال ابن حزم ولا حجة لأحد من هؤلاء الفرق . وقالت الخوارج وطائفة من المعتزلة : يجوز أن يكون الامام غير قرشى وانما يستحق الامامة من قام بالكتاب والسنة

سواء كان عربيا ام عجميا . وبالغ ضرار بن عمرو فقال : تولية غير القرشي اولى . لأنه يكون أقل عشيرة فاذا عصى كان امكن لخلعه . وقال أبو بكر بن الطيب : لم يعرج المسلمون على هذا القول بعد ثبوت حديث الأئمة من قريش . وعمل المسلمون به قرنا بعد قرن . وانعقد الاجماع على اعتباره ذلك قبل ان يقع الاختلاف . وقال الحافظ ابن حجر بعد ان ذكر من تسمى بالخلافة من ملوك الاندلس كبنى عباد . ومن تسمى بالخلافة فى بلاد المغرب كلها كعبد المؤمن . وهؤلاء ليسوا خوارج ولا قالوا بقولهم بل هم من أهل السنة داعين لها . ثم قال :ويحتاج من نقل الاجماع الى تأويل ما جاء عن عمر من ذلك فقد أخرج أحمد عن عمر بسند رجال ثقات انه قال : ان أدركنى أجلى وأبو عبيدة حي استخلفته . فذكر الحديث وفيه : فان ادركنى أجلى وقد مات أبو عبيدة استخلفت معاذ ابن جبل . الحديث . ومعاذ بن جبل انصارى لا نسب له فى قريش . ثم قال واستدل بحديث ابن عمر على عدم وقوع ما فرضه الفقهاء من الشافعية وغيرهم انه اذا لم يوجد قرشي يستخلف من كنانة فان لم يوجد فمن بنى اسماعيل . وحاصل ما تقدم أن الخلافة فى قريش ما اقاموا الدين . والا ففى ولد اسماعيل . وهى حق من حقوق الأمة الاسلامية وقد تولاها بعد الخلفاء الأربعة . وبنى أمية . وبنى العباس . كثير من ملوك المسلمين فى الاندلس والمغرب الاقصى . ومصر . والحجاز . واليمن . والترك . من غير قريش وللعلماء كلام كثير فى صحة دعواها لغير القرشي . والعرب مطلقا وقد ورد الامر بالسمع والطاعة لمن ولى الامر ولو كان عبدا كما روى ذلك ابن جرير الطبرى فى تاريخه انه لما نزل ابوذر الغفارى رضى الله عنه الربذة اقيمت الصلاة وعليها رجل يلى الصدقة فقال تقدم يا اباذر فقال لا . تقدم أنت فان رسول الله ﷺ قال لى « اسمع واطع وان كان عليك عبد مجدع » فأنت عبد ولست باجدع . وكان من رقيق الصدقة . وكان اسود يقال له مجاشع . وقد اتينا هنا بالنزر اليسير من ذلك ليقف القارىء على شيء منها اجمالا وسيأتى تفصيل ذلك فى مواضعه ان شاء الله تعالى . والخلاصة أن الخلافة هى حق من حقوق الامة الاسلامية توليها من كان فيه الكفاءة التامة غير انها تتبع فى ذلك بيوت المجد والشرف ومن كان موصوفا بالعدل والشهامة والنجدة والاباء واليقظة . متضلعا بالسياسة والاجتماع . متمسكا باوامر الله تعالى . متجنبا نواهيه . ويكون كل ذلك معلوما عند أهل الحل والعقد من سير اعماله قبل ولايته عليهم . وهذه القاعدة تتوافق مع عموم الروايات المتقدمة . هذا ما ظهر لى مما تقدم وبالله التوفيق .

أبو بكر الصديق

أبو بكر الصديق رضى الله عنه اسمه عبد الله بن أبى قحافة ، واسم أبى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب القرشى التيمى يجتمع هو ورسول الله ﷺ فى مرة بن كعب . وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر ابنة عم أبيه . وسمى (العتيق) وفى سبب تسميته بالعتيق خمسة أقوال :(الاول) عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت ان النبى ﷺ نظر اليه فقال « هذا العتيق من النار » . (الثانى) لجمال وجهه ، لأن العتق هو الجمال ، قاله الليث بن سعد وقتيبة . (الثالث) أن أمه سمته بذلك لانه لمَ يعش لها ولد ، قاله موسى بن طلحة بن عبيد الله . (الرابع) قالت طائفة من اهل النسب انما سمى عتيقا لانه لم يكن فى نسبه شيء يعاب به . (الخامس) قال ابو نعيم سمى بذلك لأنه قديم الخير والعتيق القديم . كذا فى تاريخ الخميس ، والرياض النضرة . وسماه النبى ﷺ صدّيقا ، وكان على بن ابى طالب رضى الله عنه يحلف بالله ان الله أنزل اسم أبى بكر من السماء الصدّيق ، كذا فى الصفوة وغيره لتصديقه خبر الاسراء ، وفى سيرة مغلطاى لتصديقه النبى ﷺ . وقد تقدم الشيء الكثير فى الأجزاء الأربعة من حياة سيد العرب فى كونه كان اول الناس اسلاما وفى فضائله التى هى أكثر من أن تحصر . وُلِدَ أبو بكر الصديق رضى الله عنه بعد مولد النبى ﷺ بسنتين ونصف ، ونشأ بمكة ، ولم يخرج منها الا لتجارة ، وكان ذا مال جزيل فى قومه ، ومروءة تامة ، واحسان ، وتفضل فيهم قال النووى : ان أبا بكر كان من رؤساء قريش فى الجاهلية ، وأهل مشاورتهم ومحببا فيهم ، وأعلم لمعالمهم ، فلما جاء الاسلام آثره على سواه ، ودخل فيه أكمل دخول . وكان اليه أمر الديات والغرم فى الجاهلية ، وذلك ان قريشا لم يكن لها مَلِكُ ترجع الأمور كلها اليه ، بل كان فى كل قبيلة ولاية عامة تكون لرئيسها ، وقد حَرَّمَ أبو بكر الخمر على نفسه فى الجاهلية ، ولما سئل عن ذلك قال : كنت اصون عرضى ، وأحفظ مروءتى ، فان من شرب الخمر كان مضيعا فى عرضه ، ومروءته . فبلغ ذلك

رسول الله ﷺ فقال « صدق أبو بكر . صدق أبو بكر مرتين » رواه السيوطى فى تاريخ الخلفاء .

وأما صفة أبى بكر الصديق رضى الله عنه فقد وصفته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : رجل أبيض نحيف خفيف العارضين أجدأ ، لا يستمسك ازاره يسترخى عن حقويه ، معروق الوجه ، غائر العينين ، ناتيء الجبهة ، عارى الاشاجع . وقالت : كان أبو بكر يخضب بالحناء والكتم . اخرجه ابن سعد . والظاهر أن هذا وصفه فى كبير سنه والله اعلم

ثناء رسول الله ﷺ على أبى بكر

وأما ثناء رسول الله ﷺ على أبى بكر الصديق رضى الله عنه فهو أكثر من أن يحصر وسنأتى على يسير منه ، روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال « لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر ولكن أخى وصاحبى » وروى أيضا عن ابى الدرداء رضى الله عنه قال : كنت جالسا عند النبى ﷺ اذ أقبل ابو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته . فقال النبى ﷺ « أما صاحبكم فقد غامر » فسلم وقال : يا رسول الله انه كان بينى وبين ابن الخطاب شىء فاسرعت اليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لى فأبى على فاقبلت اليك فقال « يغفر الله لك يا ابا بكر » ثلاثا ، ثم ان عمر ندم فأتى منزل أبى بكر فسأل : أثَمَّ أبو بكر ؟ فقالوا لا ، فأتى الى النبى ﷺ فسلم عليه فجعل وجه النبى ﷺ يتمعر حتى اشفق ابو بكر فجثا على ركبتيه فقال : يا رسول الله والله أنا كنت أظلم مرتين . فقال النبى ﷺ « ان الله بعثنى اليكم فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر صدق ، وواسانى بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركون لى صاحبى ؟» مرتين ، فما أوذى بعدها . وكل ذلك رواه مسلم وغيره من اصحاب السنن وروى المحب الطبرى فى كتابه الرياض النضرة عن ابى الدرداء قال : رآنى النبى ﷺ أمشى أمام أبى بكر ، فقال « يا أبا الدرداء أتمشى أمام من هو خير منك فى الدنيا والآخرة ، ما طلعت شمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبى بكر » وروى عن جابر بن عبد الله قال كنا عند النبى ﷺ فقال « يطلع عليكم رجل لم يخلق الله بعدى أحدا خيرا منه ، ولا أفضل ، وله شفاعة مثل شفاعة النبيين » فما برحنا حتى طلع أبو بكر فقام النبى ﷺ فقبله والتزمه . أخرجه الخطيب البغدادى . وعن أنس قال قال رسول الله ﷺ « خير

أصحابي أبو بكر » وعن جابر قال : كنا عند باب النبي ﷺ نفر من المهاجرين والأنصار نتذاكر فارتفعت أصواتنا فخرج علينا رسول الله ﷺ فقال « فيم أنتم ؟ » فقلنا نتذاكر الفضائل قال « فلا تقدموا على أبي بكر أحدا فأنه أفضلكم في الدنيا والاخرة » وعن على بن أبي طالب رضي الله عنه وقد قيل له لمّاَ أُصيبَ : ألاَ تستخلف ؟ قال : لا استخلف ولكني أتركم كما تركنا رسول الله ﷺ دخلنا على رسول الله ﷺ فقلنا يا رسول الله الا تستخلف فقال « ان يعلم الله فيكم خيرا استعمل عليكم خيركم » فعلم الله فينا خيرا فاستعمل علينا أبا بكر . أخرجه السمان في الموافقة . وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « أول من يرد على يوم القيامة أبو بكر الصديق » وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال لأبي بكر « انت صاحبي على الحوض ، وصاحبي في الغار » أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح .

وأما بشارته ﷺ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه بالجنة فورد عنه في ذلك الشيء الكثير . منها ما تقدم ، ومنها ما اخرجه البخاري في صحيحه عن سعيد بن المسيب قال : اخبرني ابو موسى الاشعري رضي الله عنه انه توضأ في بيته ثم خرج فقلت لألزمن رسول الله ﷺ ولأكونن معه يومي هذا قال فجاء المسجد فسأل عن النبي ﷺ فقالوا خرج ووجه ههنا . فخرجت على اثره أسأل عنه حتى دخل بئر أريس فجلست عند الباب وبابها من جريد حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته فتوضأ فقمت اليه فاذا هو جالس على بئر أريس وتوسط قفها وكشف عن ساقيه ودلاهما في البئر فسلمت عليه ثم انصرفت فجلست عند الباب فقلت لأكونن بوابا للنبي ﷺ اليوم . فجاء ابو بكر فدفع الباب فقلت من هذا ؟ فقال:ابو بكر . فقلت على رسلك ، ثم ذهبت فقلت : يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن فقال « إئذن له وبشره بالجنة » فاقبلت حتى قلت لأبي بكر أدخل ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة . فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القف ودلى رجليه في البئر كما صنع النبي ﷺ وكشف عن ساقيه»الحديث .

وقد أسهب علماء السنة والتراجم والتاريخ في ذلك ، وأورد المحب الطبري في الرياض النضرة والسيوطي في تاريخ الخلفاء جملة ادلة على وجوب تقديم أبي بكر الصديق رضي الله عنه على عموم اصحاب رسول الله ﷺ في كل شيء ، وهذا الذي جعل الصحابة رضي الله عنهم يبايعونه بالخلافة عن طيب خاطر ، ويقدمونه عليهم وهم يرون انه لا يتقدم عليه احد في كل شيء في الخلافة وغيرها .

البيعة بالخلافة لأبى بكر الصديق

وقعت البيعة بالخلافة لأبى بكر الصديق رضى الله عنه بين وفاة رسول الله ﷺ ودفنه . وللعلماء فى ذلك أقوال كثيرة ، وآراء متباينة . لا يسعنى سردها هنا مع بيان الخلاف وتحقيق الاصح منها اذ فى ذلك من المشقة والاطالة ما لا يسعه اكبر من هذا الكتاب ، وقد تتبعت كل ذلك ورأيت ان أحسن ما يستند عليه فى ذلك هو الصحيحان وشرحاهما وتاريخ ابن جرير الطبرى وابن كثير ، وابن الاثير ، وابن خلدون . أما ما ورد فى البخارى من حديث عائشة رضى الله عنها فجاء فيه : اجتمعت الانصار الى سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة فقالوا منا أمير ومنكم أمير ، فذهب اليهم أبو بكر الصديق ، وعمر ابن الخطاب . وأبو عبيدة بن الجراح . فذهب عمر يتكلم فاسكته أبو بكر ، وكان عمر يقول والله ما أردت بذلك الا أنى قد هيأت كلاما قد اعجبنى خشيت أن لا يبلغة أبو بكر ، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس فقال فى كلامه:نحن الامراء وأنتم الوزراء . فقال الحباب ابن المنذر : لا والله لا نفعل منا أمير ومنكم أمير . فقال أبو بكر : لا ولكنا الامراء وأنتم الوزراء ، هم أوسط العرب داراً وأعربهم أحسابا ، فبايعوا عمر بن الخطاب ، او ابا عبيدة ابن الجراح . فقال عمر : بل نبايعك أنت فأنت سيدنا وخيرنا واحبنا الى رسول الله ﷺ . فأخذ عمر بيده فبايعه ، وبايعه الناس . هذا ملخص ما رواه البخارى وهو فى غاية الاختصار والذى يستفاد من هذه الرواية ان الذى بايع فى اول الأمر عمر بن الخطاب وقد روى ابن جرير هذه الرواية ايضا فى تاريخه . غير ان هناك روايات اخرى أتى بها ابن جرير وغيره من المؤرخين وأصحاب التراجم جاءوا فيها بكل ما دار فى أمر البيعة وأن أول من بايع أبا بكر هو بشير بن سعد الانصارى واليك القصة بتمامها مأخوذة من المصادر التى سأذكرها فى نهاية البيعة

كان العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه يفكر فى أمر الخلافة ، وكان من رأيه عقد البيعة لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ولم يردها لنفسه وقد تقدم انه قال لعلى رضى

الله عنه : ان النبى ﷺ يقبض فاسأله ان كان الأمر لنا بينه ، وان كان لغيرنا أوصى بنا خيرا . فلم يجبه على رضى الله عنه الى ذلك ، فلما قبض النبى ﷺ خرج العباس رضى الله عنه فلقى أبا بكر الصديق رضى الله عنه فقال له : هل أوصاك رسول الله ﷺ بشىء ؟ قال:لا ، ثم لقى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال له مثل ذلك ، فقال عمر: لا ، فذهب العباس رضى الله عنه الى على بن ابى طالب فقال له : ابسط يدك أبايعك ويبايعك أهل بيتك ، فيقال عم رسول الله ﷺ بايع ابن عم رسول الله ﷺ وأهل بيته ، فان هذا الأمر اذا كان لم يُقَلْ - من الاقاله يعنى اذا تم لا يفسخ - فقال له على رضى الله عنه : من يطلب هذا الامر غيرنا ؟

ثم ان الانصار رضى الله عنهم اجتمعوا فى سقيفة بن ساعدة واخرجوا سعد بن عبادة الانصارى رضى الله عنه ليولوه الأمر ، وكان مريضا ، فقالوا له : ان رسول الله ﷺ قد قبض ، فقال سعد لابنه قيس رضى الله عنهما : انى لا استطيع أن أسمع الناس كلاماً لمرضى ، ولكن تلق منى قولى فاسمعهم . فكان سعد يتكلم ويحفظ ابنه قوله فيرفع صوته لكى يسمع قومه ، فقال سعد بعد أن حمد الله تعالى واثنى عليه : يا معشر الانصار ان لكم سابقة فى الدّين وفضيلة فى الاسلام ليست لقبيلة من العرب ، ان رسول الله ﷺ لبث فى قومه بضع عشرة سنة يدعوهم الى عبادة الرحمن وخلع الاوثان ، فما آمن به من قومه الا قليل ، والله ما كانوا يقدرون ان يمنعوا رسول الله ﷺ ولا على إعزاز دينه ، ولا يدفعوا عن أنفسهم الضيم ، حتى اذا أراد الله تعالى لكم الفضيلة وساق اليكم الكرامة ، وخصكم بالنعمة ، ورزقكم الايمان به وبرسوله ﷺ ، والمنع له ولأصحابه ، والاعزاز له ولدينه ، والجهاد لأعدائه . فكنتم أشد الناس على من تخلف عنه منكم ، واثقله على عدوكم من غيركم ، حتى استقامت العرب لامر الله تعالى طوعا وكرها ، وأعطى البعيد المقادة صاغراً داحراً ، حتى اثخن الله تعالى لنبيه بكم الأرض ، ودانت بأسيافكم له العرب ، توفاه الله تعالى وهو راض عنكم ، قرير العين ، فشدوا أيديكم بهذا الأمر دون الناس فانكم أحق الناس وأولاهم به . فاجابوه جميعا : أن قد وفقت فى الرأى ، وأصبت فى القول ، وكفى بعد ذلك ما رأيت ، ونحن نوليك هذا الامر فانت مقنع ولصالح المؤمنين رضى .

فبينما هم على ذلك اذ اتى معن بن عدى الانصارى رضى الله عنه الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وهو فى مسجد رسول الله ﷺ يهدىء الناس ويذكرهم بكتاب الله تعالى ويزيل ارتباكهم ، فقال معن لأبى بكر الصديق : باب الفتنة ان يغلقه الله بك ، هذا

سعد بن عبادة والانصار يريدون أن يبايعوه . ففزع أبو بكر أشد الفزع . وقام ومعه عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، فخرجا مسرعين الى سقيفه بنى ساعدة فلقيا ابا عبيدة بن الجراح رضى الله عنه فانطلقوا جميعا فلقيهم فى اثناء الطريق عاصم بن عدى ، وعويم بن ساعدة الانصاريان رضى الله عنهما وقالا : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ قالوا : نريد اخواننا هؤلاء من الانصار . قالا : فارجعوا فلا عليكم ان لا تقربوهم ، يا معشر المهاجرين اقضوا أمركم . فقال لهما عمر رضى الله عنه : والله لنأتينهم . فانطلقوا حتى دخلوا سقيفة بنى ساعدة وفيها رجال من الاشراف معهم سعد بن عبادة رضى الله عنه على طنفسة متكئا على وسادة وهو مريض بالحمى وهم مجتمعون ، فلما جلسوا قام خطيب الانصار رضى الله عنهم فتشهد واثنى على الله بما هو أهل ثم قال : أما بعد فنحن انصار الله وكتيبة الاسلام ، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط نبينا ، وقد دفت الينا من قولكم دافة .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : فلما رأيتهم يريدون ان يختزلونا من أصلنا ويغصبونا الامر وقد كنت زورت فى نفسى مقالة اقدمها بين يدى أبى بكر ، وقد كنت أدارى منه بعض الحد ، وكان هو أوقر منى وأحلم ، فلما أردت أن أتكلم تجهز أبو بكر رضى الله عنه وقال لى : على رسلك ، فستكفى الكلام . فكرهت ان أعصيه ، فقام ابو بكر رضى الله عنه وانتصب له الناس فحمد الله تعالى واثنى عليه ، فما ترك شيأ كنت زورت فى نفسى أن أتكلم به لو تكلمت الا قد جاء به أو بأحسن منه ، فقال : ان الله جل ثناؤه بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ، فدعا الى الاسلام فأخذ الله تعالى بنواصينا وقلوبنا الى ما دعا اليه ، فكنا معشر المهاجرين أول الناس اسلاما ، والناس لنا فيه تبع ، ونحن عشيرة رسول الله ﷺ ، ونحن مع ذلك أوسط العرب أنسابا ، ليست قبيلة من قبائل العرب الا ولقريش فيها ولادة ، وأنتم أيضا والله الذين اووا ونصروا ، وأنتم وزراؤنا فى الدين ووزراء رسول الله ﷺ ، وأنتم اخواننا فى كتاب الله تعالى ، وشركاؤنا فى دين الله عز وجل ، وفيما كنا فيه من سراء وضراء ، والله ماكنا فى خير قط الا كنتم معنا فيه ، فانتم أحب الناس الينا ، وأكرمهم علينا ، وأحق الناس بالرضى بقضاء الله تعالى ، والتسليم لأمر الله عز وجل ، لما ساق لكم ولاخوانكم المهاجرين واحق الناس هم ، فلا تحسدوهم ، وأنتم المؤثرون على أنفسهم حين الخصاصة ، والله مازلتم تؤثرون اخوانكم من المهاجرين ، وأنتم أحق الناس ان لا يكون هذا الامر واختلافه على أيديكم ، وأبعد أن لا تحسدوا اخوانكم

على خير ساقه الله تعالى اليهم ، وانما ادعوكم الى أبى عبيدة ، أو عمر ، وكلاهما قد رضيت لكم ولهذا الامر ، وكلاهما له أهل . فقال عمر ، وأبو عبيدة رضى الله عنهما : ما ينبغى لاحد من الناس أن يكون فوقك يا أبا بكر ، أنت صاحب الغار ، ثانى اثنين ، وأمرك رسول الله ﷺ بالصلاة ، فأنت أحق الناس بهذا الأمر .

فقال الانصار : والله ما نحسدكم على خير ساقه الله اليكم ، وانّا لكما وصفت يا أبا بكر والحمد لله ، ولا أحد من خلق الله أحب الينا منكم ، ولا أرضى عندنا ولا أيمن ، ولكننا نشفق مما بعد اليوم ، ونحذر أن يغلب على هذا الامر من ليس منا ولا منكم ، فلو جعلتم اليوم رجلا منا ، ورجلا منكم بايعنا ورضينا ، على انه اذا هلك اخترنا آخر من الانصار ، فاذا هلك اخترنا آخر من المهاجرين ، أبداً ما بقيت هذه الأمة ، كان ذلك أجدر ان يعدل فى أمة محمد ﷺ ، وأن يكون بعضنا يتبع بعضا فيشفق القرشى ان يرفع فينقض عليه الانصارى ، ويشفق الانصارى ان يرفع فينقض عليه القرشى .

فقام أبو بكر الصديق رضى الله عنه فحمد الله تعالى واثنى عليه وقال : ان الله تعالى بعث محمدا ﷺ رسولا الى خلقه وشهيدا على امته ليعبدوا الله ويوحدوه ، وهم اذ ذاك يعبدون آلهة شتى يزعمون انها لهم شافعة وعليهم بالغة نافعة ، وانما كانت حجارة منحوتة ، وخشب منجورة .فاقرأوا ان شئتم (انكم وما تعبدون من دون الله ـ ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وقالوا (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم فخص الله تعالى المهاجرين الاولين بتصديقه ، والايمان به ، والمواساة والصبر معه على الشدة من قومهم واذلالهم وتكذيبهم اياهم ، وكل الناس مخالف عليهم زار لهم ، فلم يستوحشوا قلة عدتهم ، وازراء الناس لهم ، واجتماع قومهم عليهم ، فهم أوَّلُ من عبد الله فى الارض ، وأول من آمن بالله تعالى ورسوله ﷺ ، وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بالامر من بعده ، لا ينازعهم فيه الا ظالم ، وأنتم يا معشر الانصار من لا ينكر فضلهم ، ولا النعمة العظيمة لهم فى الاسلام ، رضيكم الله تعالى أنصاراً لدينه ولرسوله ، وجعل اليكم مهاجرته ، فليس بعد المهاجرين الاولين أحد عندنا بمنزلتكم فنحن الامراء ، وأنتم الوزراء ، لانفتات دونكم بمشورة ، ولا نقضى دونكم الامور . فقام الحباب بن المنذر بن زيد بن حرام الانصارى رضى الله عنه فقال : يا معشر الانصار املكوا على أيديكم فانما الناس فى فيئكم وظلالكم ، ولن يجير مجير

على خلافكم . ولن يصدر الناس الا عن رأيكم . وأنتم أهل العز والثروة . وأولوا العدد والنجدة . وانما ينظر الناس ما تصنعون فلا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم . وتقطعوا أموركم . وأنتم أهل الايواء . واليكم كانت الهجرة . ولكم فى السابقين الاولين مثل ما لهم . وأنتم اصحاب الدار والايمان من قبلهم . والله ما عبدوا الله علانية الا فى بلادكم ولا جمعت الصلاة الا فى مساجدكم . ولادانت العرب للاسلام الا بأسيافكم . فأنتم أعظم الناس نصيبا فى هذا الامر . وان أبى القوم فمنا أمير . ومنهم أمير . فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : هيهات لا يجتمع سيفان فى غمد واحد . انه والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم . ولكن العرب لا ينبغى أن تولى هذا الامر الا من كانت النبوة فيهم . وأولى الأمر منهم . لنا بذلك على من خالفنا من العرب الحجة الظاهرة . والسلطان المبين . من ينازعنا سلطان محمد وميراثه . ونحن أولياؤه وعشيرته . إلا مدل بباطل . أو متجانف لاثم . أو متورط فى هلكة . فقام الحباب بن المنذر رضى الله عنه فقال : يا معشر الانصار أملكوا على أيديكم . ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه . فيذهبوا بنصيبكم من هذا الامر. فان أبوا عليكم ما سألتم فاجلوهم من بلادكم وولوا عليكم وعليهم من أردتم . فأنتم والله أولى بهذا الامر منهم فان دان لهذا الامر من لم يدن له باسيافنا . انا جُذَيْلَها المحكك . وعُذَيْقها المرجب . أما والله ان شئتم لنعيدنها جذعة . والله لا يرد علىّ أحد ما أقول الا حطمت أنفه بالسيف .

فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : فلما كان الحباب هو الذى يجيبنى لم يكن لى معه كلام لأنه كان بينى وبينه منازعة فى حياة رسول الله ﷺ فنهانى عنه . فحلفت أن لا أكلمه كلمة تسوءه أبدا . ثم قام أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه فقال : يا معشر الانصار أنتم أول من نصر وآوى . فلا تكونوا أول من يبدل . ويغير . وجاء فى مسند الامام أحمد ونقله عنه الحافظ ابن كثير فى تاريخه البداية والنهاية أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال فى خطبته يوم السقيفة : لقد علمتم ان رسول الله ﷺ قال «لو سلك الناس واديا وسلكت الانصار واديا سلكت وادى الانصار»، ولقد علمت يا سعد ان رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد « قريش ولاة هذا الامر . فبر الناس تبع لبرهم . وفاجرهم تبع لفاجرهم » فقال له (سعد بن عبادة): صدقت نحن الوزراء وأنتم الامراء .

فهذا اعتراف من سعد بن عبادة رضى الله عنه بان الخلافه لقريش . غير أنه لم يشأ أن يبايع أبا بكر كما سيأتى تفصيله .

ثم ان بشير بن سعد بن ثعلبة الانصارى الخزرجى رضى الله عنه والد النعمان بن بشير شهد العقبة ، وبدرا ، واحدا ، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ .وكان من كبار الانصار وسادات الخزرج فكان ممن شهد يوم السقيفة فلما رأى ما اتفق عليه قومه من تأمير سعد بن عبادة رضى الله عنه قام فقال : يا معشر الانصار انا والله لئن كنا أولى الفضيلة فى جهاد المشركين . والسابقة فى الدين ، ما أردنا به ان شاء الله غير رضا ربنا ، وطاعة نبينا ، والكدح لانفسنا ، فما ينبغى لنا أن نستطيل بذلك على الناس ، ولا نبتغى به عرضا من الدنيا ، فان الله تعالى ولى النعمه ، والمنة علينا بذلك ، الا ان محمدا رسول الله ﷺ من قريش وقومه أحق بميراثه وتولى سلطانه ، وأيم الله لا يرانى أنازعهم هذا الأمر أبداً ، فاتقوا الله ولا تخالفوهم ، ولا تنازعوهم .

ثم قام أبو بكر الصديق رضى الله عنه فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم دعاهم الى الجماعة ونهاهم عن الفرقة ، وقال : انى ناصح لكم فى أحد هذين الرجلين أبى عبيدة ابن الجراح ، أو عمر ، فبايعوا من شئتم منهما . فقال عمر رضى الله عنه : معاذ الله أن يكون ذلك وأنت بين اظهرنا . انت احقنا بهذا الأمر .. وأقدمنا صحبة لرسول الله ﷺ ، وأفضل منا فى المال ، وأنت أفضل المهاجرين ، وثانى اثنين اذهما فى الغار ، وخليفته على الصلاة ، والصلاة أفضل دين الاسلام ، فمن ذا ينبغى أن يتقدمك ، أو يتولى هذا الأمر عليك ، أبسط يدك أبايعك .

قال ابن جرير ، وابن خلدون ، فلما ذهب عمر ، وأبو عبيدة يبايعانه سبقهما اليه بشير ابن سعد الانصارى رضى الله عنه فبايعه ، فناداه الحباب بن المنذر : يا بشير بن سعد عاقك عائق ما اضطرك الى ما صنعت ؟ أنفست على ابن عمك الامارة . فقال بشير : لا والله ولكنى كرهت ان أنازع قوما حقا جعله الله لهم . فلما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد وهو من سادات الخزرج وما تدعو اليه المهاجرين من قريش ، وتطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة ، قال بعضهم لبعض ، وفيهم اسيد بن حضير رضى الله عنه وكان احد النقباء ومن سادات الأوس : والله لئن وليتموها الخزرج عليكم مرة واحدة لازالت لهم بذلك عليكم الفضيلة ولا جعلوا لكم معهم نصيبا فيها أبداً ، فقوموا فبايعوا أبا بكر . فقاموا اليه فبايعوه .

فقام الحباب بن المنذر الى سيفه فأخذه ، فبادروا اليه فأخذوا السيف منه ، فجعل

يضرب بثوبه وجوههم حتى فرغوا من البيعة . فقال الحباب : فعلتموها يا معشر الانصار؛ أما والله لكأني بأبنائكم على أبواب أبنائهم قد وقفوا يسألونهم بأكفهم ولا يسقون الماء . فقال له أبو بكر رضى الله عنه : أمنا تخاف يا حباب ؟ قال الحباب : ليس منك أخاف ولكن ممن يجيء بعدك . فقال أبو بكر : فاذا كان ذلك كذلك فالامر اليك والى أصحابك ، ليس لنا عليكم طاعة . قال الحباب : هيهات يا أبا بكر اذا ذهبت أنا وأنت وجاءنا بعدك من يسومنا الضيم .

فقال سعد بن عبادة : أما والله لو أن لى ما أقدر به على النهوض لسمعتم من فى أقطارها زئيرا يخرجك أنت وأصحابك ، ولألحقتك بقوم كنت فيهم تابعا غير متبوع ، خادما غير عزيز .

ثم أقبلت أسلم فيمن أقبل بجماعتها حتى تضايق بهم السكك فبايعوا أبا بكر . فكان عمر رضى الله عنه يقول : ما هو الا أن رأيت أسلم فايقنت بالنصر . وأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر رضى الله عنه وكادوا يطأون سعد بن عبادة . فقال ناس من اصحابه : اتقوا سعدا لا تقتلوه . فقال عمر : اقتلوه قتله الله . فقال أبو بكر : مهلا يا عمر الرفق هنا أبلغ . فقال سعد بن عبادة : احملونى من هذا المكان ، فحملوه فادخلوه داره . هذا ما كان من أمر السقيفة

ثم ان بنى هاشم اجتمعت عند بيعة الانصار الى على بن أبى طالب رضى الله عنه ومعهم الزبير بن العوام رضى الله عنه وكان يعد نفسه من بنى هاشم لأن أمه صفية بنت عبد المطلب رضى الله عنها . واجتمعت بنو أمية الى عثمان بن عفان رضى الله عنه واجتمعت بنو زهرة الى سعد بن أبى وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما فكانوا فى مسجد رسول الله ﷺ مجتمعين ، فلما أقبل عليهم أبو بكر ، وعمر ، وأبو عبيدة ، رضى الله عنهم وقد بايع الناس أبا بكر فى السقيفة قال لهم عمر رضى الله عنه : ما لى أراكم مجتمعين حلقا شتى قوموا فبايعوا ابا بكر فقد بايعه الأنصار . فقام عثمان بن عفان رضى الله عنه ومن معه من بنى أمية فبايعوه . وقام سعد بن أبى وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ومن معهما من بنى زهرة فبايعوه .

وأما على بن أبى طالب ، والعباس بن عبد المطلب رضى الله عنهما ومن معهما من بنى هاشم فانصرفوا الى رحالهم ومعهم الزبير بن العوام ، فذهب اليهم عمر بن الخطاب فى عصابة فيهم أسيد بن حضير ، وسلمة بن أشيم من الانصار رضى الله عنهم فقالوا لهم

انطلقوا فبايعوا أبا بكر . فأبـوا . . وخرج الزبير بن العوام بالسيف فقال عمر عليـكم بالرجل فخذوه . فوثب عليه سلمة بن أشيم الانصارى فأخذ السيف من يده فضرب به الجدار . وانطلقوا به فبايع وذهب . وذهب بنو هاشم ايضا فبايعوا . ما عدا على بن ابى طالب والعباس بن عبد المطلب رضى الله عنهما .

معظم ما ذكرناه مأخوذ من تاريخ ابن جرير الطبرى وقد تقدم أن رواية البخارى وغيره صريحة بأن أول من بايع ابا بكر الصديق رضى الله عنه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ورواية ابن جرير وابن خلدون وكذلك ابن قتيبة فى الامامة والسياسة أن أول من بايع أبا بكر بشير بن سعد ، كما جاء فى سياق العبارة ، وأيد ذلك الحافظ ابن عبد البر فى الاستيعاب فى ترجمة بشير بن سعد قال: يقال انه اول من بايع أبا بكر الصديق يوم السقيفة من الانصار . وقال الحافظ ابن حجر فى الاصابة فى ترجمته أيضا انه اول من بايع أبا بكر من الانصار . ولا تخالف فى ذلك فيكون عمر رضى الله عنه أول من بايع أبا بكر من المهاجرين هو وأبو عبيدة بن الجراح فى سقيفة بنى ساعدة ، وبشير بن سعد أول من بايع من الانصار ، وهذا توفيق بين الروايتين ، وعلى كلا الحالتين فاسراع بشـير بن سعـد الانصارى الى بيعة أبى بكر كانت هى الحل الوحيد لذلك التشادد الـذى وقـع بـين المهاجرين والانصار فى السقيفة وهى السيف القاطع لآمال سعد بن عبادة ، والحباب بن المنذر ، رضى الله عنهما ، فتسرعه ذلك كان أجمع لكلمة المسلمين على أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فلو لم يتسرع بشير بن سعد لطال المجال فى ذلك . وهذا أعظم درس يتخذ فى أمثال هذه الأمور العظام من كون التسرع فيها أفضل وانجز للعمل من التروى والأنـاة والتراخى خصوصا فى أمثال ذلك من الامور الاجتماعية العظمى ، اذ فى اجتماع الكلمة قبل التفكك والانحلال والتخاذل وجعل حد لاختلاف الآراء وتشعب الافـكار والمشارب والأهواء من الفائدة العظمى ما لا يرتجى من الأناة والصبر مثله . فالصبر محمود فى غير هذه الامور . والاسراع واجب فى مثل هذه القضية وما شاكلها .

فلما كان الغد جلس أبو بكر الصديق رضى الله عنه على المنبر فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فتكلم قبل أبى بكر فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أيها الناس انى قد كنت قلت لكم بالامس مقالة ما كانت ولا وجدتها فى كتاب الله تعالى ، ولا كانت عهداً عهده الى رسول الله ﷺ ولكن قد كنت أرى ان رسول الله ﷺ سيُدَبِّرَ

أمرنا ـ أى يكون آخرنا وفاة ـ وان الله قد أبقى فيكم كتابه الذى به هدى الله ورسوله ﷺ فان اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له . وان الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله ﷺ ثانى اثنين اذهما فى الغار . فقوموا فبايعوه . فبايع الناس أبا بكر الصديق رضى الله عنه بيعة عامة بعد بيعة السقيفة . ثم تكلم أبو بكر رضى الله عنه فحمد الله تعالى وأثنى عليه بالذى هو أهله ثم قال : أما بعد أيها الناس فانى قد وليت عليكم ولست بخيركم . فان أحسنت فأعينونى . وان أسأت فقومونى . الصدق أمانة . والكذب خيانة . والضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه ان شاء الله . والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ان شاء الله . لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله الا ضربهم الله بالذل . ولا تشيع الفاحشة فى قوم قط الا عمهم الله بالبلاء . أطيعونى ما أطعت الله ورسوله . فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم قوموا الى الصلاة يرحمكم الله .

❊ ❊ ❊

بيعة علي بن أبي طالب لأبي بكر

قد ورد فى بيعة على بن أبى طالب رضى الله عنه لأبى بكر الصديق رضى الله عنه فى اليوم الثانى للسقيفة عدة روايات منها: روى ابن جرير الطبرى فى تاريخه عن حبيب ابن أبى ثابت قال : كان على بن أبى طالب فى بيته اذ أتى فقيل له قد جلس أبو بكر للبيعة ، فخرج فى قميص ما عليه ازار ، ولا رداء ، عجلا كراهية أن يبطىء عنها حتى بايع ، ثم جلس اليه وبعث الى ثوبه فأتاه فتجلله ولزم مجلسه . وروى الحافظ ابن كثير فى تاريخه (البداية والنهاية) عن الحافظ البيهقى من حديث طويل ذكر فيه بيعة أبى بكر العامة الى ان قال : فصعد أبو بكر المنبر فنظر فى وجوه القوم فلم ير الزبير . قال فدعا الزبير فجاء فقال : قلت ابن عمة رسول الله ﷺ وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين ؟ فقال ـ الزبير ـ : لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ فقام فبايعه . ثم نظر فى وجوه القوم فلم ير عليا فدعا بعلى بن أبى طالب فجاء ، فقال : قلت ابن عم رسول الله ﷺ وختنه على ابنته أردت أن تشق عصا المسلمين ؟ قال ـ علىّ ـ لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ فبايعه . وقد أورد ابن كثير عدة روايات تثبت ما تقدم ثم قال الحافظ ابن كثير : وفيه فائدة جليلة وهى مبايعة على بن ابى طالب اما فى اول يوم ، أو فى اليوم الثانى من الوفاة ، وهذا حق فان على بن أبى طالب لم يفارق الصديق فى وقت من الأوقات ولم ينقطع فى صلاة من الصلوات خلفه كما سنذكره ، وخرج معه الى ذى القصة لما خرج الصديق شاهراً سيفه يريد قتال أهل الردة كما سنبينه قريبا ولكن لما حصل من فاطمة رضى الله عنها عتب على الصديق بسبب ما كانت متوهمة من انها تستحق ميراث رسول الله ﷺ ولم تعلم بما أخبرها به الصديق رضى الله عنه انه قال: « لا نورث ما تركنا فهو صدقة » فحجبها وغيرها من ازواجه وعمه ـ يعنى رسول الله ﷺ ـ عن الميراث بهذا النص الصريح كما سنبين ذلك فى موضعه ، فسألته أن يُنَظِّرَ على فى صدقة الأرض التى بخيبر وفدك ، فلم يجبها الى ذلك لأنه رأى أن حقا عليه أن يقوم فى جميع ما كان يتولاه رسول الله ﷺ وهو الصادق البار الراشد التابع للحق رضى الله عنه ، فحصل لها أى

لفاطمة رضى الله عنها وهى امرأة من البشر ليست براجية العصمة عتب وغضب ولم تكلم الصديق حتى ماتت . واحتاج على ان يراعي خاطرها بعض الشىء فلما ماتت بعد ستة اسهر من وفاة أبيها ﷺ رأى علىُّ أن يجدد البيعة مع أبى بكر رضى الله عنه كما سنذكره فيما بعد مما تقدم له من البيعة قبل دفن رسول الله ﷺ . ويزيد ذلك صحة قول موسى بن عقبه فى مغازيه عن سعد بن ابراهيم: حدثنى أبى أن أباه عبد الرحمن بن عوف كان مع عمر وأن محمد بن مسلمة كسر سيف الزبير ثم خطب أبو بكر واعتذر الى الناس وقال : ما كنت حريصا على الامارة يوما ولا ليلة ولا سألتها فى السر ولا علانيه . فقبل المهاجرون مقالته . وقال على والزبير : ما غضبنا الا لأنا أخرنا عن المشورة ، وانا نرى أن أبا بكر أحق الناس بها ، انه لصاحب الغار وانا لنعرف شرفه وخبره . ولقد أمره رسول الله ﷺ أن يصلى بالناس وهو حى . ثم قال الحافظ ابن كثير: ومن تأمل ما ذكرناه ظهر له اجماع الصحابة المهاجرين منهم والانصار على تقديم أبى بكر . وظهر برهان قوله ﷺ « يأبى الله والمؤمنون الا أبا بكر » وظهر له أن رسول الله ﷺ لم ينص على الخلافة عينا لأحد من الناس لا لأبى بكر كما قد زعمه طائفة من أهل السنة . ولا لعلى كما يقوله طائفة من الرافضة . ولكن اشار اشارة قوية يفهمها كل ذى لب وعقل الى الصديق كما قدمنا . ثم ذكر حديثا من طريق البيهقى باعتراف على بن أبى طالب رضى الله عنه ان النبى ﷺ توفى ولم يوص لأحد بالخلافة وهو عن الشعبى عن أبى وائل قال : قيل لعلى بن أبى طالب الا تستخلف علينا ؟ فقال ما استخلف رسول الله ﷺ فاستخلف . ولكن ان يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدى على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم . قال الحافظ ابن كثير اسناده جيد . وذكر حديث البخارى المروى عن ابن عباس : ان عباسا وعليا لما خرجا من عند رسول الله ﷺ فقال رجل كيف أصبح رسول الله ﷺ ؟ فقال علىُّ : أصبح بحمد الله بارئا . فقال العباس : انك والله عبد العصا بعد ثلاث . وانى لأعرف فى وجوه بنى هاشم الموت . وانى لأرى فى وجه رسول الله ﷺ الموت . فاذهب بنا اليه فنسأله فيمن هذا الامر ؟ فان كان فينا عرفناه . وان كان فى غيرنا أمرناه فوصاه بنا . فقال علىّ : انى لا أسأله ذلك . والله ان منعناها لا يعطيناها الناس بعده أبداً . ثم قال الحافظ ابن كثير عقب ذلك : وهذا الحديث الثابت فى الصحيحين وغيرهما عن على رضى الله عنه يرد فرقة الرافضة فى زعمهم أن رسول الله ﷺ أوصى اليه بالخلافة . ولو كان الامر

كما زعموا لما رد ذلك أحد من الصحابة فانهم كانوا أطوع لله ورسوله فى حياته وبعد وفاته من أن يفتاتوا عليه فيقدموا غير من قدمه ، ويؤخروا من قدمه بنصه ، حاشا وكلا ، ومن ظن بالصحابة رضوان الله عليهم ذلك فقد نسبهم بأجمعهم الى الفجور والتواطؤ على معاندة الرسول ﷺ ومضادتهم فى حكمة ونصه ، ومن وصل من الناس الى هذا المقام فقد خلع ربقة الاسلام وكفر باجماع الأئمة الاعلام ، وكان اراقة دمه أحل من اراقة المدام ، ثم لو كان مع على بن أبى طالب رضى الله عنه نص فلم لا كان يحتج به على الصحابة على اثبات امارته عليهم وامامته لهم ، فان لم يقدر على تنفيذ ما معه من النص فهو عاجز ، والعاجز لا يصلح للامارة ، وان كان يقدر ولم يفعله فهو خائن ، والخائن الفاسق مسلوب ومعزول عن الامارة ، وان لم يعلم بوجود النص فهو جاهل.

فتحصل مما تقدم ثبوت مبايعة على بن ابى طالب رضى الله عنه لأبى بكر الصديق بالخلافة فى اليوم الثانى من وفاة رسول الله ﷺ ، وثبت انه لم تكن هناك وصاية بالخلافة لعلى بن ابى طالب من رسول الله ﷺ ولا لأبى بكر الصديق ، وانما كما تقدم كانت اشارة منه ﷺ الى أبى بكر الصديق مع أن أبا بكر الصديق لم يَحْتج بهذه الاشارة يوم السقيفة وانما انحصر احتجاجه على الانصار بأن الخلافة فى المهاجرين من قريش وارشدهم الى أبى عبيدة وعمر . فاذا كان الأمر كما تقدم وقد صرح على بن أبى طالب رضى الله عنه بأن النبى ﷺ توفى ولم يوص له ولا لغيره بالخلافة فمن أين للرافضة ولمن اغتر بقولهم من الناس أن النبى ﷺ أوصى بالخلافة لعلى ، وان الصحابة اغتصبوه أياها ؟ وهنا نتساءل مع من يظن صحة ذلك : فهل كانت الرافضة علمت ذلك ، وجهله على بن أبى طالب ؟ ومن أين اتاها هذا الخبر ؟ فلو فكروا قليلا لعلموا ان بقولهم هذا قد نسبوا الى أمير المؤمنين على كرم الله وجهه الجهل ، والجبن ، مع أن عليا لما بويع بالخلافة بعد قتل عثمان جرد سيفه فى وجه كل من تعرض له فى الخلافة بنقض البيعة أو الخروج عليه ، وهذا اعظم دليل على صحة قولنا انه لو كان عند على بن ابى طالب علم أو خبر بأن رسول الله ﷺ أوصى له بالخلافة لما تأخر عن أخذها رغم معارضية بحد السيف ، مع انه لو وجد نص لما عارضه فيها أحد من الصحابة لا أبو بكر ، ولا عمر ، ولا عثمان ، ولا غيرهم . فاذا كان الصحابة رضى الله عنهم قد انقادوا لوصاية أبى بكر بالخلافة لعمر ، وانقادوا لوصاية عمر بمجلس الشورى وباسماء من يكون الخليفة منهم أفلا يكونون أشد انقياداً لأمر رسول الله ﷺ ؟

هذا ما يجزم به كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر ان الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين هم أشد الناس تمسكا وانقياداً وخضوعاً لأمر رسول الله ﷺ ، وهم أتقى الناس عموماً ، وأنهم أشد حبا لله ورسوله وأهل بيته الطاهر وبالاخص على بن أبى طالب من الرافضة ومن على شاكلتهم . واننا لننظر الى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه بنظر أعلى وأدق وأرفع شأنا من الرافضة ومن جاراهم على أهوائهم فانه رضى الله عنه كان عالما حكيما بالأمور الدينية والسياسية والاجتماعية . فالذى جعله يبادر بالبيعة فى اليوم الثانى من وفاة رسول الله ﷺ لأبى بكر الصديق بالخلافة بعد أنه تأبى عن البيعة فى اليوم الأول هو لأنه رأى الناس قد اجمعوا على بيعة أبى بكر بالخلافة . ولكونه كان أعلم الناس بالمضار التى تتأتى من مفارقة الجماعة . حيث لم يكن غبيا كما تتصوره الرافضة أو أحمق حتى انه يتقاعد أو يتخلى عن أداء الواجب الدينى الذى كان هو أعلم الناس به من غيره . وان كان له أمل عظيم فى أن تكون البيعة بالخلافة له فى ذلك اليوم لكنه رأى أن تأخره عن الجماعة يضر به وبالجامعة الاسلامية .

فلما بايع على رضى الله عنه أبا بكر الصديق رضى الله عنه بالخلافة فى اليوم الثانى من وفاة رسول الله ﷺ أتاه أبو سفيان بن حرب فقال له : ما بال هذا الأمر فى أقل حَيّ من قريش ؟ والله لئن شئت لأملأنها عليهم خيلا ورجلا . فقال له على رضى الله عنه : يا أبا سفيان طال ما عاديت الاسلام وأهله فلم تضره بذلك شيئا . وانا وجدنا أبا بكر لها أهلا . فهذا على بن أبى طالب رضى الله عنه يعترف بفضل أبى بكر الصديق رضى الله عنه أمام ابى سفيان ويرد عليه مقالته ومعونته ولم يكن ذلك من على رضى الله عنه جبنا . أو عدم رغبة فى الخلافة . وانما أراد أن يصارح أبا سفيان بالحق الذى لا غبار عليه . ويعلمه أن بيعته له كانت عن رضا منه ولأهلية أبى بكر الصديق لها . فالانصاف المجرد من الاهواء يجعل الرجل الحكيم يصرح بالحقيقة وان كانت ضد مصلحته . لأن عنده تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة من الواجبات . ولو فكرنا فى قول ابى سفيان لعلى . هل هو ناشىء عن حب واخلاص لعلى ؟ أو عن عصبية لبنى عبد مناف ؟ أو لتفريق الكلمة ضد أبى بكر الصديق لعداوة بينهما ؟ فالذى يظهر من صريح قوله انه كان مراده أن تكون الخلافة فى بنى عبد مناف التى تجمع بنى أمية وبنى هاشم فيه من أن تكون فى بنى تيم أو غيرها من قبائل قريش . مع أن المسألة ليست هى تقديم قبيلة على قبيلة بالخلافة وانما هى

مسألة اجتماعية ، وانما تعطى الخلافة لمن وجدت فيه الكفاءة ورضى به أهل الحل والعقد من رجالات قريش على قول ، ومن عموم المسلمين على قول كما تقدم فى بحث الخلافة . هذا ما كان من أمر بيعة على بن أبى طالب رضى الله عنه الأولى بالخلافة لأبى بكر الصديق رضى الله عنه .

ثم بعث ابو بكر رضى الله عنه الى سعد بن عبادة الأنصارى رضى الله عنه ان أقبل فبايع فقد بايع الناس ، وبايع قومك الأنصار فقال : أما والله حتى أرميكم بكل سهم فى كنانتى من نبل وأخضب منكم سنانى ورمحى ، وأضربكم بسيفى وما ملكته يدى ، وأقاتلكم بمن معى من أهلى وعشيرتى ، ولا والله لو أن الجن اجتمعت لكم مع الانس مابايعتكم حتى أعرض على ربى وأعلم حسابى . فلما بلغ أبا بكر رضى الله عنه قول سعد ، قال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لا تدعه حتى يبايعك . فقال لهم بشير بن سعد الأنصارى رضى الله عنه ذلك الذى أول من بايع أبا بكر من الأنصار فى السقيفة : انه قد أبى وَلَجَّ ، وليس يبايعك حتى يقتل ، وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده وأهل بيته وعشيرته ، ولن تقتلوهم حتى تقتل الخزرج ، ولن تقتل الخزرج حتى تقتل الأوس ، فلا تفسدوا على أنفسكم أمراً قد استقام لكم ، فاتركوه فليس بضاركم وانما هو رجل واحد .

فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد الأنصارى رضى الله عنه والذى ظهر من امتناع سعد بن عبادة الأنصارى عن البيعة لأبى بكر الصديق بعد أن اجتمع المهاجرون والأنصار على بيعته هو لكونه كان يرى نفسه صاحب الحق فيها على ظنه ان الخلافة كالرآسة فى القوم وهو سيد قومه جاهلية واسلاما ، أو على الأقل يكون اميرا على الأنصار كما صرح بذلك الأنصار يوم السقيفة بقولهم : منا أمير ومنكم أمير ، فلما لم تتم له الأولى وهى الخلافة ، ولم تتم له الثانية وهى امارة الأنصار او التبادل فى امرة المؤمنين بمعنى ان تكون امارة المؤمنين مرة عند المهاجرين ومرة عند الأنصار وتُعْقَدُ البيعة للاثنين فى آن واحد حتى اذا مات الأول كان الثانى منصبا حسب البيعة الأولى له ، فلذلك أخذه الحنق على المهاجرين إذ قد فشل بعد ان كادت تتم له البيعة فى السقيفة لو لم يداركهم ابو بكر وعمر ، وأبو عبيدة وكان اشد حنقا على قومه الخزرج وبالأخص على بشير بن سعد الخزرجى . ذلك الذى جعل حدا لآمال سعد بن عبادة فى الخلافة . وهذا سعد بن عبادة

هو سيد الخزرج وهو من السابقين الأولين الى الاسلام ، وممن له الأيادى البيضاء على المهاجرين من المساعدة والمواساة ، وقد شهد المشاهد كلها مع رسول ﷺ واختلف فى بدر وأثبته أكثر أهل العلم ، وروى الحافظ ابن حجر فى الاصابة عن ابن سعد انه قال فى حق سعد بن عبادة : كان يكتب بالعربية ويحسن الرمى والعوم ، فكان يقال له الكامل ، وكان مشهورا بالجود هو وأبوه وجده وولده ، وكان لهم أطمٌ ينادى عليه كل يوم : من أحب الشحم واللحم فليأت أطم دليم بن حارثة ـ وهو جده ـ وكانت جفنة سعد بن عبادة ـ أى آنية طعامه تدور مع النبى ﷺ فى بيوت أزواجه . وقال مقسم عن ابن عباس رضى الله عنهما كان لرسول الله ﷺ فى المواطن كلها رايتان: مع علىّ راية المهاجرين ، ومع سعد بن عبادة راية الأنصار . وفى رواية لأحمد بن حنبل ان النبى ﷺ رفع يده فقال : « اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة » وروى عن محمد بن سيرين ان سعد ابن عبادة كان يعشى كل ليلة ثمانين من اهل الصفة . قال الحافظ ابن حجر : خرج سعد الى الشام فمات بحوران سنة خمس عشرة .

فلهذه المزايا كان سعد بن عبادة يتطلب الامارة ، وكما لا يخفى ان التطلع الى المعالى هو من شيم النفوس الكبيرة ولم يكن عيبا فى عظماء الرجال ، وانما جاء الاسلام بقاعدة الاجتماع الصحيح وهو جعل الخلافة حقا من حقوق المسلمين يبايعون بها من يرون فيه الكفاءة التامة ، ومتى عقدت البيعة لرجل منهم وجب على كافة المسلمين الانقياد له فى كل شىء متى سار على الحق الذى هو صريح فى القرآن المجيد ، وفى السنة النبوية الصحيحة ، فاذا حاد عن ذلك وجب على المسلمين ان يقوموه ، ولما ان قد تمت البيعة لأبى بكر الصديق كان من الواجب على سعد بن عبادة أن يبايع ابا بكر بالخلافة ، ولكن كان سعد يرى غير ذلك الى ان مات بالشام كما تقدم .

هذا حاصل ماوقع فى بيعة ابى بكر الصديق رضى الله عنه بالخلافة قد تتبعت فيه أحسن المصادر من كتب التاريخ والتراجم والصحيحين وشروحهما ومن التاريخ تاريخ ابن جرير الطبرى ، والبداية والنهاية للحافظ ابن كثير ، وتاريخ ابن الأثير ، وتاريخ ابن خلدون ، وتاريخ الخلفا للسيوطى ، والامامة والسياسية لابن قتيبة ، والرياض النضرة للمحب الطبرى ، والعقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسى ، وتاريخ الخميس ، وتاريخ ابن الوردى ، ومروج الذهب للمسعودى ، والاصابة للحافظ ابن حجر ، والاستيعاب للحافظ

ابن عبدالبر ، وأسد الغابة لابن الأثير ، وغير ذلك مما توفقت لمراجعتها من الكتب لكى اقف على ماذكره المؤرخون فى ذلك ، حيث ان كثيرا من أهل الأهواء قد أدخل فى بعض التاريخ الاسلامى من صنوف الشقاق وخلقوا من المشاكل مالم يكن لها صحة ولا أثر ، وقد بذلت مافى.وسعى فى تتبع الصحيح من الخبر حتى وصلت الى مادونته هنا ، ولعلى أكون قد أصبت الحقيقة وبالله التوفيق .

ومن مطالعة ما تقدم يظهر للقارىء ماجرى بين ابى بكر الصديق وبين الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة ، وماقام به ابوبكر رضى الله عنه من إدلاء الحجج الدامغة ، والبراهين الساطعة فى اثبات كون الخلافة تكون بعد رسول الله ﷺ للمهاجرين من قريش ، وماقام به فى مسجد رسول الله ﷺ من اقناع المهاجرين والزامهم بالبيعة له بعد ان بايعه الناس . والحقيقة ان موقف ابى بكر الصديق فى ذلك اليوم العصيب كان من أشد المواقف الاجتماعية خطراً ، وهيبة ، ورهبة ، ووجلا ، فقد برز ابوبكر الصديق رضى الله عنه فى ذلك الميدان الرهيب العظيم الدقيق الخطير بمظهر لم يعهد من أبى بكر أنه قد وقف مثله ، ولم يخطر على بال أحد أنه يقف ذلك الموقف برباطة جأش ، وثبات قلب ، وهدوء خاطر ، وسعة خُلق ، وشرف نفس ، وشمم عال ، فكان فى ذلك الموقف الجليل الخطير هو الخطيب المصقع ، والمناظر المفحم ، والمحاور المقنع ، فكانت خطبته والحق يقال من أعظم الخطب متانة وبلاغة ، ودقة معان ، فقد أشبعها من الحكم الرائعة ما دحض بها حجج كل من باراه وناظره فى ذلك الميدان الرهيب ، بل كان فارس ذلك المعترك السياسى الاجتماعى الخطير ، فتراه كالطود العظيم وهو يلقى على السامعين أدلته على ثبوت دعواه ولم ينثن له عزم ، ولم تخر قواه ، ولم تنحل عراه ، مع انه كان فى ذلك المجتمع الرهيب فرداً من أفراد الأمة لا أكثر من ذلك ، ولكنه قد أبان لأولئك الرجال الكبار ، والأبطال العظام ، والسادة الفخام ، الذين هم أجلاء المهاجرين والأنصار ، انه هو الرجل الوحيد وفارس ذلك الميدان الرهيب ، الذى يقف ذلك الموقف ، ويجول فى ذلك المجتمع جولاته المقنعة بقوة الحجة ، لا بحد الصارم البتار ، فقد كشف لهم عن حقيقة الخلافة فى الاسلام بأنها لم تكن فى رؤساء القبائل ، أو العشائر ، أو الأفخاذ ، أو الأحزاب ، بل انها فى الدرجة الأولى هى حق من حقوق الأمة المحمدية ، ثم فى الدرجة الثانية هى لمن يكون قادرا على حمل اعباء الخلافة من الوجهة الدينية والأخلاقية ، والاجتماعية ، والسياسية ، كى يصون بذلك بيضة

الاسلام من عبث العابثين ، كما انه قد برهن فى ذلك الموقف الكبير العظيم انه هو الرجل الوحيد الذى يمكنه ان يقوم بأعباء الاسلام والمسلمين بعد رسول الله ﷺ . وانه هو الذى فيه الكفاءة لقيادة فيالق أهل الايمان ، وكتائب أبطال الاسلام ، وهو الذى يكون محل ثقة العموم من مهاجرين وانصار وسائر العرب والمسلمين أجمعين ، كما انه قد كشف لهم فى ذلك الموقف عن حقيقة المستقبل وذلك إذا سمعت قبائل العرب بموت رسول الله ﷺ فكيف يكون الموقف امام ذلك التيار ، ومع ذلك فلم يشر الى نفسه بالخلافة او يدعهم الى بيعته بها ، وانما كان يبذل قصارى جهده فى اقناع المجتمع باختيار احد الرجلين اللذين كانا معه فى السقيفة وهما عمر ، وابوعبيدة ، ولم يكن معه غيرهما من المهاجرين ولاشك انه لو كان معه غيرهما من المهاجرين مثل عثمان ، وعلى ، لأشار عليهم باختيار أحد منهم ، حيث كان مرماه الوحيد ان تكون البيعة بالخلافة للمهاجرين من قريش للحديث الذى احتج به : ان الخلافة فى قريش ما أقاموا الدين . ولكن قد عرف فضل أبى بكر الصديق رضى الله عنه من كان هناك من المهاجرين وسادات الأنصار ، وذلك لأن المواقف الحرجة هى محك الرجال ، ومحص الأبطال ، وفيها يتبارى العظماء ، وفيها يعرف القوى من الضعيف ، والقادر من العاجز ، وصاحب الاقدام من الخامل ، فقد تمثلت شخصية ابى بكر الصديق رضى الله عنه فى ذلك الموقف لأولئك السادة الاعلام الذين كان كل فرد منهم يرى نفسه مثل ابى بكر الصديق فى ايمانه ، وصحبته ، وجهاده ، ونجدته وبلاغته ، وفصاحته ، وكل مزية لديه ، الا أنهم قد قدروا له ذلك الموقف ولم يسعهم الا المبادرة الى اختياره دون غيره ، والمسارعة الى وضع أيديهم فى يده ، والمبايعة له بالخلافة ، لأنهم نظروا الى أربعة أشخاص قد ترشحوا للخلافة فى ذلك الموقف الرهيب الذى كان فى سقيفة بنى ساعدة وهم سعد بن عبادة الذى قد رشحه الأنصار ، وعمر ، وأبوعبيدة ، وقد رشحهما ابوبكر ، وأبوبكر وقد رشحه عمر ، وأبوعبيدة ، فبايعوه طائعين ، وانقادوا لارادته مختارين .

فالانقياد اذا كان باختيار المنقاد يكون تأثيره اعظم وانفع من اذا كان عن قهر وبدون رضا . ولم يكن انقياد المهاجرين والأنصار الى بيعة أبى بكر الصديق رضى الله عنه عن طريق الارغام كما تقدم تفصيله وانما كان ذلك عن رغبة وطيب خاطر ، وذلك لما لهم من علو النفس ، وطهارة القلب ، ونقاوة الأخلاق ، لكونهم لايريدون الا جمع الكلمة والاصلاح ، ولا يريدون علوا فى الأرض ، ولا فسادا بين الناس ، بل غايتهم المنشودة اعلاء كلمة الله

تعالى ، ونصرة الحق ، وربط الجامعة الاسلامية برابطة الايمان الصحيح الذى مبناه على كتاب الله تعالى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . فلذلك كان عصرهم سيد العصور ، وقرنهم خير القرون ، كما أنهم هم أفضل الخلق بعد الأنبياء ، رضى الله عنهم أحسن الرضا .

* * *

قضية ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم

كانت قضية ميراث رسول الله ﷺ من القضايا المهمة التى لا تزال ثورتها ناشبة بين الشيعة والسنة وبصورة أشد وأفظع بين الرافضة والمسلمين عموما واليك حاصلها ..
روى البخارى عن عمرو بن الحارث قال : ماترك رسول الله ﷺ دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة . إلا بغلته البيضاء التى كان يركبها . وسلاحه . وأرضا جعلها لابن السبيل صدقة . وقد روى فى هذا الباب الامام احمد والبخارى وأبوداود ومسلم والنسائى وابن ماجة والترمذى من طرق متعددة تكاد تبلغ درجة التواتر فروى الامام احمد عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : ماترك رسول الله ﷺ دينارا . ولا درهما . ولا شاة . ولا بعيرا . ولا أوصى بشىء . وهذا رواه مسلم وأبوداود والنسائى وابن ماجة من طرق متعددة عن ام المؤمنين عائشة الصديقة رضى الله عنها . وروى الامام احمد عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما ان النبى ﷺ نظر الى أُحُد . فقال « والذى نفسى بيده مايسرنى أُحُداً لآل محمد ذهبا أنفقه فى سبيل الله . أموت يوم أموت وعندى منه ديناران الا أن أرصدهما لدين » قال يعنى ابن عباس : فمات فما ترك ديناراً . ولا درهما . ولا عبداً . ولا وليدة . فترك درعه رهنا عند يهودى بثلاثين صاعا من شعير . وقد أورد فى هذا الباب الحافظ ابن كثير فى تاريخه كثيرا من هذه الأحاديث ثم قال عقبها : قد وردت أحاديث كثيرة سنوردها قريبا بعد هذا الفصل فى ذكر أشياء كان يختص بها ﷺ فى حياته من دور . ومساكن نسائه . وإماء . وعبيد . وخيول . وابل . وغنم . وسلاح . وبغلة . وحمار . وثياب . وخاتم . وأثاث . وغير ذلك فلعله ﷺ تصدق بكثير منها فى حياته منجزاً . وأعتق من إمائه وعبيده . وأرصد ما أرصده من أمتعته . مع ما خصَّه الله به من الأرضين من بنى النضير . وخيبر . وفدك . فى مصالح المسلمين . الا انه لم يخلف من ذلك شيئا يورث عنه قطعا لما سنذكره قريبا وبالله المستعان .

وقد علم من سيرته ﷺ انه لم يكترث بالدنيا وحذافيرها وزخرفها . بل كانت عنده أحقر من أن يسعى لها كما هى عند الله تعالى حقيرة وكان مسعاه لاعلاء كلمة الله تعالى ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، ودعاية الناس الى مافيه سعادة الدنيا والآخرة ، من اقامة العدل والاستقامة وغير ذلك كما هو واضح من سيرته . فلذلك مات ولم يترك شيئا ذا قيمة .

وروى الامام احمد عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لا يقتسم ورثتى دينارا ولا درهما ، وماتركت بعد نفقة نسائى ومؤنة عاملى فهو صدقة » وروى هذا الحديث البخارى ومسلم وأبوداود من طريق عن ابى هريرة وروى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : ان ازواج رسول الله ﷺ حين توفى رسول الله ﷺ أردن أن يبعثن عثمان الى أبى بكر ليسألنه ميراثهن ، فقالت لهن عائشة : أليس قد قال رسول الله ﷺ « لا نورث ماتركنا صدقة » ؟ . ورواه مسلم ايضا وابوداود والنسائى . قال الحافظ ابن كثير فى تاريخه : فهذه احدى النساء الوارثات ان لو قدر ميراث قد اعترفت ان رسول الله ﷺ جعل ماتركه صدقة لا ميراثا ، والظاهر ان بقية أمهات المؤمنين وافقنها على ماروت ، وتذكرن ما قالت لهن من ذلك فان عبارتها تؤذن بأن هذا أمر مقرر عندهن ، والله أعلم . والذى يؤيد نظرية الحافظ ابن كثير انه لم يأت فى الروايات ان نساء النبى ﷺ تركن حديث عائشة وانهن أرسلن عثمان إلى ابى بكر يطلبن الميراث ، وهذا أعظم دليل على انهن كن على علم بحديث رسول الله ﷺ وإلا فلم يتركن المطالبة بميراثهن فلو كان الأمر غير ذلك لما تأخرن عن المطالبة بما لهن من الميراث . والله أعلم .

قال البخارى فى صحيحه (باب قول رسول الله ﷺ لا نورث ماتركنا صدقة) فروى حديثا عن ام المؤمنين عائشة رضى الله عنها : أن فاطمة والعباس أتيا أبابكر رضى الله عنه يلتمسان ميراثهما من رسول الله ﷺ وهما حينئذ يطلبان أرضه من فدك وسهمه من خيبر ، فقال لهما ابوبكر : سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا نُورَث ما تركنا صدقة ، انما يأكل آل محمد من هذا المال » .. قال ابوبكر والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيه الا صنعته . قال فهجرته فاطمة فلم تكلمه حتى ماتت . وروى البخارى فى صحيحه ايضا فى باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ عن عائشة رضى الله عنها ان فاطمة عليها السلام أرسلت الى أبى بكر تسأله ميراثها من النبى ﷺ فيما أفاء الله على رسوله

ﷺ تطلب صدقة النبى ﷺ التى بالمدينة وفدك ومابقى من خمس خيبر . فقال ابوبكر : ان رسول الله ﷺ قال « لا نُورَثُ ماتركنا فهو صدقة إنما يأكل آل محمد من هذا المال » يعنى مال الله ليس لهم أن يزيدوا على المأكل . وانى والله لا أغير شيئا من صدقات النبى ﷺ التى كانت عليها فى عهد النبى ﷺ ولأعملن فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ . فتشهد علىّ ثم قال : انا قد عرفنا يا أبابكر فضيلتك . وذكر قرابتهم من رسول الله ﷺ وحقهم . فتكلم أبوبكر فقال : والذى نفسى بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلىّ أن أصل من قرابتى . فهذه الرواية أتت بشىء من أول القصة ، وطرفا من آخرها .

وروى مسلم فى صحيحه عن مالك بن أوس أن عمر رضى الله عنه قال : كانت اموال بنى النضير مما أفاء الله على رسوله ﷺ مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب . فكانت للنبى ﷺ خاصة . فكان ينفق على أهله نفقة سنة ومابقى جعله فى الكراع والسلاح عدة فى سبيل الله . قال النووى فى شرح مسلم : أما الكراع فهو الخيل ، وقوله ينفق على أهله نفقة سنة أى يعزل لهم نفقة سنة . ولكنه كان ينفقه قبل انقضاء السنة ولهذا توفى رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة على شعير استدانه لأهله ولم يشبع ثلاثة أيام تباعا .

فظهر مما تقدم ان رسول الله ﷺ توفى ولم يترك دينارا ، ولا درهما ، ولا عبدا ، ولا أمة ، ولا شاة ، ولا بعيرا ، ولا شيئا يورث عنه ، الا ماكان من أموال بنى النضير ، وفدك ، وخمس خيبر ، فقد جعلها صدقة . ولما طلب العباس وفاطمة رضى الله عنهما ميراث رسول الله ﷺ من أبى بكر الصديق أخبرهما أن النبى ﷺ قال « لا نورث ماتركنا صدقة » فنتج من ذلك ان غضبت فاطمة رضى الله عنها على أبى بكر . قال الحافظ ابن كثير فى تاريخه : وأما تغضب فاطمة رضى الله عنها وأرضاها على أبى بكر رضى الله عنه وأرضاه فما أدرى ماوجهه فان كان لمنعه اياها ما سألته من الميراث فقد اعتذر اليها بعذر يجب قبوله وهو مارواه عن أبيها رسول الله ﷺ انه قال « لا نُورَثُ ماتركنا صدقة » وهى ممن تنقاد لنص الشارع الذى خفى عليها قبل سؤالها الميراث كما خفى على أزواج النبى ﷺ حتى أخبرتهن عائشة بذلك ووافقنها عليه . ولسنا نظن بفاطمة رضى الله عنها انها اتهمت الصديق رضى الله عنه فيما أخبرها به ، حاشاها وحاشاه من ذلك . كيف وقد وافق على رواية هذا الحديث عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلى بن ابى طالب ،

والعباس بن عبدالمطلب ، وعبدالرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبيدالله ، والزبير بن العوام ، وسعد بن ابى وقاص ، وأبوهريرة ، وعائشة ، رضى الله عنهم أجمعين ، ولو تفرد براويته الصديق رضى الله عنه لوجب على جميع أهل الأرض قبول روايته والانقياد له فى ذلك . وان كان غضبها لأجل ما سألت الصديق إذا كانت هذه الأراضى صدقة لا ميراثا ان يكون زوجها ينظر فيها ، فقد اعتذر بما حاصله انه لما كان خليفة رسول الله ﷺ فهو يرى ان فرضا عليه أن يعمل بما كان يعمله رسول الله ﷺ ويلى ماكان يليه رسول الله ﷺ ، ولهذا قال : وانى والله لا أدع أمرا كان يصنعه فيه رسول الله ﷺ إلا صنعته . وقد اعترف علماء أهل البيت بصحة ما حكم به أبوبكر فى ذلك كما رواه الحافظ البيهقى عن فضيل بن مرزوق قال : قال زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب : أما أنا فلو كنت مكان أبى بكر لحكمت بما حكم به أبو بكر فى فدك .

ومع كل ماتقدم كان ابوبكر رضى الله عنه يحرص أشد الحرص على أخذ خاطر فاطمة الزهراء عليها السلام ، فلما بلغه اشتداد مرضها أتاها فسلم عليها واعتذر لها كما روى ذلك الحافظ البيهقى ونقله عنه الحافظ ابن كثير فى تاريخه عن عامر الشعبى قال : لما مرضت فاطمة أتاها أبوبكر الصديق فاستأذن عليها ، فقال على يا فاطمة هذا أبو بكر يستأذن عليك ؟ فقالت أتحب أن آذن له ؟ قال نعم ! فأذنت له فدخل عليها يترضاها فقال : والله ماتركت الدار والمال والأهل والعشيرة الا ابتغاء مرضاة الله ومرضاة رسوله ومرضاتكم أهل البيت ، ثم ترضاها حتى رضيت . قال الحافظ ابن كثير وهذا إسناد جيد قوى والظاهر ان عامر الشعبى سمعه من علىّ أو ممن سمعه من على . وقد روى هذا الحديث ايضا المحب الطبرى فى الرياض النضرة ، وليس ذلك على ابى بكر ومكارم اخلاقه وفنائه فى حب رسول الله بالمستحيل ان يترضى فاطمة الزهراء رضى الله عنها بل ذلك معلوم من خلق أبى بكر ، واذا لم يكن مثل ابى بكر من يتودد آل البيت الطاهر وبالأخص فاطمة الزهراء فلا يرجى من غيره ذلك ، فان فضل الزهراء لا ينكره أحد من كافة المسلمين وقد قال فيها رسول الله ﷺ كما فى الصحيحين عن المسور بن مخرمة سمعت رسول الله ﷺ على المنبر يقول « فاطمة بضعة مِنّى يؤذينى ما آذاها ، ويريبنى مارابها » وقال النبى ﷺ « فاطمة سيدة نساء أهل الجنة » . وقد روى الحافظ ابن حجر فى الاصابة من طريق الطبرانى وسنده صحيح قالت عائشة : ما رأيت قط أحداً أفضل

من فاطمة غير أبيها . وقال ابن عباس رضى الله عنهما خط النبى ﷺ أربعة خطوط فقال « أفضل نساء أهل الجنة خديجة ، وفاطمة ، ومريم ، وآسية » وعن على بن الحسين بن على عن أبيه عن على قال النبى ﷺ لفاطمة « ان الله يرضى لرضاك ويغضب لغضبك » عاشت فاطمة رضى الله عنها بعد وفاة رسول الله ستة أشهر كما جاء فى صحيح مسلم فلما توفيت دفنها زوجها على بن أبى طالب ليلا ولم يؤذن أبابكر وصلى عليها علىّ . وروى ابن عبدالبر فى الاستيعاب عن عائشة إم المؤمنين رضى الله عنها انها قالت : ما رأيت أحداً كان أشبه كلاما وحديثا برسول الله ﷺ من فاطمة ، وكانت اذا دخلت عليه قام اليها فقبلها ورحب بها كما كانت تصنع هى به ﷺ .

وقد ورد فى فضل فاطمة الزهراء رضى الله عنها الشىء الكثير وقد اقتصرنا هنا على ماتقدم خشية الاطالة ، ومنه يعلم أن ما أذاعته الرافضة من التشنيع وسعة شقة الخلاف والشقاق الذى وقع بين الصديق ، وفاطمة الزهراء ، وعلى بن أبى طالب ، رضى الله عنهم مختلق لا صحة له ، ولم يقع بينهم خلاف ما تقدم ، ولم تقبض فاطمة حتى أخذ خاطرها ابوبكر وتفاهم معها وأزال كل اشكال ، وأعلمها انه لم يتبع فى ذلك الا أمر والدها ﷺ فرضيت عنه . ولم يكن غرض الرافضة فى ذلك الا تفريق كلمة المسلمين وحل رابطتهم ، ولم يريدوا تتبع الحقائق ، ولو تتبعوا الحقائق لظهر الأمر لهم جليا كما ظهر لأهل السنة والجماعة الذين هم السواد الأعظم فى الاسلام . كما أن عملهم هذا لم يكن مبناه على التحيز لآل البيت الطاهر كما يزعمون ولا حبا فيهم ، ولا المطالبة بالانصاف لهم ، ولا مناصرتهم . وانما غرضهم الوحيد كما قلنا هو بذر بذور الشقاق والمشاحنة بين المسلمين وليس لهم فرض غير ذلك ، لأنه قد ظهر منهم ، بعد ذلك الشر المستطير على آل البيت ، وخذلانهم العظيم ، وفشلهم فى مواطن الوغى ، فقد خذلوا عليا رضى الله عنه فى صفين ، وحاربوه يوم النهروان ، وطعنوا ابنه الحسن حين خروجه لقتال معاوية فى فخذه وألجأوه الى التنازل لمعاوية عن الخلافة ودعوا الحسين بن على الى العراق لبيعته بالخلافة فلما أتاهم خذلوه وقتلوه بأيديهم ، وسبوا نساءه وأهل بيته وأولاده ، وفعلوا مثل ذلك مع زيد بن على ابن الحسين ، وهو الذى سماهم الرافضة ، وكل ذلك سيأتى إن شاء الله تعالى مفصلا فى محله . ومن يعتقد ان الرافضة يحبون آل البيت الطاهر كحب أبى بكر الصديق وأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أو بعضه ، أو كحب اهل السنة لهم فقد أخطأ الصواب وجهل

الحقيقة لأنهم كانوا يتذرعون بحب آل البيت الطاهر لأجل ان يموهوا على قصار العقول ممن لاعلم لهم بحقائق التاريخ انهم نصراء الحق وانهم هم الذين يطالبون بحقوق آل البيت الطاهر من أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين وبالأخص من ابى بكر وعمر رضى الله عنهما ، والله يعلم انهم لكاذبون وما قصدهم الا التوصل الى الحط من كرامة اصحاب رسول الله ﷺ عموما وتفريق الجامعة الاسلامية التى لم يكونوا منها فى شىء ، وبث الشقاق والنفاق بين المسلمين . فأين هم يوم طالب العباس وعلى وفاطمة بالميراث . ألم يكونوا فى المجوسية ؟ ومتى دخلوا فى الاسلام ؟ أيوم قتلوا عثمان ، أو يوم وقعة الجمل ، أو يوم صفين . أو يوم تحكيم الحكمين ، أو يوم قاتلوا عليا بالنهروان ، أو يوم هموا بقتل الحسن ، أو يوم قتلوا الحسين ، أو يوم خذلوا زيد بن على ، وهو الذى سماهم الرافضة كما قدمنا واسلموه للقتل . وغير ذلك فقد حدثت منهم الثورات العظام ، ومثلوا دورا مهما ، وتلاعبوا بآل البيت الطاهر وفرقوا كلمتهم بين علويين وعباسيين حتى جعلوهم يستحلون سفك دماء بعضهم بعضا فاذا رأوا من بعض الخلفاء العباسيين مالايتوافق مع رغباتهم اثاروا العلويين ضدهم وسيأتى كل ذلك مفصلا ان شاء الله فى محله وما كان ذلك منهم الا انتقاما من الاسلام والمسلمين ومن العرب خاصة لأن ملك فارس زال عن أيديهم وابتدأ زواله من أبى بكر وانتهى بعمر ، هذا ما كان من امر فاطمة الزهراء عليها السلام مع ابى بكر الصديق رضى الله عنه فى امر ميراث رسول الله ﷺ واما ما كان من امر العباس وعلى ابن ابى طالب مع أبى بكر الصديق رضى الله عنهم أجمعين فقد قنعا من جهة الميراث ، ولكن كان لهما امل ان يقيمهما على أموال بنى النضير وفدك وخمس خيبر يعملان فيها بما يشبه عمل النظار على الأوقاف ، فلم يجبهما أبو بكر الى ذلك وأحب ان يقوم فيه بنفسه كما كان يصنع رسول الله ﷺ . ومكث ابوبكر يعمل مدة حياته فى ذلك الى ان توفاه الله تعالى ، ثم قام عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعمل فيه سنتين فطلب منه على والعباس رضى الله عنهما ان يجعل العمل عليها بأيديهما ، فأعطاهما عمر ذلك وجعل تفويض النظر على تلك الأموال بأيديهما مشتركا ثم مالبثا حتى وقع بينهما الخلاف ، واليك القصة مفصلة .

أخرج البخارى فى صحيحه عن محمد بن جبير بن مطعم قال انطلقت حتى ادخل على عمر فأتاه حاجبه (يرفا) فقال هل لك فى عثمان ، وعبدالرحمن بن عوف ، والزبير ، وسعد ؟ قال نعم : فأذن لهم ، ثم قال : هل لك فى على وعباس ؟ قال نعم ! قال العباس :

يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا . قال : أنشدكم بالله الذى باذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال « لا نُورّث ماتركنا صدقة » ؟ يريد رسول الله ﷺ نفسه . قال الرهط قد قال ذلك . فأقبل على عليّ والعباس فقال : هل تعلمان ان رسول الله ﷺ قد قال ذلك ؟ قالا قد قال ذلك . قال عمر بن الخطاب فانى احدثكم عن هذا الأمر ان الله كان قد خص لرسول الله فى هذا الفىء بشىء لم يعطه أحداً غيره قال (ما أفاء الله على رسوله) الى قوله (قدير) فكانت خالصة لرسول الله ﷺ والله ما احتازها دونكم ولا استأثرها عليكم ، لقد أعطاكموها وبثها فيكم حتى بقى منها هذا المال . فكان رسول الله ﷺ ينفق على أهله من هذا المال نفقة سنته ، ثم يأخذ مابقى فيجعله مجعل مال الله . فعمل بذلك رسول الله ﷺ حياته . أنشدكم بالله هل تعلمون ذلك ؟ قالوا نعم . ثم قال لعلى والعباس : أنشدكما بالله هل تعلمان ذلك ؟ قالا نعم ! فتوفى الله نبيه فقال أبوبكر رضى الله عنه : أنا ولى رسول الله ﷺ . فقبضها فعمل بما عمل رسول الله ﷺ ، ثم توفى الله أبا بكر فقلتُ أنا ولىّ رسول الله ﷺ فقبضتها سنتين أعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ وأبوبكر . ثم جئتمانى وكلمتكما واحدة وامركما جميع . حتى جئتنى تسألنى نصيبك من ابن اخيك ، وجاءنى هذا ليسألنى نصيب امرأته من أبيها . فقلت ان شئتما دفعتها اليكما بذلك ، فتلتمسان من قضاء غير ذلك ! فوالله الذى باذنه تقوم السماء والأرض لا أقضى فيها قضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة . فان عجزتما فادفعاها الىّ فأنا أكفيكماها . وقد ورد ذلك فى أماكن متعددة من صحيح البخارى ومسلم . ورواه الامام احمد وأهل السنن من عدة طرق عن الزهرى ، وجاء فى الصحيحين بعض روايات فيها زيادة عما تقدم وهى فقال عمر : فوليها ابوبكر فعمل فيها بما عمل رسول الله ﷺ والله يعلم انه صادق بار راشد تابع للحق ، ثم وليتها فعملت فيها بما عمل رسول الله ﷺ وأبو بكر والله يعلم انى صادق بار راشد تابع للحق ، ثم جئتمانى فدفعتها اليكما لتعملا فيها بما عمل رسول الله وأبوبكر وعملت فيها أنا ، أنشدكم بالله ادفعتها اليهما بذلك ؟ قالوا نعم ، ثم قال لهما أنشدكما بالله هل دفعتها اليكما بذلك ؟ قالا نعم ، قال افتلتمسان منى قضاء غير ذلك ، لا والذى باذنه تقوم السماء والأرض ، فان عجزتما عنها فرداها إلىّ .

هذا ما كان بين العباس وعلى وعمر بن الخطاب فى أمر هذا المال ويظهر أن الذى سألاه بعد تفويض النظر اليهما والله اعلم أن يقسم بينهما النظر فيجعل لكل واحد منهما

النظر على ماكان يستحقه بالأرض لو قدر أنه يكون وارثا لهذا المال ، ولذلك تأبى أمير المؤمنين عمر من أجابته لهما . قال الحافظ ابن كثير فى تاريخه : وكأنهما قدما بين أيديهما جماعة من الصحابة منهم عثمان وابن عوف وطلحة والزبير وسعد ، وكان قد وقع بينهما خصومة شديدة بسبب اشاعة النظر بينهما ، فقالت الصحابة الذين قدموهم بين أيديهما : يا أمير المؤمنين اقض بينهما ، أو أرح أحدهما من الآخر ؟ فكأن عمر رضى الله عنه تحرج من قسمة النظر بينهما بما يشبه قسمة الميراث ولو فى الصورة الظاهرة محافظة على امتثال قوله ﷺ « لا نُورَث ما تركنا صدقة » فامتنع عليهم كلهم وأبى من ذلك أشد الاباء رضى الله عنه وأرضاه » ثم أن عليا والعباس استمرا على ما كانا عليه ينظران فيها جميعا الى زمان عثمان بن عفان ، فغلبه عليها علىٌّ وتركها له العباس باشارة ابنه عبد الله رضى الله عنهما بين يدى عثمان كما رواه أحمد فى مسنده ، فاستمرت فى أيدى العلويين . ثم ذكر الحافظ ابن كثير هنا المحاورة التى دارت بين فاطمة رضى الله عنها وبين أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى ذلك فقال : قد روينا أن فاطمة رضى الله عنها احتجت أولا بالقياس وبالعموم فى الآية الكريمة فأجابها الصديق بالنص على الخصوص بالمنع فى حق النبى ﷺ وأنها سلمت له ما قال وهذا هو المظنون بها رضى الله عنها ، وروى الامام أحمد عن أبى سلمة أن فاطمة قالت لأبى بكر من يرثك اذا مت ؟ قال ولدى وأهلى ، قالت فمالنا لانرث رسول الله ﷺ ؟ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ان النبى لايورث » ولكنى أعول من كان رسول الله ﷺ يعول وانفق على من كان رسول الله ﷺ ينفق ، وروى أحمد عن أبى الطفيل قال : لما قبض رسول الله ﷺ أرسلت فاطمة الى أبى بكر : أأنت ورثت رسول الله أم أهله ؟ فقال : لابل أهله ، فقالت فأين سهم رسول الله ﷺ ؟ فقال أبو بكر انى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ان الله اذا أطعم نبيا طعمة ثم قبضه جعله للذى يقوم من بعده » فرأيت أن أرده على المسلمين ، قالت فأنت وما سمعت من رسول الله ﷺ . قال الحافظ ابن كثير وأحسن ما فيه (يعنى هذه الحديث) قولها أنت وما سمعت من رسول الله ﷺ وهذا هو الصواب والمظنون بها واللائق بأمرها وسيادتها وعلمها ودينها رضى الله عنها ، وكأنها سألته بعد هذا أن يجعل زوجها ناظراً على هذه الصدقة فلم يجبها الى ذلك لما قدمناه فعتبت عليه بسبب ذلك ، وهى امرأة من بنات ادم تأسف كما يأسفن وليست بواجبة العصمة مع وجود نص رسول الله ﷺ ، ومخالفة أبى بكر الصديق رضى الله عنها ، وقد روينا عن أبى بكر رضى الله عنه أنه ترضَّى فاطمة ولاينها قبل موتها

فرضيت رضى الله عنها

هذا ما كان من أمر ميراث رسول الله ﷺ وما وقع من الخلاف بين أبى بكر وعمر وبين العباس وعلى وفاطمة . ومن دراسة ماتقدم تبين أن مسألة الميراث تدور حول مفهوم آيتين وردتا فى كتاب الله تعالى أما الآية الأولى فهى قوله تعالى : (وَاعْلَمُوا أنما غنمتم من شيء فان لله خُمُسَه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) الآية (٤١) من سورة الأنفال . وأما الآية الثانية فهى قوله تعالى : (ما أفاء الله على رسوله من أهل القُرَى فلله وللرسول ولذى القُرْبَى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لايكون دُولَة بين الأغنياء منكم) الآية (٧) من سورة الحشر . فأما ماورد فى تفسير الآيتين الشريفتين فمعنى (الغنيمة) هو المال المأخوذ من الكفار بايجاف الخيل والركاب . ومعنى (الفيء) هو مايؤخذ منهم بغير ذلك كالمال الذى يصالحون عليه . أو يتوفون عنه ولاوارث له . والجزية . والخراج . ونحو ذلك . وهذا مذهب الامام الشافعى فى طائفة من علماء السلف والخلف . ومن العلماء من يطلق الفيء على ماتطلق عليه الغنيمة وبالعكس وذهب قتادة الى أن هذه الآية ناسخة لآية الحشر . وأثبت الحافظ ابن كثير خلاف ذلك بان الآيتين محكمتين ولكل واحدة منها معناها . والقصد من ذلك هوماكان من تقسيم خمس الغنائم الذى هولله وللرسول . ولذى القربى . واليتامى . والمساكين وابن السبيل . قال ابن عباس رضى عنهما كان رسول الله ﷺ اذا بعث سرية فغنموا خَمَسَ الغنيمة فضرب ذلك الخمس فى خمسة ثم قرأ : (واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول) فان لله خمسه مفتاح كلام لله ما فى السموات وما فى الأرض . فجعل سهم الله وسهم الرسول ﷺ واحدا . وهكذا قال ابراهيم النخعى . والحسن البصرى . والحسن بن محمد بن الحنفية . والشعبى . وعطاء بن أبى رباح . وعبد الله بن بريدة . وقتادة . ومغيرة . وغير واحد أن سهم الله ورسوله واحد . وجاء فى رواية أخرى عن ابن عباس أن الخمس كان يقسم على أربعة أخماس فربع لله وللرسول ﷺ . فما كان لله وللرسول فهو لقرابة النبى ﷺ ولم يأخذ النبى ﷺ من الخمس شيئا فهو لنواب النبى ﷺ . وروى ابن أبى حاتم عن عبد الله بن بريدة فى قوله تعالى : (واعلموا انما اغتنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول) قال الذى لله فلنبيه والذى للرسول لأزواجه . وقال عطاء بن أبى رباح : خمس الله والرسول واحد يحمل منه ويصنع فيه ماشاء يعنى النبى ﷺ . قال الحافظ ابن كثير : وهذا أعم وأشمل . وهو

أنه ﷺ يتصرف فى الخمس الذى جعله الله له بما شاء ويرده فى أمته كيف شاء . فقد اختلف أيضا فى الذى كان يناله ﷺ من الخمس ماذا يصنع به من بعد ؟ فقال قائلون يكون لمن يلى الأمر من بعده ، روى هذا عن أبى بكر وعلى . وقتادة . وجماعة . وجاء فيه حديث مرفوع . وقال اخرون يصرف فى مصالح المسلمين . وقال آخرون بل هو مردود على بقية الأصناف ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، واختاره ابن جرير . وقال آخرون بل سهم النبى ﷺ وسهم ذوى القربى مردودان على اليتامى والمساكين وابن السبيل ، قال ابن جرير وذلك قول جماعة من أهل العراق . وقيل أن الخمس جميعه لذوى القربى كما رواه ابن جرير عن المنهال بن عمرو قال : سألت عبد الله بن محمد بن على . وعلى بن الحسين عن الخمس فقالا هو لنا ، فقلت لعلى فان الله يقول (واليتامى والمساكين وابن السبيل) فقالا يتامانا ومساكيننا . قال الحافظ ابن كثير : ثم اختلف الناس فى هذين السهمين بعد وفاة رسول الله ﷺ فقال قائلون سهم النبى ﷺ تسليما للخليفة من بعد . وقال اخرون لقرابة النبى ﷺ ، وقال اخرون سهم القرابة لقرابة الخليفة . واجتمع رأيهم ان يجعلوا هذين السهمين فى الخيل والعدة فى سبيل الله ، فكانا على ذلك فى خلافة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما قال الأعمش عن ابراهيم كان أبو بكر وعمر يجعلان سهم النبى ﷺ فى الكراع والسلاح فقلت لابراهيم ما كان علىّ يقول فيه ؟ قال كان أشدهم فيه . وهذا قول طائفة كثيرة من العلماء رحمهم الله ، وأما سهم ذوى القربى فانه يصرف الى بنى هاشم وبنى المطلب لأن بنى المطلب وازروا بنى هاشم فى الجاهلية وفى اول والاسلام ودخلوا معهم فى الشعب غضبا لرسول الله ﷺ وحماية له مسلمهم طاعة لله ولرسوله وكافرهم حمية للعشيرة وانفة وطاعة لأبى طالب عم رسول الله ﷺ وأما بنو عبد شمس وبنو نوفل وان كانوا ابن عمهم فلم يوافقوهم على ذلك بل حاربوهم ونابذوهم وقال ابن جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل : مشيت أنا وعثمان بن عفان يعنى ابن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس الى رسول الله ﷺ فقلنا يارسول الله أعطيت بنى المطلب من خمس خيبر وتركتنا ونحن وهم منك بمنزلة واحدة ؟ فقال : « انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد » رواه مسلم وفى بعض روايات هذا الحديث (انهم لم يفارقونى فى جاهلية ولا اسلام) وهذا قول جمهور العلماء انهم بنو هاشم وبنو المطلب هم المقصود من ذوى القربى . قال ابن جرير : وقال اخرون هم بنو هاشم ، وقال آخرون بل وهم قريش كلها .

وقال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى أن المراد بذى القربى : قرابة النبى ﷺ من ينسب الى جده الأقرب وهو عبد المطلب ممن صحب النبى ﷺ منهم أو من رآه من ذكر أو أنثى . وهم علىٌّ وأولاده . والحسن والحسين ومحسن وأم كلثوم من فاطمة عليها السلام . وجعفر وأولاده عبد الله وعون ومحمد . ويقال انه كان لجعفر بن أبى طالب ابن اسمه أحمد . وعقيل بن أبى طالب وولده مسلم بن عقيل . وحمزة بن عبد المطلب وأولاده يعلى وعمارة وامامه . والعباس بن عبد المطلب وأولاده الذكور عشرة وهم الفضل وعبد الله وقثم وعبيد الله والحارث ومعبد وعبد الرحمن وكثير وعون وتمام وفيه يقول العباس :

تموا بتمام فصاروا عشرة　　　يارب فاجعلهم كراما بررة

ويقال ان لكل منهم راية . وكان له من الأناث أم حبيب وآمنه وصفية وأكثرهم من لبابة أم الفضل . ومعتب بن أبى لهب . والعباس بن عتبة بن أبى لهب وكان زوج امنة بنت العباس . وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب . وأخته ضباعة وكانت زوج المقداد بن الاسود . وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب . وابنه جعفر . ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب . وابناه المغيرة والحارث . ولعبد الله بن الحارث هذا راية وكان يلقب (بَبَّه) بموحدتين الثانية ثقيلة وأميمة . وأروى . وعاتكة وصفية بنات عبد المطلب وصفية اسلمت وصحبت النبى ﷺ وهى ام الزبير بن العوام وفى اسلام الباقيات منهم خلاف .

هذا حاصل ماورد فى تقسيم الخمس الذى هو لله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل . وبيان من هم ذى القربى . مع توضيح كل ماحصل فى ذلك . ومنه يعلم أن كل ماذكره الرافضة فى ذلك عدا ماتقدم فهو باطل مختلق لا صحة له . وقد احتجوا على أبى بكر الصديق رضى الله عنه بأن الله تعالى ذكر توريث الأنبياء فى كتابه العزيز فى قوله تعالى (وورث سليمان داود) فقد رد عليهم الحافظ ابن كثير فى تاريخه واليك ماذكره من الأدلة والحجج فى ابطال ذلك وفى عدم فهمهم لكتاب الله تعالى .

قال الحافظ ابن كثير : وقد تكلمت الرافضة فى هذا المقام بجهل وتكلفوا مالاعلم لهم به . وكذبوا بمالم يحيطوا بعلمه . ولما يأتهم تأويله . وأدخلوا أنفسهم فيما لايعنيهم . وحاول بعضهم ان يرد خبر أبى بكر رضى الله عنه فيما ذكره بأنه مخالف للقرآن حيث يقول الله تعالى : (وورث سليمان داود) الآية. وحيث قال تعالى اخبارا عن زكريا أنه قال (فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من ال يعقوب واجعله رب رضيا) واستدلالهم بهذا باطل من وجوه أحدها أن قوله : (وورث سليمان داود) انما يعنى بذلك فى الملك والنبوة . أى جعلناه

قائما بعده فيما كان يليه من الملك وتدبير الرعايا والحكم بين بنى اسرائيل ، وجعلناه نبيا كريما كأبيه ، وكما جمع لأبيه الملك والنبوة كذلك جعل ولده بعده ، وليس المراد بهذا وراثة المال لأن داود كما ذكره كثير من المفسرين كان له أولاد كثيرون يقال مائة فلم اقتصر على ذكر سليمان من بينهم لو كان المراد وراثة المال ؟ انما المراد وراثة القيام بعده فى النبوة والملك . ولهذا قال : (وورث سليمان داود) وقال : (يا أيها الناس عُلِّمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين) ومابعدها من الآيات . وأما قصة زكريا فانه عليه السلام من الأنبياء الكرام والدنيا كانت عنده أحقر من أن يسأل الله ولدا ليرثه فى ماله وانما كان نجارا يأكل من كسب يده كما رواه البخارى ولم يكن ليدخر منها فوق قوته حتى يسأل الله ولدا يرث عنه ماله ان لو كان له مال ، وانما سأل ولدا صالحا يرثه فى النبوة والقيام بمصالح بنى اسرائيل وحملهم على السداد ، ولهذا قال تعالى : (كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا ، إذا نادى ربه نداء خفيا ، قال رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا ، وإني خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا) القصة بتمامها ، فقال وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب يعنى النبوة ، وقد ورد فى الحديث : « نحن معشر الأنبياء لا نُورَث » . والوجه الثانى : ان رسول الله ﷺ قد خص من بين الأنبياء بأحكام لايشاركون فيها فلو قدر أن غيره من الأنبياء يُورَثون وليس الأمر كذلك ، لكان مارواه من ذكرنا من الصحابة الذين منهم الأئمة الأربعة أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، مبينا لتخصيصه بهذا الحكم دون ما سواه ، والثالث : انه يجب العمل بهذا الحديث والحكم بمقتضاه كما حكم به الخلفاء ، واعترف بصحته العلماء ، وسواء كان من خصائصه أم لا ، فانه قال : (لانورث ماتركنا صدقة) اذ يحتمل من حيث اللفظ أن يكون قوله عليه السلام : « ما تركنا صدقة » أن يكون خبرا عن حكمه أو حكم سائر الأنبياء معه على ماتقدم وهو ظاهر ، ويحتمل أن يكون انشاء وصيته كأنه يقول لانورث لأن جميع ماتركناه صدقة ، ويكون تخصيصه من حيث جواز جعله ماله كله صدقة ، والاحتمال الأول أظهر ، وهو الذى سلكه الجمهور ، وقد يقوى المعنى الثانى بما تقدم من حديث مالك وغيره عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة ان رسول الله ﷺ قال : (لاتقتسم ورثتى دينارا ، ماتركت بعد نفقة نسائى ومؤنة عاملى فهو صدقة) وهذا اللفظ مخرج فى الصحيحين وهو يرد تحريف من قال من الجهلة من طائفة الشيعة فى رواية هذا الحديث : « ماتركنا من صدقة »

بالنصب جعل ـ ما ـ نافية ، فكيف يصنع بأول الحديث وهو قوله « لا نورث » وبهذ الرواية (ماتركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة) والمقصود أنه يجب العمل بقوله ﷺ (لانُورّث ماتركنا صدقة) على كل تقدير احتمله اللفظ والمعنى فانه مخصص لعموم اية الميراث ، ومخرج له عليه السلام منها ، اما وحده أو مع غيره من اخوانه الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام .

هذا ما كان فى حجج الرافضة فى الارث وبطلانها . وقد اتينا بتفصيل ذلك هنا ليظهر للقارىء أن اصحاب رسول الله ﷺ هم أتقى الناس ، وأبَرّهم بآل بيت رسول الله ﷺ الطاهر ، وأحبهم اليهم . ولم يكن علىّ والعباس بل وعموم ذوى القربى ضعفاء أمام الحق والعدل ، ولاجبناء فى عصر الخلفاء الراشدين حتى يمنعوا عن أخذ حق بَيِّنٍ لهم ، ولا هم ظلمة يريدون أن يأخذوا مالم يستحقوه ، كما تظن الرافضة فيهم . فهم أرفع الناس وأعدل الناس ، عن أن يتصلبوا فى أخذ شىء لم يكن لهم ، وانما قد يتصور الانسان ان له ذلك الحق ، ولكن عند التحقيق يظهر لغيره ، وعند ذلك يقضى عليه العدل بتركه ، فاذا تركه خضوعا للحق والعدل فلايكون جبانا ، كما انه اذا ترك مالايستحقه لايعد مقهورا أو مظلوما ، واذا لم يكن آل البيت الطاهر هم أعظم الناس خضوعا للحق والعدل الذى جاء به النبى ﷺ ولا ذوو القربى من نصرائه فمن يكون المرتجى لذلك ؟ هذا ما أردت بيانه فى هذا الموضع لكشف الغطاء عما كان يخوض فيه الناس قديما وحديثا ، وذلك لأن كثيرا من المؤرخين الذين يدرجون فى تواريخهم كل ماسمعوه من غث وسمين قد اتوا بأخبار بعيدة عن التصور قد اختلقها الرافضة ومن على شاكلتهم بقصد تشويه سمعة الاسلام ، وكون أبى بكر وعمر من الظلمة ، وفاطمة والعباس وعلىّ كانوا مظلومين . لاظهار بطلان ذلك فاذا كان هؤلاء فيهم ظلمة ومظلومون فمن أين يرتجى العدل والانصاف ؟ مع أن هذه الحادثة قد أظهرت أن الفريقين كليهما قد أدى واجبه نحو الانصاف والعدل ومثلوا للعالم الاسلامى كيف يكون الحكم على أعز عزيز لديه ، وكيف يكون خضوع العظماء من الناس للحق والعدل عن طيب خاطر بدون قهر ولا ارهاق ، حتى يقتدى بهم من يأتى من بعدهم ، حيث هم القدوة فى كل شىء رضى الله عنهم وأرضاهم .

* * *

بيعة على بن أبى طالب الثانية

قد تقدم خبر بيعة على بن أبى طالب رضى الله عنه لأبى بكر الصديق رضى الله عنه بالخلافة فى اليوم الثانى لوفاة رسول الله ﷺ ثم بعد ان غضبت فاطمة الزهراء على أبى بكر الصديق وهجرته اضطر على رضى الله عنه أن يجاريها الى أن توفاها الله تعالى كما سبق بيانه . فلما توفيت فاطمة رأى على رضى الله عنه أن يجدد البيعة لأبى بكر الصديق ليجعل حدا لما أشيع من الفتور الذى وقع بينهما فى أثناء ذلك ويقطع ألسنة الناس من القال والقيل ، وهذا شأن الرجال العظام ، فأرسل الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه : أن ائتنا ولا يأتنا معك أحد . وكره أن يأتيه معه عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما يعلم من شدة عمر بمناسبة ذلك الفتور الذى وقع بأسباب طلب الميراث المتقدم ذكره ، فقال عمر رضى الله عنه : لا تأتهم وحدك قال له أبو بكر رضى الله عنه : والله لآتينهم وحدى وماعسى ان يصنعوا بى ؟ وذلك لعلم أبى بكر أن الفتور قد زال بمصالحته مع فاطمة الزهراء رضى الله والتفاهم معها فى حياتها ورضائها عنه ، فانطلق أبو بكر فدخل على على بن أبى طالب وقد جمع بنى هاشم عنده ، فقام على فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أما بعد فانه لم يمنعنا من أن نبايعك ياأبابكر انكار لفضيلتك ولا نفاسة عليك بخير ساقه الله اليك ، ولكنا نرى أن لنا فى هذا الأمر حقا فاستبددتم به علينا . ثم ذكر قرابته من رسول الله ﷺ وحقهم ، فلم يزل على يقول ذلك حتى بكى أبو بكر . فلما صمت على ، تشهد أبو بكر فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أما بعد فو الله لقرابة رسول الله ﷺ أحب الى من أن أصل من قرابتى ، وانى والله ماألوت فى هذه الأموال التى كانت بينى وبينكم غير الخير ، ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لانورث ماتركنا صدقة ، انما يأكل آل محمد فى هذا المال) وانى أعوذ بالله لا أذكر أمرا صنعه محمد رسول الله ﷺ الا صنعته فيه لمن شاء الله . ثم قال علىّ رضى الله عنه موعدك العشية للبيعة ، فلما صلى

أبو بكر الظهر أقبل على الناس ثم عذر عليًا ببعض ما اعتذر . ثم قام عليٌّ فعظم من حق أبى بكر وذكر فضيلته وسابقيته . ثم مضى الى أبى بكر فبايعه . فأقبل الناس الى علىّ فقالوا أصبت وأحسنت .

ثم أقام أبو بكر ثلاثة أيام يقيل الناس ويستقيلهم يقول : قد أقلتكم فى بيعتى . هل من كاره ؟ هل من مبغض ؟ فقام علىّ رضى الله عنه فى أول الناس فقال : والله لا نقيلك ولا نستقيلك أبداً . قدمك رسول الله ﷺ لتوحيد ديننا . من ذا الذى يؤخرك لتوحيد دنيانا . فقام أبو بكر الصديق رضى الله عنه خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ان الله الجليل . الكريم . العليم . الحكيم . الرحيم . الحليم . بعث محمداً بالحق . وأنتم معشر العرب كما قد علمتم من الضلالة والفرقة . ألَّفَ بين قلوبكم . ونصركم به وأيدكم . ومكن لكم دينكم . وأورثكم سيرته الراشدة المهدية . فعليكم بحسن الهدى . ولزوم الطاعة . وقد استخلف الله عليكم خليفة ليجمع به أُلْفَتَكُم . ويقيم به كلمتكم . فأعينونى على ذلك بخير . ولم أكن لأبسط يداً ولا لسانا على من لم يستحل ذلك ان شاء الله . وأيم الله ما حرصت عليها ليلاً ولا نهاراً . ولا سألتها الله قط فى سر ولا علانية . ولقد قُلِّدْتُ أمراً عظيما مالى به طاقة ولا يد . ولوددت انى وجدت أقوى الناس عليه مكانى . فأطيعونى ما أطعت الله . فاذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم . ثم بكى أبو بكر رضى الله عنه وقال : اعلموا أيها الناس انى لم أجعل لهذا المكان أن أكون خيركم . ولوددت أن بعضكم كفانيه . ولئن أخذتمونى بما كان الله يقيم به رسوله من الوحى ما كان ذلك عندى . وما أنا الا كاحدكم فاذا رأيتمونى قد استقمت فاتبعونى . وان زغت فقومونى . واعلموا ان لى شيطانا يعتريتى أحيانا . فاذا رأيتمونى غضبت فاجتنبونى لا أؤثر بأشعاركم وأبشاركم . ثم نزل رضى الله عنه .

كل ما تقدم اخذته من الصحيحين وشروحهما ومن تاريخ ابن جرير وابن كثير . (غير هذه الخطبة الأخيرة العصماء فقد رواها ابن قتيبة فى الامامة والسياسة) وروى جانبا منها الحاكم وصححه . وهى الخطبة التى تسمى فى العصر الحاضر (بخطبة العرش) حيث قد رسم أبو بكر فيها خطته التى سيسير عليها مع الامة الاسلامية فى خلافته . وكشف لهم عن اخلاقه وعاداته وكونه يعتريه شيطان الغضب وحذرهم نفسه عندما يعتريه الغضب . وذلك لان الغضب ملازم للطبيعة البشرية ملازمة الظل لشخص الانسان . وقل من

يستطيع ان يملك نفسه عند الغضب مهما بلغت درجته من التقى والصلاح ، مع أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان على أكمل الأخلاق وأهدنها ، وقل أن يعتريه الغضب كما دلت على ذلك سيرته الحسنة ، وقد صرح فى خطبته انه لم يكن خير الأمة ، ولو انهم بايعوه بالخلافة وأعطوه قيادتهم ، وانما هو رجل منهم لا أقل ولا أكثر ، وبما أن الأمة وضعت ثقتها به سيعمل طاقته فيما فيه صلاح الأمة والوطن بمعونة الأمة نفسها ومكاتفتها له ، وهذا التصريح فى غاية الاعتدال ، وهو عين الحقيقة ، إذ أن الرجل الكيس يعلم من نفسه أنه لم يكن بسبب عارضى قد أصبح فوق مستوى العالم ، وصار بذلك الطارىء أعظم من اخوانه فى الدين ، والانسانية ، والجامعة ، وهو يعلم أن خالق الكون ومنظم العالم والأمم الذى هو الله العظيم الجليل يقول « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم » وان النبى ﷺ الذى جاء بالهدى ودين الحق من عند الله تعالى يقول « لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى » ولا شك أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه هو أعلم الناس بذلك . .

فمن هذه الخطبة تأخذ درسا دقيقا فى معنى (الديمقراطية) التى يتغنى بذكرها كثير من الناس وهم لم يروها قط فى حياتهم ولن يروها الا عن طريق الدين الاسلامى وحده رغما عن ادعاء كثير من الأمم انهم سائرون عليها ، فقد كشف أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى هذه الخطبة عن حقيقة الديموقراطية الصحيحة ومثلها أعظم تمثيل ، فأعلمنا أن الخليفة هو فرد من افراد الأمة ولا يستطيع ان يعمل اى عمل كان جليلا او حقيرا بغير تكاتف الأمة له ومعاضدتهم إياه وملازمتهم له فى عموم أعماله وأفعاله فى حالة الشدة والرخاء ، اذ لا فاصل يفصل بينهما مدة الحياة ، وأن الخليفة هو رأس رابطة عقد الأمة الاسلامية ، وهو قائدها الى المعالى والسؤدد والمجد ، وعليه تَحَمُّل أعباء الأمة فى عموم أحوالها، السياسية، والاجتماعية، والادارية، اذ أنه أصبح بعد انعقاد البيعة له مسؤولاً أمام الله تعالى ، وأمام الأمة ، وأمام الانسانية ، عن كل خلل يعترى أفراد أو مجموع الأمة الاسلامية الذين قد قلدوه زمام أمورهم أو يعترى جامعتهم أو أموالهم أو بلدانهم ، أو ضياع شبر من أراضيهم ، كما أنه مسؤول عن رفاهية الأمة وسعادتها ، وتقدمها فى العلوم والمعارف ، ويقظتها وتفوقها على خصومها ، وان من الواجب على الأمة ان تبذل كل ما تستطيعه من نصح وارشاد وأموال وأرواح فى سبيل الدفاع بالتكاتف مع الخليفة عن

الوطن والأمة وفى كل اصلاح يدعوهم اليه الخليفة . واذا اعترى هذا التكاتف أى انحلال ضاعت الأمة والدولة والوطن ، حيث فى نظر التشريع الاسلامى أن الخليفة أو أمير المؤمنين ، أو الملك أو السلطان ، أو الامام ، والأمة شىء واحد ، وكلاهما مسؤول أمام الله تعالى عن التأخر والتقصير والتقاعد والضن بالمال أو الخبرة وكل ما يتطلب الارتباط والتقدم من التناصر فى اعلاء شأن الأمة والوطن . فلو أن الأمة الاسلامية سارت بعد خلفائها الراشدين على هذا النظام الاجتماعى لما تفككت عراها ، وتفرق جمعها ، وتلاشت قوتها حتى وصلت الى ما وصلت اليه فى العصر الحاضر . ألْهَمَ الله تعالى المسلمين رشدهم ، وأيقظهم من سباتهم العميق ، ونور أبصارهم وبصائرهم حتى يروا ما كان عليه سلفهم الصالح من أفضل مواد الاجتماع النقى الطاهر ، ومن التكاتف والتعاضد الصحيح ، كى يسيروا على منواله حتى يعودوا الى ما كان عليه ذلك السلف الطاهر المقدس .

هذا ما ظهر لى من معانى خطبة أبى بكر الصديق رضى الله عنه . وأما ما كان من مبايعة على بن أبى طالب رضى الله عنه لأبى بكر الصديق رضى الله عنه بالخلافة مرة ثانية فقد اوضحنا أسبابها تمام الايضاح غير أن بعض المؤرخين ذكر البيعة الثانية ، ولم يذكر الأولى وذلك إما لعدم وقوفه عليها ، وإما لعدم ثقته بالراوى ، وبعضهم ذكر البيعة الأولى والثانية معاً مثل ابن جرير ، والحافظ ابن كثير ، وغيرهما وقد رأيت كثيراً من الناس من ينكر البيعة الأولى بسبب عدم وقوفه عليها ، ولاشاعة الثانية فى أكثر كتب التاريخ ، فلذلك تصديت لتثبيتها هنا مع ذكر المصادر التى أخذتها منها ، لأجل أن يطلع القارىء على صحة وقوع البيعتين الأولى ، والثانية معاً وأن الثانية كانت مؤيدة للأولى وقاطعة لما وقع من القيل والقال من بعض من بقى من المنافقين أولئك الذين لا يهدأ لهم بال بغير اثارة الفتن بين المسلمين ، ولكن من خلف لم يمت فقد خلف أولئك المنافقون خلفا كان أشد شراً وأعظم بلاء منهم وهذا الخلف هم الرافضة فمازالوا ولن يزالوا جادين السير فى بث الشقاق بين طوائف المسلمين ، ولكن والحمد لله لا يزال رجال الاصلاح من المسلمين فى كل عصر من العصور ، ومصر من الامصار ، يحاربون من حاد الله ورسوله من أى الملل والنحل سواء كانوا رافضة أو الحاديين ، أو مشككين ، أو متمردين على الفضيلة والانسانية ولا يزال النصر حليفهم والله الهادى الى صراطه المستقيم .

* * *

بعث جيش أسامة

تقدم فى الجزء الرابع من حياة سيد العرب تفصيل غزوة جيش أسامة بن زيد رضى الله عنه ، وأن أبا بكر رضى الله عنه طلب من أسامة أن يترك له عمر بن الخطاب فتركه له . غير أن ابن جرير قد أورد فى هذه السرية زيادة عما تقدم . ولعظم فائدتها أتينا بها ، واليك ذلك.روى ابن جرير عن عاصم بن عدى قال : نادى منادى أبى بكر الصديق من بعد الغد من متوفى رسول الله ﷺ ليتم بعث أسامة : ألا لا يبقين بالمدينة احد من جند أسامة الا خرج الى عسكره بالجرف ، وقام أبو بكر فى الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أيها الناس انما أنا مثلكم ، وانى لا أدرى لعلكم ستكلفونى ما كان رسول الله ﷺ يطيق ، ان الله اصطفى محمدا على العالمين وعصمه من الآفات . وانما أنا متبع ولست بمبتدع . فان استقمت فتابعونى ، وان زغت فقومونى ، وان رسول الله ﷺ عليه وسلم قبض وليس أحد من هذه الأمة يطلبه بمظلمة ضربة سوط فما دونها ، الا وان لى شيطانا يعترينى فاذا أتانى فاجتنبونى ، لا أوثر فى اشعاركم وابشاركم ، وأنتم تغدون وتروحون فى أجل قد غيب عنكم علمه ، فان استطعتم أن لا يمضى هذا الأجل الا وأنتم فى عمل صالح فافعلوا . ولن تستطيعوا ذلك الا بالله ، فسابقوا فى مهل آجالكم من قبل أن تسلمكم آجالكم الى انقطاع الاعمال ، فان قوما نسوا آجالهم وجعلوا أعمالهم لغيرهم ، فاياكم أن تكونوا أمثالهم ، الجدّ ، الجدّ ، الوحا ، الوحا ، والنجاء ، النجاء ، فان وراءكم طالبا حثيثا أجلا مرُّه سريع ، احذروا الموت واعتبروا بالآباء والأبناء والاخوان ولا تغبطوا الأحياء الا بما تغبطون به الأموات .

وقام أيضا أبو بكر رضى الله عنه فحمد اللهِ وأثنى عليه ثم قال : ان الله عز وجل لا يقبل من أعمالكم الا ما أريد به وجهه ، فأريدوا الله بأعمالكم واعلموا ان ما اخلصتم لله من أعمالكم فطاعة أتيتموها ، وحظ ظفرتم به ، وضرائب أديتموها ، وسلف قدمتموه من أيام فانية ، لأخرى باقية ، لحين فقركم وحاجتكم ، اعتبروا عباد الله بمن مات منكم ،

وتفكروا فيمن كان قبلكم . أين كانوا أمس ؟ وأين هم اليوم ؟ أين الجبارون ؟ وأين الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة فى مواطن الحروب ؟ قد تضعضع بهم الدهر ، وصاروا رمماً . تركت عليكم القالات الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات . وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها ؟ قد بعدوا ونسى ذكرهم . وصاروا كلاشيء . ألا ان الله قد أبقى عليهم التبعات . وقطع عنهم الشهوات . ومضوا والأعمال أعمالهم . والدنيا دنيا غيرهم . وبقينا خلفا بعدهم . فان نحن اعتبرنا بهم نجونا . وان اغتررنا كنا مثلهم . أين الوضاء الحسنة وجوههم ؟ المعجبون بشبابهم ؟ صاروا تراباً وصار ما فرطوا فيه حسرة عليهم . أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط ؟ وجعلوا فيها الاعاجيب ؟ قد تركوها لمن خلفهم . فتلك مساكنهم خاوية . وهم فى ظلمات القبور . هل تحس من أحد أو تسمع لهم ركزاً ؟ أين من تعرفون من أبنائكم واخوانكم ؟ قد انتهت بهم آجالهم فوردوا على ما قدموا فحلوا عليه . وأقاموا للشقوة والسعادة فيما بعد الموت . الا ان الله لا شريك له ليس بينه وبين احد من خلقه سبب يعطيه به خيراً ولا يصرف عنه به سوءاً الا بطاعته واتباع أمره . واعلموا أنكم عبيد مدينون وان ما عنده لا يدرك الا بطاعته . أما انه لا خير بخير بعده النار . ولا شر بشر بعده الجنة .

هذا ما رواه ابن جرير الطبرى من خطبة أبى بكر الصديق رضى الله عنه التى القاها يوم بعث جيش أسامة الى الشام وهذه الخطبة من أعظم الخطب الوعظية . ومن الناس من يظنون أن الخطابة هى تنميق الكلام . وشقشقة اللسان . وجعجعة الصوت . مع أن الخطابة هى على غير ما يظنون . فانها تكون أولا بحسب المواقف . ثانيا بحسب الخطيب وأهمية مركزه الاجتماعى . ثالثا بحسب ما تضمنته تلك الخطبة من التأثير فى قلوب السامعين وما تنهض من نفوسهم . وتستفز من أرواحهم . فلذلك كانت خطب أبى بكر الصديق من أعظم الخطب تأثيراً فى نفوس المسلمين عموما وبالأخص فى نفوس أعاظم الصحابة الذين يقدرون مرامى ما يقصده الخطيب من المعانى والاشارة الى ما وراء مدارك الأبصار . فكان أبو بكر الصديق . رضى الله عنه قد أبان فى خطبته هذه للأمة موقفه حالة كونه الخليفة نحو ربه ونحو دينه ونحو أمته التى قد أصبح متولى قيادتها وسائر أمورها وأعمالها . كما انه بَينَّ للأمة عن حالته النفسية التى انتقل اليها من الشخصية الفردية الى مركز الخلافة . وأعلم أمته درجة خوفه من الله تعالى ووجله منه جل وعلا . وتذكر . وذكر

أمته بحالة من مضى من الأمم ومن سبقهم من العوالم ، وكيف كان مصيرهم بما كسبت أيديهم بسبب ما كانوا فيه من الغرور والغفلة عن سطوة جبار السموات والأرض ، كل ذلك يذكره أبو بكر لأمته ويذكرهم به ولم تؤثر فيه صولة الملك ولا عظمة الخلافة ، ولا أبهة الامارة ، بل انعكست فى نظره القضية فبدل أن يصول صولة الملوك بالملك ، ويتعاظم بالخلافة تعاظم الجبابرة الطغام ، ارتجف قلبه خوفا من الله وخشية من عقابه ، وبدل أن يتباهى بإمارة المؤمنين وتيه بذكرها ، أخذ يتذكر ويذكر بما وقع على الملوك الجبابرة والأمم المتغطرسة الذين عثوا فى الأرض فسادا قد ذهبوا كما ذهب أمس الدابر وصاروا فى ظلمات القبور ووحشتها ينتظرون عقاب ما جنت أيديهم من العذاب الآجل فى الآخرة يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد .

ان من طبيعة النفس البشرية حب التطلع والتعالى ، ومتى سنحت الفرصة بالوصول الى ذلك اهتزت طربا على انالة مبتغاها ، ثم بعد الوصول الى ذلك يأخذها العُجْبُ كل مأخذ فتميس تيها وتثنى القد اعجابا متباهية بما نالته من الرفعة والتعالى ، وفخامة المنصب وشنشنة المركز ، وأبهة الامارة ، وعظمة السلطان .

غير أن هذه الطبيعة لم يكن لها أثر فى نفسية أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، ولأجل أن لا يظن به ظان فقد صرح على المنبر بأنه لم يكترث بذلك كله وأبان للأمة عن حالته النفسية ولم يكتمها شيئاً يكنه صدره ، بل مثل للعالم أجمع عن نفسيته الشريفة الطاهرة النقية ، فى كونها لا تتأثر بمؤثرات الحياة الدنيا ، ولم يكن لزخرفها عنده قيمة ، ولم يقم لعظمة الخلافة وزنا ، بل انه أصبح مثقلا بأعبائها ، ومكلفا بحسن ادارتها على ما يضمن سعادة الأمة التى وضعت ثقتها فيه ، وصار بعد ذلك لا يهدأ له بال ، ولا يطمئن له خاطر ، ولا يروق له فكر ، لأن تحمله أعباء الخلافة جعله مشتغلا بسياسة الأمة الداخلية والخارجية عن راحته ورفاهيته ومصالحه الشخصية .

فهكذا تكون النفوس العالية الكبيرة ، وهكذا تكون الشخصية العظيمة ، وهكذا تكون الأخلاق السامية ، وهكذا يكون عظماء الرجال الأفذاذ الذين يتغنى التاريخ بذكرهم ، وتطرب الآذان من سماع سيرتهم ، وتنشرح الصدور بحديثهم ، والخليفة ، والمُلْك والمَلِك ، والسلطنة والسلطان ، اذ ان من ذكر هؤلاء الذين مثلوا للملأ اجمع معنى

الخلافة باعظم تمثيل تكون العظة الحسنة للراعى والرعية . والأمة والسلطان ، حتى يقتدى بهم المقتدون ، ويعمل بعملهم العاملون . ويعلمون ان لا سعادة فى الدنيا والآخرة الا بتكاتف الراعى والرعية والأمة والسلطان . وبغيره لا فوز ولا نجاح ، حيث لا سلطان الا بالأمة ولا أمة بغير سلطان . ولا أمة ولا سلطان بغير تقوى الله تعالى ومراقبة بطشه وجبروته . سنة الله تعالى فى خلقة ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

* * *

أخبار الردّة

كان أمر الردة من أشد مافوجىء به الاسلام بعد وفاة النبى ﷺ من الخطر على كيان الاسلام . والجامعة الاسلامية . بل والأمة العربية . والمسلمين قاطبة . وكان موقف أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى وجه تيار الردّة من أدهش المواقف التى لم يحدث التاريخ عن مثله . وذلك انه لما سمعت العرب قاطبة فى طول الجزيرة وعرضها بموت رسول الله ﷺ تسربت فى قلوبهم الردة . لأنهم كانوا على استعداد تام لذلك من وجوه . (الأول) انهم قد كلفوا برفض الشرك بالله تعالى وترك عبادة الأصنام التى لا تضر وتنفع . لكونها تضر الذين يعبدونها من دون الله تعالى ضررا عظيما لأن فى عبادتها سخط الله عليهم وعذابه لهم فى الدنيا والآخرة . وهم لم يكونوا قد نسوها لأنهم تعودوا عبادتها السنين الطوال . (ثانيا) كلفوا بالطهارة . والصلاة . والصيام . والزكاة . والحج . ولم يفقهوا لما فى ذلك من الفوائد الاجتماعية العظيمة التى عليها مدار سعادة الدنيا والآخرة . (ثالثا) كانوا يرون فى أداء الزكاة حطة . اذ كانوا يظنونها اتاوة . وغير ذلك من التشريع الاسلامى الذى لم يألفوه ولم يتفق مع عوائدهم الهمجية التى كانت على طرفى نقيض مع الدين الاسلامى من الوجهة الدينية والأخلاقية . فكان أول شىء ابتدأوا به منع الزكاة . قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لما قبض رسول الله ﷺ ارتدّ من ارتدّ من العرب وقالوا نصلى ولا نزكى . فأتيت أبابكر فقلت ياخليفة رسول الله تألّف الناس وارفق بهم فانهم بمنزلة الوحش . فقال ابوبكر : رجوت نصرتك . وجئتنى بخذلانك ؟ جبارا فى الجاهلية خوارا فى الاسلام ؟ بماذا عسيت ان أتألّفهم بشعر مفتعل ؟ أو بسحر مفترى ؟ هيهات . هيهات . مضى النبى ﷺ وانقطع الوحى . والله لأجاهدنهم ما استمسك السيف فى يدى ان منعونى عقالا . قال عمر : فوجدته فى ذلك امضى منى وأحزم وأدّبَ الناس على أمور هانت علىّ كثير من مؤنتهم حين وليتهم . قال أبو هريرة رضى الله عنه : والذى لا اله الا هو لولا ان ابابكر استخلف

ما عُبِدَ الله . ثم قال الثانية، ثم قال الثالثة، فقيل له مَهْ يا أبا هريرة، فقال: ان رسول الله ﷺ وجّه أسامة بن زيد فى سبعمائة الى الشام فلما نزل بذى خشب قبض النبى ﷺ وارتدّت العرب حول المدينة . واجتمع اليه اصحاب رسول الله ﷺ فقالوا رد هؤلاء . توجه هؤلاء الى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة ؟ فقال ابوبكر : والذى لا إله إلا هو لو جرت الكلاب بأرجل أزواج النبى ﷺ مارددت جيشا وجهه رسول الله ﷺ ولا حللت لواء عقده . قال ابوهريرة : فوجه اسامة فجعل لا يمر بقبيل يريدون الارتداد الا قالوا لولا ان لهؤلاء قوة ماخرج مثل هؤلاء من عندهم ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم ، فلقوهم فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين فثبتوا على الاسلام . قال الذهبى : لما اشتهرت وفاة النبى ﷺ بالنواحى ارتدت طوائف كثيرة من العرب عن الاسلام ومنعوا الزكاة ، فنهض ابوبكر الصديق لقتالهم ، فأشار عليه عمر وغيره ان يفتر عن قتالهم فقال والله لو منعونى عقالا ، أو عناقا ، كانوا يؤدونها الى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها ، فقال عمر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، وان محمداً رسول الله فمن قالها عصم منى ماله ودمه الا بحقها وحسابه على الله » فقال ابوبكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فان الزكاة حق المال ، وقد قال الا بحقها . قال عمر : فوالله ماهو الا ان رأيت الله شرح صدر ابى بكر للقتال فعرفت انه الحق .

فكان ابوبكر الصديق قد صمم العزم ورأى انه لا محيص عن قتال كل من ارتد من العرب سواء كان ارتداده منحصرا فى منع الزكاة ، او متابعة من ادعى النبوة مثل مسيلمة اليمامة، والأسود العنسى ، وطليحة الأسدى، وسجاح. وقد كان من أشد مواقف أبى بكر الصديق رضى الله عنه حراجة وخطرا هذا الموقف ، وذلك انه وقع من القبائل القاطنة حول المدينة من الشر ماهو أدهى وأمَرّ ، فقد اجتمعت أسد ، وغطفان ، وطيء ، على طليحة الأسدى ، الا ماكان من خواص أقوامهم فى القبائل الثلاثة ـ وهكذا لا يأتى الشر الا عن طريق الرعاع ـ فاجتمعت اسد بسميراء (وهو موضع حول المدينة على طريق مكة) وفزارة ومن يليهم من غطفان بجنوب طيبة ، وطيء على حدود ارضهم ، واجتمعت ثعلبة بن سعد ومن يليهم من مُرَّة وعبس بالأبرق ويقال له (أبرق الرَّبَذَة) وتأشب اليهم ناس من بنى كنانة ، فلم تحملهم البلاد فافترقوا فرقتين فأقامت فرقة منهم بالأبرق ، وسارت

الأخرى الى ذى القصة وهو موضع بشرق المدينة مما يلى جبلى اجا ، وسلمى ، من بلاد طىء بينه وبين المدينة اربعة وعشرون ميلا ، وأمدهم طليحة بأخيه حبَّال . فكان حبال على أهل ذى القصة من بنى أسد ومن تأشب من ليث ، والديل ، ومَدْلج ، وكان على مُرَّة بالأبرق عوف بن فلان بن سنان ، وعلى ثعلبة وعبس الحارث بن فلان احد بنى سبيع ، وقد بعثوا وفودا فقدموا المدينة فنزلوا على وجوه الناس فأنزلوهم ماخلا عباسا فتحملوا بهم على ابى بكر على أن يقيموا الصلاة ، وعلى أن لا يؤتوا الزكاة ، فعزم الله تعالى لأبى بكر على الحق فقال : لو منعونى عقالا لجاهدتهم عليه . وكان عُقُل الصدقة على أهل الصدقة مع الصدقة فلذلك كان أبوبكر يقسم انه لو جاءوه بالابل بغير عقلها لجاهدهم على العقل حتى يؤدوها ، فردهم ورجع وفد من يلى المدينة من المرتدة اليهم فأخبروا عشائرهم بقلة أهل المدينة واطمعوهم فيها .

فلما رأى ابوبكر الصديق رضى الله عنه،ذلك البطل الجرىء الجسور الذى لا يصد ارادته صاد ولاتثنى عزمه الملمات ، ماوصلت اليه حالة العرب وخصوصا من كان منهم بجوار المدينة ، عزم على الخروج بنفسه وجعل على أنقاب المدينة لحمايتها على بن ابى طالب ، والزبير بن العوام وطلحة بن عبيدالله ، وعبدالله بن مسعود ، رضى الله عنهم وأخذ أهل المدينة وقال لهم : ان الأرض كافرة ، وقد رأى وفدهم منكم قلة ، وانكم لا تدرون أليلا تؤتون أم نهارا ، وادناهم منكم على بريد ، وقد كان القوم يأملون ان نقبل منهم ونوادعهم ، وقد أبينا عليهم ، ونبذنا اليهم عهدهم ، فاستعدوا وأعدوا . فما لبثوا الا ثلاثة ايام من يوم خروج الوفود حتى أغار المرتدون على الانقاب ليلا ، وكان عليها حماتها من رجال البأس والنجدة الذين وضعهم أبوبكر ، وكان دونهم أقوام يدرجون فنبهوهم وأرسلوا الى أبى بكر بالخبر ، فأرسل اليهم أبوبكر أن الزموا أماكنكم ! ففعلوا .

وخرج ابوبكر بمن كان داخل المدينة على النواضح ـ وهى الابل التى يستقى عليها ـ اليهم فانهزم العدو ليلا ، فاتبعهم المسلمون على ابلهم حتى بلغوا (ذا حس) فخرج عليهم كمين معهم القرب اليابسة فدحرجوها بأرجلهم فى وجوه الابل فنفرت ابل المسلمين وهم عليها حتى دخلت بهم المدينة ، ولم يصرع احد من المسلمين ولم يصب بأذى ، فظن المرتدون بالمسلمين الوهن ، وبعثوا الى اهل ذى القصة بالخبر ، فقدموا عليهم وهم لا يشعرون ، فبات ابوبكر ليلته يتهيأ فعبَّى الناس ثم خرج بعد منتصف ليلته يمشى

على ميمنته النعمان بن مُقَرّن ، وعلى ميسرته عبدالله بن مقرن ، وعلى الساقة سُوَيْد بن مقرن معه الرُّكاب ، فما طلع الفجر الا وهم والعدوّ فى صعيد واحد ، ولم يشعروا بالمسلمين حتى وضعوا فيهم السيوف فاقتتلوا باقى ليلتهم فما ذر قرن الشمس حتى ولوهم الأدبار وغلبوهم على عامة ظهرهم ، وقتل حبَّال واتبعهم ابوبكر حتى نزل بذى القصة ، وكان اول الفتح . ووضع بها النعمان بن مقرن فى عدد ، ورجع ابوبكر الى المدينة فذل بها المشركون . ثم ان بنى ذبيان ، وعبس ، وثبوا على من أسلم منهم سابقا فقتلوهم شر قتلة ، وفعل من وراءهم فعلهم .

ولما بلغ أبابكر الصديق رضى الله عنه مافعل بنوذبيان وعبس بالمسلمين حلف ليقتلن فى المشركين كل قتلة ، وليقتلن فى كل قبيلة بمن قتلوا من المسلمين وزيادة . وكان من نتيجة هذه الغزوة ان طرق المدينة صدقات نفر صفوان ، والزبرقان ، وعدى صفوان واستبشر ابوبكر الصديق وأصحابه بذلك . وهنا قدم المدينة اسامة بن زيد رضى الله عنهما بعد ان مضى على غيابه نحو شهرين .

فلما قدم اسامة بن زيد استخلفه ابوبكر على المدينة ، وقال له ولجنده الذين كانوا معه : اريحوا ، وأريحوا ظهوركم . وخرج بمن خرج معه اولا الى ذى القصة والذين كانوا على الأنقاب على ذلك الظَّهَر ، فقال له المسلمون : ننشدك الله ياخليفة رسول الله ان تعرض نفسك فانك ان تصب لم يكن للناس نظام ، ومقامك اشد على العدو فابعث رجلا فان أصيب أمرت آخر . ثم لما استوى أبوبكر على راحلته جاء على بن أبى طالب رضى الله عنه وأخذ بزمامها وقال : الى اين ياخليفة رسول الله ؟ أقول لك ماقال لك رسول الله ﷺ يوم أُحُد شم سيفك ولا تفجعنا بنفسك ، وارجع الى المدينة ، والله لئن فجعنا بك لا يكون للاسلام نظام أبدا . فقال أبوبكر : لا والله لا أفعل ، ولأواسينكم بنفسى .

فخرج أبوبكر رضى الله عنه فى تعبيته الى ذى حسى ، وذى القصة ، والنعمان ، وعبدالله ، وسويد ، على ماكانوا عليه حتى نزل على أهل الربذة بالأبرق فاقتتلوا ، فهزم الله الحارث ، وعوفا ، وأخذ الحطيئة أسيرا ، فطارت عبس وبنوبكر . واقام ابوبكر على الأبرق أياما ، وقد غلب بنى ذبيان على بلادهم ، وقال : حرام على بن ذبيان ان يتملكوا هذه البلاد اذ غَنَّمناها الله وأجلاها . ـ فلما قدر الله تعالى بما قدر ونصر حزبه وأعز جنده وفاز المسلمون على عموم أهل الردة ودخلوا من الباب الذى خرجوا منه وعادوا الى الاسلام

وتسامح المسلمون عن كثير مما كان منهم ، جاءت بنو ثعلبة لينزلوا على بلادهم التي أخرجهم منها الخليفة بحد الصارم البتار ، فمنعوا منها فأتوا المدينة الى ابى بكر الصديق رضى الله عنه فقالوا: عَلاَمَ نُمنع من نزول بلادنا ؟ فقال ابوبكر رضى الله عنه : كذبتم ليست لك ببلاد ولكنها مَوْهبى ونقذتى . ولم يجبهم الى ماطلبوا وحَمى الأبرق لخيول المسلمين وأرعى سائر بلاد الربذة الناس على بنى ثعلبة ، ثم حماها كلها لصدقات المسلمين والتجأت عبس وذبيان بعد هزيمتهم من الأبرق بطليحة الأسدى .

فلما أراح اسامة وجنده وجاءت صدقات كثيرة قطع ابوبكر البعوث وعقد الألوية ، فعقد احد عشر لواء . (الأول) لخالد بن الوليد سيف الله البتار وأمره ان يسير الى طليحة الأسدى ، فاذا فرغ منه سار الى مالك بن نويرة بالبطاح ان أقاموا له . (والثانى) لعكرمة بن ابى جهل ، وأمره بمسيلمة . (والثالث) للمهاجر بن ابى امية . وأمره بجنود الأسود العنسى ، وبمعونة الأبناء على قيس بن المكشوح ومن أعانه من أهل اليمن عليهم ، ثم يمضى الى كندة بحضرموت . (والرابع) لخالد بن سعيد بن العاص . وكان قدم على تفيئة ذلك من اليمن وترك عمله ، وبعثه الى الحَمْقَتين من مشارف الشام . و (الخامس) لعمرو بن العاص ، الى جماع قضاعة ، ووديعة ، والحارث . و (السادس) لحذيفة بن مِحْصن الغلفانى ، وأمره بأهل (دبا) وهو سوق كان فى الجاهلية بعمان وهو مايسمى فى العصر الحاضر (بُضَبَى) . و (السابع) لعرفجة بن هرثمة ، وأمره بمهرة ، وأمرهما أى حذيفة وعرفجة ان يجتمعا وكل واحد منهما فى عمله على صاحبه . و (الثامن) لشرحبيل بن حسنة ، وبعثه فى اثر عكرمة بن أبى جهل وقال اذا فرغ من اليمامة ـ يعنى عكرمة ـ فالحق بقضاعة وأنت على خيلك تقاتل اهل الردة . و (التاسع) لطريفة بن حاجز ، وأمر ببنى سليم ومن معهم من هوازن . و (العاشر) لسويد بن مقرن ، وأمره بتهامة اليمن . و (الحادى عشر) للعلاء بن الحضرمى وأمره بالبحرين (الاحساء) . وأمر كل أمير أن يستنفر من مر به من المسلمين من أهل القوة ، وان يخلف بعض أهل القوة لمنع بلادهم .

ففصلت الأمراء من ذى القصة ونزلوا على قصدهم ، فلحق بكل أمير جنده وقد عهد اليهم عهده ، وكتب الى المرتدين من امراء العرب ، والى قبائل العرب المرتدة ممن سير اليهم الجيوش كتبا بصورة واحدة وهذه صورتها كما رواها ابن جرير الطبرى (بسم الله

الرحمن الرحيم من أبى بكر خليفة رسول الله ﷺ الى من بلغه كتابى هذا من عامة وخاصة أقام على اسلامه أو رجع عنه . سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع بعد الهدى الى الضلالة والعمى . فانى احمد اليكم الله الذى لا إله إلا هو . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأن محمدا عبده ورسوله . نُقِرُّ بما جاء به ونكفر من أبى ونجاهده . أما بعد فان الله تعالى أرسل محمدا بالحق من عنده الى خلقه بشيرا ونذيرا . وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا . لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين . فهدى الله بالحق من أجاب اليه . وضرب رسول الله ﷺ باذنه من أدبر عنه حتى صار الى الاسلام طوعا أو كرها . ثم توفى رسول الله ﷺ وقد نفذ لأمر الله ونصح لأمته . وقضى الذى عليه . وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الاسلام فى الكتاب الذى أنزل فقال (انك ميت وانهم ميتون) وقال (وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون) وقال للمؤمنين (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين) فمن كان انما يعبد محمدا . فان محمدا قد مات . ومن كان انما يعبد الله وحده لاشريك له . فان الله بالمرصاد حيٌ قيُّوم لايموت ولاتأخذه سنة ولانوم . حافظ لأمره . منتقم من عدوه يجزيه . وانى أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبكم من الله وماجاءكم به نبيكم ﷺ وأن تهتدوا بهداه وان تعتصموا بدين الله . فان كل من لم يهده الله ضال . وكل من لم يعافه مبتلى . وكل من لم يعنه الله مخذول . فمن هداه الله كان مهتديا . ومن أضله كان ضالا . قال الله تعالى (من يهد الله فهو المهتدى . ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) ولم يقبل منه فى الدنيا عملا حتى يقربه . ولم يقبل منه فى الآخرة صرفا ولا عدلا . وقد بلغنى رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالاسلام وعمل به اغترارا بالله وجهالة بأمره واجابة للشيطان . قال الله تعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر به أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدوّ بئس للظالمين بدلا) وقال « ان الشيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدوًا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير » وانى بعثت اليكم (فلانـا) فى جيش من المهاجريـن والأنصـار والتابعين باحسان . وأمرته أن لا يقاتل أحدا ولا يقتله حتى يدعوه الى داعية الله . فمن استجاب له وأقرّ وكف وعمل صالحا قبل منه وأعانه عليه . ومن أبى أمرت أن يقاتله على ذلك ثم

لايبقى على أحد منهم قدر عليه ، وان يحرقهم بالنار ويقتلهم كل قتلة ، وأن يسبى النساء والذرية ، ولا يقبل من أحد إلا الاسلام ، فمن اتبعه فهو خير له ، ومن تركه فلن يعجز الله ، وأمرت رسولى أن يقرأ كتابى فى كل مجمع لكم والداعية الأذان ، فاذا أذن المسلمون فأذنوا كفوا عنهم ، وان لم يؤذنوا عاجلوهم ، وان أذنوا اسألوهم ماعليهم ، فان أبوا عاجلوهم ، وان أقروا قبل حملهم على ماينبغى لهم .

ثم أرسل ابوبكر الصديق رضى الله عنه رسلا بالكتب المذكورة الى المرتدين أمام الجنود لأجل ان يكونوا على علم بما عَمَّد به القواد فى معاملتهم اذا هم أصروا على ارتدادهم وأن لا يكونوا على غرة ، وكان عمل الصديق هذا من أجل الأعمال ، وذلك لأن بعض الأعراب ربما خفى عليهم امر المرتدين فاتبعوهم على غفلة من أمرهم ظانين أن لا عقاب على منع الزكاة هذا من جهة ومن جهة اخرى ظانين ان لاقدرة للخليفة على تأديبهم اذا منعوا الزكاة ، بسبب ما أشاعه المرتدون من ضعف المسلمين وعدم قدرتهم على الحرب ، فاذا بلغهم الانذار وأصرُّوا على ارتدادهم صاروا هم الجانين على أنفسهم وقد برأت ذمة المسلمين منهم ، وان أثر فيهم الانذار كان ذلك مراد الخليفة ، ووقوا أنفسهم من الكفر والقتل . هكذا كانت معاملة الاسلام مع أعدائه فانه لا يأخذ احدا على غِرَّة ، ولم ترأحدا من دول الاستعمار تعامل المستعمرين بمثل هذه المعاملة ، فنجدها اذا رأت من المستعمَرين أقل ممانعة من دفع ماوضعته عليهم من الضرائب الثقيلة وجهت عليهم مدافعها السامة وطياراتها الجهنمية وجنودها الفتاكة وصبت عليهم العذاب صبا ، وقد نزعت من قلوبهم الرحمة والشفقة ، واستعملوا الوحشية باسم المدنية ، ونسوا أو تناسوا أن الله تعالى القاهر فوق عباده لهم بالمرصاد وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

وكتب أبو بكر الصديق رضى الله عنه عهدا لكل أمير من الأمراء الذين بعثهم لتأديب المرتدين بصورة واحدة وهذا نصه كما رواه ابن جرير فى تاريخه (بسم الله الرحمن الرحيم هذا عهد من أبى بكر خليفة رسول الله ﷺ لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن الاسلام ، وعهد اليه ان يتقى الله ما استطاع فى أمره كله سره وعلانيته ، وأمره بالجد فى أمر الله ، ومجاهدة من تولى عنه ورجع عن الاسلام الى أمانى الشيطان بعد ان يعذر اليهم فيدعوهم بداعية الاسلام ، فان أجابوه أمسك عنهم ، وان لم يجيبوه شن غارته عليهم حتى يقروا له ، ثم ينبئهم بالذى عليهم والذى لهم فيأخذ ماعليهم ويعطيهم الذى

لهم . لا ينظرهم ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم . فمن أجاب الى امر الله عز وجل وأقر له قَبِلَ ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف . وانما يقاتل من كفر بالله على الاقرار بما جاء من عند الله . فاذا أجاب الدعوة لم يكن سبيل وكان الله حسيبه بعد فيما استسر به . ومن لم يجب داعية الله قتل وقوتل حيث كان وحيث بلغ مزاعمه . لايقبل من احد شيئا أعطاه الا الاسلام . فمن اجابه وأقر قبل منه وعلمه . ومن أبى قاتله . فان أظهره الله عليه قتل منهم كل قتلة بالسلاح والنيران . ثم قسم ما أفاء الله عليه الا الخُمُسَ فانه يبلغناه . وان يمنع أصحابه العجلة والفساد . وان لايدخل فيهم حشوا حتى يعرفهم ويعلم ماهم حتى لا يكونوا عيونا ولئلا يؤتى المسلمون من قبلهم . وان يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم فى السير والمنزل وينفقدهم ولا يعجل بعضهم عن بعض . ويستوصى بالمسلمين فى حسن الصحبة ولين القول) .

ثم أخذ كل أمير عهده . وتوجه الأمراء الى حيث امروا وذلك فى شهر جمادى الآخرة سنة احدى عشرة من الهجرة . الموافق لشهر فبراير سنة ٦٣٣ ميلادية .

هذا ما كان من أخبار ردة العرب . وما كان من استعداد الخليفة أبى بكر الصديق رضى الله عنه . ومن تأمل ذلك يظهر له أن الاسلام عاد غريبا كما بدأ فى اليوم الذى توفى فيه رسول الله ﷺ وقد تسرعت العرب بالردة قبل أن يظهر لها مصير الاسلام بعد وفاة نبى الاسلام ﷺ فكان بعضهم ارتد بمنع الزكاة وبعضهم ارتد عن الاسلام كليا وتابع من ادعى النبوة مثل مسيلمة اليمامى ، والأسود العنسى ، وطليحة الأسدى ، وسجاح . وبعضهم تعجل بالاغارة على أطراف المدينة فى حين قلة حاميتها . لأن جل كبار الصحابة من المهاجرين والانصار من أصحاب النجدة والبأس كانوا مع أسامة بن زيد رضى الله عنهما بالشام .

كل ذلك حصل وأبو بكر الصديق رضى الله عنه ثابت الجأش قوى القلب لم يتزعزع ولم تخر قواه ولم تتثبط عزيمته عن مكافحة ذلك التيار الهائل الذى كاد يجترف الاسلام من أساسه . كان والحق يقال موقف أبى بكر الصديق رضى الله عنه من أشد المواقف خطرا ، وأعظمها حراجة . فقد أدهش أعاظم الصحابة بجرأته ، وأهالهم بقوة اقدامه . وبذلك نال أبو بكر الصديق رضى الله عنه التقدم والأفضلية من الوجهة السياسية والادارية والاجتماعية على عموم الصحابة من مهاجرين وانصار وان كانوا هم أجنحته وقوته وعدته

التى قام بها ذلك التيار الجارف . مع أنه لم يكن هذا الموقف هو الذى عرف الناس به مقام أبى بكر الصديق فحسب ، بل قد عرفوا مقدرته وفضله ومواقفه المدهشة من بدء اسلامه الى وفاة النبى ﷺ ويوم الوفاة وفى يوم السقيفة والبيعة بالخلافة ، وبعث جيش اسامة ، وخروجه بنفسه لقتال من أغار على أطراف المدينة ، وفى هذا الموقف الذى بعث فيه الجيوش الاسلامية لاخضاع المرتدة ، وهو من أشدها هولاً ومغامرة وإقداماً حيث كان هذا الموقف هو الموقف الذى يريد به اعادة مجد الاسلام الى ما كان عليه فى اليوم الذى وقف فيه رسول الله ﷺ فى عرفة فى حجة الوداع وخطب خطبته التى أبان فيها محو كل مأثرة فى الجاهلية وتلا فيها قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) ذلك اليوم الذى علمت فيه العرب ان لادين غير دين الاسلام ولامجد غير مجد الاسلام ، ولاتشريع غير التشريع الاسلامى هكذا كانت ارادة أبى بكر الصديق فى اخضاع العرب الى سلطان الاسلام فكان هو بطل هذا الموقف المغوار ، وفارسه الكرار ، وسيفه البتار ، وسهمه الصائب ، وصاحب الجرأة الفائقة ، والمقدرة العظمى ، والاقدام الهائل ، والبأس الشديد . هكذا يكون الابطال ، وبهذه المواقف تعرف الرجال ، ولايكون التفاضل بين أصحاب المزايا الا بعد خوضهم فى المعارك الدامية . فهذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه قد أثبت له التاريخ هذه المواقف الكبرى المفعمة بالسياسة الحربية ، والاجتماعية ، والادارية ، التى لانظير لها ، والتى لم يحدثنا التاريخ بمثلها لغيره من العالم أجمع ، والتى قد ادهشت مثل عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما كما سبق بيانه .

فهل من أمل أن يقيض الله سبحانه وتعالى للاسلام من يقوم بربط أواصر الأمم الاسلامية المتفككة ، ويلم شعثها المتمزق والمتبعثر فى انحاء المعمورة ويجمع بين كلمتها ، بعد هذا التفكيك الشنيع ، والتمزيق المريع ، والتأخر الممقوت ، والتخاذل المهلك ، والجبن الماحق ؟ فهو القادر وحده سبحانه وتعالى أن يخلق فى هذه الأمة رجالا تكون فيهم ولو بعض تلك المزايا التى قد أوجدها الله تعالى فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه فيقومون فيها بما قام الصديق من اخضاع المرتدين وجمع كلمة العرب على عموم ماجاء به الاسلام . مع أن الأمر اليوم هو لم يكن ارتدادا عن الدين الاسلامى بل هو تفكك وتخاذل سببه النزعات المذهبية والقومية والسياسية . فالحالة فى العصر الحاضر أهون من حالة ردة العرب

فى عصر الصديق بكثير . ولاتحتاج الى كبير عناء كما وقع للصديق وانما تحتاج الى رجال مصلحين من عموم الأجناس التى يتكون منها المسلمون يتفاهمون مع بعضهم بعضا فى الوحدة الاسلامية وجمع كلمة المسلمين على مبادىء الاسلام التى أسسها النبى ﷺ وسار عليها الصديق فى خلافته كما تقدم بعضها وسيأتى البعض الآخر . فمتى تم ذلك فلاشك ان الأمة الاسلامية تصبح عن قريب مترابطة . متكاتفة . متناصرة . متعاضدة . كالجسم الواحد اذا اشتكى منه عضو يدعى له سائر الجسد بالحمى والسهر . وليس ذلك على الله بعزيز وهو حسبنا ونعم الوكيل .

* * *

أخبار الأسود العنسي ومصيره

الأسود العنسى اسمه عيهلة بن كعب بن عوف العنسى ، نسبة الى بطن من مذحج وهى قبيلة باليمن . وكان يلقب (ذا الخمار) لأنه كان على الدوام يعتم ويختمر . كان الأسود ادعى النبوة قبل وفاة النبى ﷺ . وتفصيل ذلك كما تقدم بعضه ، ان (باذان) كان أميرا على اليمن من قبل دولة الفرس حينما كانت متغلبة على اليمن . فلما أسلم باذان وأسلم أهل اليمن أمره رسول الله ﷺ على جميع مخالف اليمن . ولم يزل عاملا عليها حتى مات . فلما مات باذان فرق رسول الله ﷺ أمراءه على اليمن . فاستعمل عمرو بن حزام على نجران ، وخالد بن سعيد بن العاص على مابين نجران وزبيد . وعامر بن شهر على همدان . وشهر بن باذان على صنعاء ، والطاهر بن أبى هالة على عكا والاشعريين ، وأبا موسى الاشعرى على مأرب ، ويعلى بن أمية على الجند ، ومعاذ بن جبل معلما ينتقل فى عمالة كل عامل باليمن وحضرموت ، واستعمل على أعمال حضرموت زياد بن لبيد الانصارى . وعلى السكاسك والسكون عكاشة بن ثور ، وعلى بن معاوية بن كندة عبد الله ، أو المهاجر . ولم يذهب الى حضرموت فى حياة النبى ﷺ لأنه كانت ولايته حين مرض النبى ﷺ مرضه الذى توفى فيه فوجهه أبو بكر الصديق رضى الله عنه بعد وفاة النبى ﷺ . فمات رسول الله ﷺ وهؤلاء عماله على اليمن وحضرموت .

وكان أول من اعترض الأسود العنسى حين تنبأ شهر وفيروز وداذوية ابناء باذان الفارسى وهم الذين يطلق عليهم (الأبناء) وكان قد بلغ الأسود العنسى أن رسول الله ﷺ لما عاد من حجة الوداع تمرض من السفر ، وذلك غير مرضه الذى توفى فيه ، فادعى النبوة . وكان مشعبذا ماهرا فاظهر للاعراب من شعبذته الأعاجيب حتى خدعهم بها وهى من نوع الحواء وهذه الطريقة هى سلاح المكرة الخداعين ذوى الشرور الذين يأتون بها بقصد تضليل البسطاء والسذجة حتى يستعملوهم وقودا فى سبيل مآربهم التى ما أنزل الله بها من سلطان . فاتبعت مذحج الأسود العنسى بتلك الخدعة ، وكان أول من ارتد فى

الاسلام على عهد رسول الله ﷺ ذلك الأسود العنسى فغزا نجران واخرج عنها عمرو بن حزام ، وخالد بن سعيد . ووثب قيس بن عبد يغوث بن مكشوح على فردة بن مسيك وهو على مراد فأجلاه ونزل منزله . وسار الأسود على صنعاء فخرج اليه شهر بن باذان فلقيه فقتل شهر بن باذان بعد خمس وعشرين ليلة من خروج الأسود . وخرج معاذ بن جبل هاربا حتى لحق بأبى موسى الاشعرى وهو بمأرب فذهب الاثنان الى حضرموت . وكذلك لحق بفروة بن مسيك من تم على اسلامه من مذحج .

واستتب للأسود ملك اليمن ، ولحق أمراء اليمن بالطاهر بن أبى هالة ، ماعدا عمرو ابن العاص وخالد بن سعيد فانهما رجعا الى المدينة . والتجأ الطاهر ومن معه الى جبال عك وجبال صنعاء ، وتغلب الأسود على مابين مفازة حضرموت الى الطائف والبحرين (الاحساء) الى عدن . واستطار أمره كاللهيب بين تلك القبائل ، وكان معه فى ابتداء أمره سبعمائة فارس يوم لقى شهر بن باذان سوى الركبان ، ثم استفحل أمره بسرعة البرق ، وكان خليفته فى مذحج عمرو بن معد يكرب الزبيدى ، وخليفته على جنده قيس بن عبد يغوث ، وجعل أمر الأبناء فيروز ، وداذوية . وكان الاسود تزوج امرأة شهر بن باذان بعد قتله وهى ابنة عم فيروز .

وخاف من بحضرموت من المسلمين أن يبعث اليهم الأسود جيشا أو يظهر بها كذاب مثل الأسود فتجوز معاذ الى السكون فعطفوا عليه ، وجاء اليهم والى من باليمن من المسلمين كتاب النبى ﷺ يأمرهم بقتال الأسود . فقام معاذ فى ذلك وقويت نفوس المسلمين ، وكان الذى قدم بكتاب رسول الله ﷺ وبر بن يحنس الأزدى قال جشنس الديلى : فجاءتنا كتب النبى ﷺ يأمرنا بقتاله اما مصادمة أو غيلة (يعنى أن رسول الله ﷺ كتب اليه والى فيروز وداذويه) وأن نكاتب من عنده دين ، فعملنا فى ذلك فرأينا أمرا كثيفا ، وكان قد تغير الأسود على قيس بن عبد يغوث ، فقلنا ان قيسا يخاف على دمه فهوى لأول دعوة فدعوناه وأبلغناه عن النبى ﷺ فكأنما نزلنا عليه من السماء فأجابنا وكاتبنا الناس ، فأخبره الشيطان شيئا من ذلك فدعا قيسا فاخبره أن شيطانه يأمره بقتله لميله الى عدوه فحلف قيس : لأنت اعظم فى نفسى من أن أحدث نفسى بذلك . ثم أتانا فقال : ياجشنس ويافيروز ويا داذوية ، فأخبرنا بقول الأسود . فبينا نحن معه يحدثنا اذ أرسل الينا الأسود فهددنا ، فاعتذرنا اليه ونجونا منه ولم نكد ، وهو مرتاب بنا ونحن نحذره .

فبينا نحن على ذلك اذ جاءتنا كتب عامر بن شهر وذى زود ، وذى مران ، وذى الكلاح ، وذى ظليم ، يبذلون لنا النصر فكاتبناهم وأمرناهم أن لايفعلوا شيئا حتى نبرم أمرنا ، وانما اهتاجوا لذلك حين كاتبهم النبى ﷺ وكتب ايضا الى أهل نجران فاجابوه ، وبلغ ذلك الأسود وأحَسَّ بالهلاك . قال جشنس : فدخلت على (ازاد) وهى امرأة الأسود التى تزوجها بعد قتل زوجها شهر بن باذان ، فدعوتها الى ما نحن عليه وذكرتها قتل زوجها شهر وإهلاك عشيرتها وفضيحة النساء ، فأجابت الى ذلك وقالت : والله ما خلق الله شخصا أبغض الى منه ، مايقوم لله على حق ولاينتهى عن محرم ، فاعلمونى أمركم أخبركم بوجه الأمر . قال جشنس : فخرجت وأخبرت فيروز ، ورداذوية ، وقيسا ، قال واذا قد جاء رجل فدعا قيسا الى الأسود فدخل عليه فى عشرة من مذحج وهمدان فلم يقدر على قتله معهم . وقال له : ألم أخبرك الحق وتخبرنى الكذب ؟ انه ـ يعنى شيطانه الذى يوحى اليه ـ يقول لى ان لم تقطع من قيس يده ، يقطع رقبتك . فقال قيس : انه ليس من الحق أن أهلك وأنت رسول الله فمرنى بما أحببت أو أقتلنى فموتة أهون من موتات . فرق له وتركه وخرج قيس فمر بنا وقال : اعملوا عملكم ! ولم يقعد عندنا فخرج علينا الأسود فى جمع فقمنا له وبالباب مائة مابين بقرة وبعير فنحرها ثم خلاها ثم قال : أحق مابلغنى عنك يافيروز ؟ (وَبَوَّأَ له الحربة) لقد هممت أن أنحرك . فقال فيروز : اخترتنا لصهرك وفضلتنا فلو لم تكن نبيا لما بعنا نصيبنا منك بشيء فكيف وقد اجتمع لنا بك أمر الدنيا والآخرة . فقال له : اقسم هذا . يعنى مانحره من الأبل والبقر . فقسمها ولحق به وهو يسمع سعاية رجل بفيروز والأسود يقول له : أنا قاتله غدا وأصحابه . ثم التفت فاذا فيروز واقف أمامه فأخبره بقسمتها ، ودخل الأسود ورجع فيروز فأخبرنا الخبر ، فارسلنا الى قيس فجاءنا فاجتمعنا على أن أعود الى المرأة (يعنى آزار زوجة الأسود) فأخبرها بعزيمتنا ونأخذ رأيها فأتيتها فأخبرتها فقالت : هو متحرز وليس من القصر شيء الا والحرس محيطون به غير هذا البيت ، فان ظهره الى مكان كذا وكذا ، فاذا أمسيتم فانقبوا عليه فانكم من دون الحرس وليس دون قتله شيء ، وستجدون فيه سراجا وسلاحا . قال جشنس : فتلقانى الأسود خارجا من بعض منازله فقال : ما أدخلك عليَّ ؟. ووجأ رأسى حتى سقط . قال وكان شديدا فصاحت المرأة فأدهشته وقالت : جاءنى ابن عمى زائرا ففعلت به هذا ؟ قال فتركنى ، فأتيت أصحابى فقلت النجاء الهرب ، واخبرتهم الخبر .

فانا على ذلك حيارى اذ جاءنا رسولها يقول : لاتدعن مافارقتك عليه فلم أزل به حتى اطمأن . فقلت لفيروز ائتها فتثبت منها . ففعل فلما أخبرته قال ننقب على بيوت مبطنة . فدخل فاقتلع البطانة وجلس عندها كالزائر ، فدخل عليها الأسود فأخذته غيرة . فأخبرته برضاع وقرابة منها محرم ، فأخرجه . قال فلما أمسينا عملنا فى أمرنا وأعلمنا أشياعنا وعجلنا عن مراسلة الهمدانيين والحميريين فنقبنا البيت ودخلنا وفيه سراج تحت جفنة واتقينا بفيروز لأنه كان أشدنا فقلنا انظر ماذا ترى ، فخرج ونحن بينه وبين الحرس ، فلما دنا من باب البيت سمع غطيطا شديدا والمرأة قاعدة ، فلما قام على باب البيت أجلسه الشيطان وتكلم على لسانه وقال : مالى ولك يافيروز ؟ فخشى فيروز ان رجع أن يهلك وتهلك المرأة ، فعاجله وخالطه وهو مثل الجمل فأخذ برأسه فقتله ودق عنقه ووضع ركبته فى ظهره فدقه ، ثم قام ليخرج فأخذت المرأة بثوبه وهى ترى أنه لم يقتله ، فقال قد قتلته وأرحتك منه ، فخرج وأخبرنا فدخلنا معه فخار كما يخور الثور فقطعت رأسه بالشفرة ، وابتدر الحرس المقصورة يقولون ماهذا ؟ فقالت المرأة : النبى يوحى اليه . فخمدوا وقعدنا فاتمر بيننا فيروز ، وداذويه ، وقيس ، كيف نخبر أشياعنا ، فاجتمعنا على النداء ، فلما طلع الفجر نادينا بشعارنا الذى بيننا وبين أصحابنا ففزع المسلمون والكافرون ، ثم نادينا بالاذان فقلت (اشهد أن محمدا رسول الله) وان عَبْهَلَةَ كذاب ـ يعنى الأسود العنسى ـ وألقينا اليهم رأسه ، وأحاط بنا أصحابه وحرسه وشنوا الغارة وأخذوا صبيانا كثيرة وانتهبوا ، فنادينا أهل صنعاء من عنده منهم فليمسكه ففعلوا فلما خرج أصحابه فقدوا سبعين رجلا ، فراسلونا وراسلناهم على أن يتركوا لنا ما فى أيديهم ونترك مافى أيدينا ففعلنا ولم يظفروا منا بشىء وتردد فيما بين صنعاء ونجران ، وتراجع أصحاب النبى ﷺ الى أعمالهم ، وكان يصلى بنا معاذ بن جبل ، وكتبنا الى رسول الله ﷺ بخبره وذلك فى حياته ، وأتاه الخبر من ليلته وقدمت رسلنا وقد توفى رسول الله ﷺ فاجابنا أبو بكر . انتهى خبر جشنس .

قال عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما : أتى الخبر من السماء الى النبى ﷺ فى ليلته التى قتل فيها فقال : (قُتِلَ العنسى قتلهُ رجل مبارك من أهل بيت مباركين) قيل من قتله ؟ قال (قتله فيروز) . وكان مدة حركة الأسود العنسى من بدء ادعى النبوة الى قتله ثلاثة أشهر . وكان قدوم البشير بقتله فى آخر ربيع الأول بعد وفاة رسول الله ﷺ فكانت أول بشارة أتت أبا بكر الصديق رضى الله عنه وهو بالمدينة .

قال فيروز : لما قتلنا الأسود عاد امرنا كما كان وأرسلنا الى معاذ بن جبل فصلى بنا ونحن راجون مؤملون لم يبق شيء نكرهه الا تلك الخيول من اصحاب الأسود تتردد بيننا وبين نجران ، فأتى موت النبى ﷺ فانتقضت الأمور واضطربت الأرض وأنكرنا كثيرا مما كنا نعرفه .

هذا حاصل ما رواه ابن جرير الطبرى فى تاريخه ، وأخذ عنه ابن الأثير ، وابن خلدون ، وأبو الفداء ، وغيرهم من المؤرخين فبعضهم لخص وبعضهم اختصر ، وقد أتيت بكل ما ذكره ابن جرير فى خبر الأسود العنسى وتنبئه وانتشار شره فى نصف الجزيرة العربية الجنوبى وقتله وكل ذلك كان فى حياة رسول الله ﷺ ومن ذلك اتضح للقارىء من هذه القصة وغيرها (أولا) كيف ان الفتن والشرور والكذب تنتشر بين الناس انتشار الأمراض الفتاكة بسرعة البرق وتعمل تأثيرها الفعلى فى نفوس السواد الأعظم من البسطاء وتفت فى اعصابهم فت (الملاريا) ولكن متى اسرع المصلحون بمعالجتها ومكافحتها فلابد من زوالها وبرء المصاب منها ، والمعالجة كما هو معلوم بأحد الأمرين اما بمعالجة النصح والارشاد ، واما بعملية الصارم البتار ، لأن كثيرا من الأمراض تستعصى على الطبيب فيضطر الى معالجتها بقطع ذلك العضو الذى لا أمل فى معالجته بالعقاقير ، حيث فى تركه مضرة على سائر الجسم الانسانى .. (ثانيا) ان الله سبحانه وتعالى جعل للفتن والشرور حداً تنتهى اليه ، اذ لولا ذلك لاجترفت الفتن والشرور كل من على وجه الأرض .. (ثالثا) ان الله جل وعلا خلق اناسا من البشر لا تؤثر فيهم الفتن ، ولا تفت فى اعصابهم المحن ، ولا تثبط عزائمهم الشرور ، بل انها تكون هى السبب الوحيد لنهوضهم ، فتراهم يستعملون كل ما أوتوا من دهاء وحكمة وبأس وقوة فى اخماد نار تلك الفتنة ، وايقاف تيار ذلك الشر عند حده فيقضون عليه . ولذلك لما تنبأ الأسود العنسى وتطاير شره فى قلوب اولئك الأعراب ، قيض سبحانه وتعالى لاطفاء ناره واخماد انفاسه تلك الكتلة المركبة من بضعة أشخاص وهم فيروز ، وراذوية ، وقيس بن مكشوح ، وجشنس ، فاستعملوا كل حيلة ، وركبوا متن الأخطار ، وغامروا بحياتهم حتى وصلوا الى قتل الأسود العنسى بفضل تلك السيدة الشريفة العظيمة (آزاد) التى أوصلت فيروز الى مضجع الأسود فقضى على حياته ونبوته وشره وغطرسته وفتنه فى لحظة واحدة . فكم سفك من الدماء العربية النقية فى سبيل فتنة ذلك الفاسق الشرير الأسود العنسى ، وكم ضحيت

من النفوس الأبية القحطانية . وكم لقى رجال الاصلاح من الأهوال والتشتت والتز
وافلاك والمصائب . ولكن العاقبة للمتقين مهما بلغ الشر ما بلغ سنة الله فى خلقه ولن تجد
لسنة الله تبديلا .

* * *

حوادث تنبؤ طليحة الأسدي

كان طليحة بن خويلد الاسدى من بنى أسد بن خزيمة قد تنبأ فى حياة رسول الله ﷺ فوجه النبى ﷺ ضرار بن الازور الى عماله على بنى أسد وأمرهم بالقيام على من ارتد . فضعف أمر طليحة حتى لم يبق الا اخذه ، غير انه ضرب بسيف فلم يصنع فيه شيئا فشاع بين الناس أن السلاح لايعمل فيه ، فكثر جمعه ومات رسول الله ﷺ وهم على ذلك . فكان طلحة يقول : ان جبريل يأتينى . وسجع للناس الأكاذيب ، وماكان يأمرهم بترك السجود فى الصلاة ويقول : ان الله لايصنع بتعفير وجوهكم وتقبح أدباركم شيئا ، أذكروا الله واعبدوه قياما . الى غير ذلك وتبعه كثير من العرب عصبية فلذلك كان أكثر اتباعه من أسد ، وغطفان . وطيىء فسارت فزارة وغطفان الى جنوب طيبة ، واقامت طيىء على حدود أراضيهم ، وأسد بسميراء واجتمعت عبس وثعلبة بن سعد ومرة بالأبرق من الربذة واجتمع اليهم ناس من بنى كنانة فلم تحملهم البلاد فافترقوا فرقتين أقامت فرقة بالابرق ، وسارت فرقة الى ذى القصة ، وأمدهم طليحة بأخيه حبال . كما تقدم فى أول الردة حين خروج أبى بكر رضى الله عنه اليهم مرتين بنفسه وهزيمتهم . ثم لما رتب الجيوش وأرسل كل جيش الى فريق من القبائل المرتدة ، وخصص خالد بن الوليد رضى الله عنه لقتال طليحة الاسدى أظهر أبو بكر للناس انه خارج الى خيبر بجيش حتى يلاقى خالدا ، ليرهب العدو بذلك . وقد أرسل طليحة الى جديلة والغوث أن ينضموا اليه ، فتعجل اليه ناس من الحيين وأمروا قومهم باللحاق بهم وقدموا على طليحة . وبعث أبو بكر عَدِيّ بن حاتم قبل توجيه خالد من ذى القصة الى قومه وقال أدركهم لايؤكلوا ، فخرج اليهم عدىٌ ففتلهم فى الذروة ، والغارب ـ أى ثبط همتهم ـ وخرج خالد فى أثره ، وأمره أبو بكر : أن يبدأ بطيىء على الاكناف ثم يكون وجهه الى البزاخة ثم يثلث بالبطاح ولايريم ـ أى لايبرح مكانه ـ اذا فرغ من قوم حتى يحدث اليه ويأمره بذلك . فخرج خالد فانحرف

عن البزاخة وجنح الى (أجأ) وأظهر انه خارج الى خيبر ثم انصب عليهم فقعَّد ذلك طيئ
وبطأهم عن طليحة . وقدم عليهم عديّ فدعاهم فقالوا له لانبايع أبا الفصيل-يعنون أبا
بكر-أبدا . فقال : لقد أتاكم ليبيحن حريمكم ولتُكَنُّنه بالفحل الاكبر فشأنكم به فقالوا له :
فاستقبل الجيش فنهنهه (أى كفه) عنا حتى نستخرج من لحق بالبزاخة منا . فانا ان
خالفنا طليحة وهم فى يديه قتلهم أو ارتهنهم . فاستقبل عديُّ خالدا وهو (بالسُّنح)
فقال : ياخالد أمسك عنى ثلاثا يجتمع لك خمسمائة مقاتل تضرب بهم عدوّك . وذلك خير
من أن تعجلهم الى النار وتشاغل بهم . ففعل فعاد عدى اليهم وقد أرسلوا لاخوانهم أن
يأتوهم . فأتوهم من بزاخة كالمدد لهم . ولولا ذلك لم يتركوا . فعاد عديّ باسلامهم الى
خالد . وارتحل خالد نحو (الانسر) يريد جديله . فقال له عدى : أنا كالطائر . وان
جديلة أحد جناحى طيىء . فأجّلنى أياما لعل الله أن ينقذ جديلة كما انقذ الغوث .

ففعل . فأتاهم عديّ فلم يزل بهم حتى بايعوه فجاءه باسلامهم . ولحق بالمسلمين منهم
ألف راكب . فكان عدى خير مولود ولد فى أرض طيىء وأعظمهم بركة . وكان عيينة بن
حصن ارتد ولحق بطليحة الأسدى وقال : لأن نتبع نبيا من الحليفين – يعنى غطفان
وبنى أسد – أحب الينا من ان نتبع نبيا من قريش . وقد مات محمد وبقى طليحة . ثم بعد
أن اجتمعت طيىء بفضل مساعى عديّ بن حاتم على خالد مسلمة أرسل خالد بن الوليد
عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم الأنصارى طليعة فلقيهما حبال أخو طليحة فقتلاه فبلغ
خبره طليحة فخرج هو وأخوه سلمة فقتل سلمة ثابت بن أقرم . وقتل طليحة عكاشة
ورجعا . وأقبل خالد بالناس فرأوا عكاشة وثابتا قتيلين فجزع لذلك المسلمون . وانصرف
بهم خالد نحو طيىء فقالت له طيىء : نحن نكفيك قيسا فان بنى أسد حلفاؤنا . فقال
خالد : قاتلوا أى الطائفتين شئتم . فقال عديّ بن حاتم : لو نزل هذا على الذين هم
أسرتى الادنى فالادنى لجاهدتهم عليه والله لاأمتنع عن جهاد بنى أسد لحلفهم . فقال له
خالد : ان جهاد الفريقين جهاد . لاتخالف رأى أصحابك . وأمض بهم الى القوم الذين
هم لقتالهم أنشط . ثم تعبى لقتالهم وسار حتى التقيا على بزاخة وبنو عامر قريبا يتربصون
على من تكون الدائرة . فاقتتل الناس على بزاخة . وكان عيينة بن حصن مع طليحة فى
سبعمائة من بنى فزارة فقاتلوا قتالا شديدا . وطليحة متلفف فى كسائه يتنبأ لهم . فلما اشتد
الحرب كر عيينة على طليحة وقال له : هل جاءك جبريل بعد ؟ قال لا . فرجع فقاتل ثم

كر على طليحة فقال له : لاأبالك أجاءك جبريل : قال لا . فقال عيينة حتى متى قد والله بلغ منا . ثم رجع فقاتل قتالا شديداً ثم كر على طليحة فقال هل جاءك جبريل . قال نعم . قال فماذا قال لك ؟ قال قال لى (ان لك رحى كرحاه . وحديثا لا تنساه) فقال عيينة : قد علم الله انه سيكون حديث لاتنساه . انصرفوا يابنى فزارة فانه كذاب . فانصرفوا وانهزم الناس . وكان طليحة قد أعد فرسه وراحلته لأمرأته (النوار) فلما غشوه ركب فرسه وحمل امرأته ثم نجا بها . وقال : يامعشر فزارة من استطاع أن يفعل هكذا . وينجو بامرأته فليفعل . ثم انهزم فلحق بالشام ثم نزل على كلب . فأسلم حين بلغه أن أسدا . وغطفان . قد أسلموا . ولم يزل مقيما فى كلب حتى مات أبوبكر . وكان خرج معتمرا ومر بجنبات المدينة فى خلافة أبى بكر فقيل لأبى بكر هذا طليحة . فقال : ما أصنع به وقد أسلم . ثم أتى عمر فبايعه حين استخلف فقال له : أنت قاتل عكاشة . وثابت . والله لاأحبك أبدا . فقال ياأمير المؤمنين مايهمك من رجلين أكرمهما الله بيدى . ولم يهنى بايديهما . فبايعه عمر وقال له : مابقى من كهانتك ؟ فقال نفخة أو نفختان . ثم رجع الى قومه فأقام عندهم حتى خرج الى العراق .

هذا ما كان من أمر طليحة الاسدى وتنبئه . وأما ماكان من عيينة بن حصن الفزارى فانه لما انهزم الناس عن طليحة أسر عيينة بن حصن فقدم به على أبى بكر فكان صبيان المدينة يقولون له وهو مكتوف يا عدو الله أكفرت بعد ايمانك ؟ فيقول : والله ما امنت بالله طرفة عين . فتجاوز عنه أبو بكر وحقن دمه . وأخذ من أصحاب طليحة رجل كان عالما به فسأله خالد بن الوليد عما كان يقول فقال ان مما أتى به الحمام . واليام . والصرد والصوام . قد صمن قبلكم بأعوام ليبلغن ملكنا العراق والشام . قال ولم يؤخذ منهم سبى لأنهم كانوا قد احرزوا حريمهم . فلما انهزموا أقروا بالاسلام خشية على عيالاتهم فامنهم .

فحاصل ذلك ان اصحاب الغش . والخداع . والكذب . والسفسطة . والغطرسة أعمارهم قصيرة وأمرهم مفضوح وهم مخذولون عند الله وعند خلقه لانهم فى ضلالهم يعمهون . وعن الحق غافلون صم بكم . عمىٌ فهم لايبصرون ولذلك فلم يمض على دعوى الاسود العنسى النبوة غير ثلاثة أشهر حتى ظهر كذبه وبانت مفترياته وكان عاقبة أمره خسرا . فقتل وسحق وصار عبرة لغيره . وكذلك طليحة الاسدى كان عمر نبوته قصيرا ثم الهمه الله رشده فثاب اليه عقله ونبذ ماكان عليه من الضلال واعتنق الاسلام

وتحصن به وقد ابدى من البسالة والشجاعة فى قتال فارس يوم اليرموك مايحير الشجعان ويبهت الفرسان ، وكان ذلك بقوة الايمان بالله واعتناق دين الاسلام لان الايمان الصحيح يزيد البطل بسالة فوق شجاعته الطبيعية . فقد ظهر جبن طليحة الاسدى فى تنبئه وشجاعته فى اسلامه ولذلك قال ابن خلدون : القوة الدينية تزيد القوة العصبية قوة على قوتها . وهذا شأن العاقل البصير ، والحكيم المفكر ، انه متى ظهر له الحق جليا اتبعه بسرعة . واما الاحمق الغبى المتهوس فهو الذى تراه يتصلب لغيه ، ويتمسك بحماقته ، ويستند على غروره .

* * *

أخبار هوازن وسليم وعامر

كانت بنو عامر تقدم رجلا وتؤخر أخرى فى أمر الردة ، وتنظر ماتصنع بنو أسد وغطفان . فلما أحيط بهم وبنو عامر على قادتهم وسادتهم فكان قرة بن هبيرة فى كعب ومن لافّها ، وعلقمة بن عُلاثة فى كلاب ومن لافها ، وقد كان علقمة اسلم ثم ارتد فى زمن النبى ﷺ وخرج بعد فتح الطائف حتى لحق بالشام ، فلما توفى النبى ﷺ أقبل مسرعا حتى عسكر فى بنى كعب مقدما رجلا ومؤخرا أخرى ، وبلغ ذلك أبابكر الصديق فبعث اليه سرية وأمر عليها القعقاع بن عمرو ، وقال : ياقعقاع سر حتى تغير على علقمة بن علاثة لعلك أن تأخذه لى أو تقتله ، وأعلم أن شفاء النفس الخوض فاصنع ماعندك . فخرج القعقاع فى تلك السرية حتى أغار على الماء الذى عليه علقمة وكان لايبرح أن يكون على رجل فسابقهم على فرسه فسبقهم مراكضة وأسلم أهله وولده وأخذهم ومن معهم من الرجال فاتقوه بالاسلام فقدم بهم على أبى بكر ، فاما ولد علقمة وزوجته فتبرأوا منه وجحدوا أن يكونوا مالأوه وأنهم كانوا مقيمين فى الدار ، وقالوا ماذنبنا فيما صنع علقمة ، ولم يبلغ القعقاع عنهم غير ذلك ، فتركهم ثم أسلم علقمة بعد ذلك وقبل منه ، وأقبلت بنو عامر بعد هزيمة أهل بزاخة ، يقولون ندخل فيما خرجنا منه فبايعهم أبو بكر على مابايع عليه أهل البزاخة من أسد وغطفان وطيىء قبلهم ، وأعطوه ما بأيديهم على الاسلام . ثم أن أبابكر لم يقبل من أحد من بنى أسد ، ولاغطفان ، ولاهوازن ، ولاسليم ، ولاطيىء ، البيعة والعفو عما سلف الا على شرط أن يأتوه بالرجال الذين حرقوا أو مثلوا وعدوا ، على أهل الاسلام فى حال ردتهم ، فأتوا بهم الى القعقاع فمثل بهم بمثل ماوقع منهم وهذا الحكم خاص بمن ارتد بعد اسلامه ، وذلك لحفظ كيان الاسلام من عبث العابثين ، وليكون ذلك عبرة لكل من يريد التعدى على المسلمين فى أموالهم وأنفسهم وأهليهم ، حتى يعلم انه سيحاسب على تعديه حسابا عسيرا . وأرسل قرة بن هيبرة وبعض الأسارى موثقين الى

الخليفه أبي بكر الصديق وكتب اليه ان بني عامر أقبلت بعد اعراض ودخلت في الاسلام بعد تربص . واني لم أقبل من أحد قاتلني أو سالمني شيئا حتى يجيئوني بمن عدا على المسلمين فقتلتهم كل قتلة وبعثت بقرة وأصحابه .

ثم ان أبابكر الصديق رضى الله عنه كتب الى خالد بن الوليد وكان معجبا بما عمله من قتال أهل الردة وتوطيد الأمن في تلك الربوع التي مر بها : ليزدك ما أنعم الله به عليك خيرا واتق الله في أمرك فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . جد في أمر الله ولاتنين ولاتظفرن باحد قتل المسلمين الا قتلته ونكلت به غيره ، ومن أحببت ممن حاد الله أو ضاده ممن ترى ان في ذلك صلاحا فاقتله : فأقام خالد على البزاخة شهرا يصعد عنها ويصوب ويرجع اليها في طلب أولئك المرتدين الذين عاثوا في المسلمين حرقا وقتلا وتعذيبا فمنهم من أحرق ، ومنهم من رضخه بالحجارة ، ومنهم من رمى به من رؤوس الجبال .

فعامل كلا بحسب فعلته التي فعلها بالمسلمين ثم اجتمعت فلال غطفان الى (ظفر) وكان بها أم زِمْل سلمى ابنة مالك بن حذيفة بن بدر وهي تشبه بأمها أم قرفة بنت ربيعة بن فلان بن بدر فاجتمعت تلك الفلال الى سلمى وكانت في مثل عز أمها وعندها جمل أم قرفة فنزلوا اليها فذمرتهم وأمرتهم بالحرب وصعدت سائرة فيهم وصوبت تدعوهم الى حرب خالد حتى اجتمعوا لها وتشجعوا على ذلك والتف حولها الشرداء من كل جانب وكانت قد سُبِيَت أيام أم قرفة فوقعت لعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها فاعتقتها فكانت تكون عندها ثم رجعت الى قومها وقد كان النبي ﷺ دخل عليهن يوما فقال : « ان احداكن تستنبح كلاب الحوأب » ففعلت سلمى ذلك حين ارتدت وطلبت بذلك الثأر . فسيرت فيما بين ظفر والحوأب . لتجمع اليها فتجمع اليها كل فل ومضيّق عليه من تلك الأحياء من غطفان ، وهوازن ، وسليم ، وأسد ، وطيىء ، فلما بلغ خالدا وهو فيما هو فيه من تتبع الثأر وأخذ الصدقة ودعاء الناس وتسكينهم ، سار الى المرأة وقد استكثف أمرها ، وغلظ شأنها ، فنزل عليها وعلى جُمّاعها فاقتتلوا قتالا شديدا وهي واقفة على جمل أمها وفي مثل عزها ، وكان يقال من نخس جملها فله مائة من الأبل لعزها وأصيب أناس من كاهل وكان قتالهم شديدا حتى اجتمع على الجمل فوارس فعقروه وقتلوها وقتل حول جملها مائة رجل وبعث خالد بالفتح الى أبي بكر الصديق فقدم على أثر قرة بنحو عشرين ليلة .

وكان من حديث (الجواء) و(ناعر) ان الفجاءة أياس بن عبد ياليل قدم على أبي

بكر الصديق فقال : أعنى بسلاح ومرنى بمن شئت من أهل الردة . فأعطاه سلاحا وأمره بأمره وحمله على الظهر . فخرج يستعرض الناس المسلم والمرتد يأخذ أموالهم ويصيب من امتنع منهم . ومعه رجل من بنى الشريد يقال له نجبة بن أبى الميثاء فأمره ان يشن الغارة على كل مسلم فى سليم ، وعامر ، وهوازن ، فلما بلغ أبابكر خبره كتب الى طريفة بن حاجز : ان عدو الله الفجاءة أتانى يزعم أنه مسلم ويسألنى أن أقويه على من أرتد عن الاسلام . فحملته وسلحته ثم انتهى الىّ يقين الخبر ان عدو الله قد استعرض الناس المسلم والمرتد . يأخذ أموالهم ويقتل من خالفه منهم . فسر اليه بمن معك من المسلمين حتى تقتله أو تأخذه فتأتينى به . فسار اليه طريفة بن حاجز فلما التقى الناس كانت بينهم الرميا بالنبل فقتل نجبة بن أبى الميثاء بسهم رمى به . فلما رأى الفجاءة من المسلمين الجد قال لطريفة والله ما أنت بأولى بالأمر منى أنت أمير لأبى بكر وأنا أميره . فقال له طريفة : ان كنت صادقا فضع السلاح وانطلق معى الى أبى بكر فخرج معه فلما قدما عليه أمر أبو بكر طريفة بن حاجز فقال : أخرج به الى هذا البقيع فحرقه فيه بالنار فخرج به طريفة الى المصلى فأوقد له نارا فقذفه فيها فقال خفاف بن ندبة يذكر الفجاءة فيما صنع

لِمَ يأخذون سلاحه لقتاله ... ولذاكم عند الاله أثام

لا دينهم دينى ولا أنا فاتن ... حتى يسير الى الطراة شمام

وأما خبر أبى شجرة بن عبد العزى السلمى وهو ابن الخنساء فانه كان قد ارتد فيمن ارتد من سليم ثم عاد الى الاسلام فلما كان زمن خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه قدم المدينة فرأى عمر وهو يقسم فى المساكين فقال أعطنى فانى ذو حاجة فقال ومن أنت فقال أنا أبوشجرة بن عبد العزى السلمى قال عمر : أى عدو الله لا والله . الست الذى تقول

فرويت رمحى من كتيبة خالد ... وانى لارجو بعدها ان أعمرا

وجعل يعلوه بالدرة فى رأسه حتى سبقه عدواً الى ناقته فركبها ولحق بقومه وقال :

ضن علينا أبو حفص بنائلة ... وكل مختبط يوما له ورق

مازال يرهقنى حتى خذيت له ... وحال من دون بعض الرغبة الشفق

هذا ملخص ماذكره ابن جرير الطبرى من خبر ردة بنى سليم وهوازن وعامر وعنه أخذ ابن الأثير وابن خلدون وغيرهما .

* * *

خبر قدوم عمرو بن العاص من عمان

كان قد ارسل رسول الله ﷺ عمرو بن العاص الى جيفر عند منصرفه من حجة الوداع فمات رسول الله ﷺ وعمرو بعمان ، فاقبل حتى انتهى الى البحرين فوجد المنذر ابن ساوى فى الموت ،ثم خرج عنه الى بلاد بنى عامر فنزل بقرة بن هبيرة وقرة يقدم رجلا ويؤخر اخرى ومعه عسكر من بنى عامر فذبح له وأكرم مثواه ، فلما اراد الرحلة خلا به قرة وقال : يا هذا ان العرب لاتطيب لكم نفسا بالاتاوة فان أعفيتموها من أخذ أموالها فستسمع لكم وتطيع وان أبيتم فلاتجتمع عليكم . فقال له عمرو : أكفرت ياقرة ؟ أتخوفنا بالعرب ؟ فوالله لأوطئن عليك الخيل فى حفش أمك ـ وهو البيت الذى ينفرد فيه النساء ـ وقدم عمرو بن العاص رضى الله عنه على المدينة فاخبر المسلمين ان العساكر معسكرة من دبا الى المدينة فتحلق المسلمون حلقا وأقبل عمر بن الخطاب رضى الله عنه يريد التسليم على عمرو بن العاص فمر على حلقة فيها على ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن ، وسعد ، فلما دنا عمر منهم سكتوا ، فقال عمر : فيم أنتم ؟ فلم يجيبوه ، فقال لهم : انكم تقولون ما أخوفنا على قريش من العرب . قالوا صدقت . قال : فلاتخافوهم أنا والله منكم على العرب أخوف منى من العرب عليكم ، والله لو تدخلون معاشر قريش جحرا لدخلته العرب فى آثاركم ، فاتقوا الله فيهم . ومضى عمر .

فلما قدم بقرة بن هبيرة على أبى بكر أسيرا استشهد بعمرو على اسلامه فاحضر أبو بكر عمرا فسأله فاخبره بقول قرة الى ان وصل الى ذكر الزكاة فقال قرة مهلا ياعمرو فقال كلا والله لأخبرنه بجميعه فعفا عنه أبو بكر وقبل اسلامه كما تقدم . رواه ابن الأثير فى تاريخه .

* * *

خبر بني تميم وأمر سجاح بنت الحارث

كان رسول الله ﷺ قبل وفاته فرق عماله فى بنى تميم فكان الزبرقان بن بدر على الرباب ، وعوف ، والأبناء . وكان سهم بن منجاب ، وقيس بن عاصم ، على مقاعس ، والبطون ، وكان صفوان ، وسبرة بن عمرو ، على بنى عمرو أحدهما على بَهْدَى ، والآخر على خضّم ، قبيلتين من بنى تميم . وكان وكيع بن مالك ، ومالك بن نويرة ، على بنى حنظلة أحدهما على بنى مالك والآخر على بنى يربوع . فقدم صفوان على أبى بكر حين بلغه وفاة رسول الله ﷺ بصدقات بنى عمرو وما ولى منها ، وبما والى سبرة ، وأقام سبرة فى قومه لحدث أرباب . وأخذ قيس ، ينظر ما يفعل الزبرقان لما بينهما من التشاحن ، وكان الزبرقان لايجامله بل يتحداه بحظوته وجده ، فقال قيس وهو ينظر الى عمل الزبرقان ومايصنع ليخالفه وقد أبطأ عليه خبره . واويلنا من ابن العكلية والله لقد مزقنى فما أدرى ما أصنع لئن أنا تابعت أبابكر وأتيته بالصدقة لينحرنها فى بنى سعد فليسودنى فيهم ولئن نحرتها فى بنى سعد ليأتين أبابكر فليسودنى عنده . فعزم قيس على قسمها فى المقاعس والبطون ففعل . وأما الزبرقان فقد عزم على الوفاء فاتبع صفوان بصدقات الرباب وعوف والابناء حتى قدم بها المدينة على أبى بكر وهو يقول ويعرض بقيس .

وفيت بأذواد الرسول وقد أبت ... سعاة فلم يردد بعيرا مجيرها

وتحلل الاحياء . ونشب الشر ، وتشاغلوا وشغل بعضهم بعضا ، ثم ندم قيس بعد ذلك فلما أظله العلاء بن الحضرمى أخرج صدقتها فتلقاه بها ، ثم خرج معه وقال فى ذلك :

الا أبلغا عنى قريشا رسالة ... اذا ما أتتها بينات الودائع

ثم تشاغلت فى تلك الحال عوف ، والابناء ، بالبطون ، والرباب ، بمقاعس وتشاغلت خضم ، بمالك . وبَهْدَي ، بيربوع وكان على خضم سبرة بن عمرو ، وذلك الذى خلفه عن صفوان والحصين بن نبار ، على بهدى والرباب . وعبد الله بن صفوان على ضبة . وعصمة

ابن أبير . على عبد مناة . وعلى عوف . والابناء عوف بن البلاد بن خالد من بنى غم الجشمى . وعلى البطون . سعر بن خفاف . وقد كان ثمامة بن أثال يأتيه امداد من بنى تميم فلما حدث هذا الحادث فيما بينهم تراجعوا الى عشائرهم فاضرّ ذلك بثمامة بن أثال حتى قدم عليه عكرمة بن ابى جهل وأنهضه فلم يصنع شيئا فبينا الناس فى بلاد بنى تميم على ذلك قد شغل بعضهم بعضا فمُسْلمهم بازاء من قدم رجلا وأخر أخرى وتربص اذ فاجأتهم سَجَاح بنت الحارث بن سويد وقد أقبلت من الجزيرة وكانت ورهطها فى بنى تغلب تقود أفناء ربيعة معها الهذيل بن عمران فى بنى تغلب . وعقّة بن هلال فى النحر . وزيادة بن فلان فى اياد . والسليل بن قيس فى شيبان . فأصبح الناس فى أمر عظيم أدهى وأمر مما هم فيه لهجوم سجاح عليهم ولماهم فيه من اختلاف الكلمة والتشاغل بما بينهم .

وكانت سجاح بنت الحارث قد تنبأت بعد وفاة رسول الله ﷺ بالجزيرة فى بنى تغلب فاستجاب لها الهذيل وترك التنصرُ . وهؤلاء الرؤساء الذين أقبلوا معها لتغزو بهم أبا بكر الصديق . فلما انتهت الى الحزن راسلت مالك بن نويرة ودعته الى الموادعة فأجابها وحملها على أحياء من بن تميم . فقالت نعم فشأنك بمن رأيت فانى انما أنا امرأة من بنى يربوع وان كان مُلك فالملك ملككم . فأرسلت الى بنى مالك بن حنظلة تدعوهم الى الموادعة . فخرج عُطارد بن حاجب وسروات بنى مالك حتى نزلوا فى بنى العنبر على سبرة بن عمر وهدّاباً قد كرهوا ماصنع وكيع . وخرج أشباهم من بنى يربوع حتى نزلوا على الحصين بن نيار فى بنى مازن وقد كرهوا ماصنع مالك . فلما جاء رسل سجاح الى بنى مالك تطلب الموادعة أجابها الى ذلك وكيع . فاجتمع وكيع . ومالك . وسجاح وقد وادع بعضهم بعضا واجتمعوا على قتال الناس . وقالوا بمن نبدأ بخضم . أم بهدى . أم بعوف والأبناء . أم بالرباب . وكفوا عن قيس لما رأوا من تردده وطمعوا فيه فقالت سجاح : أعدُّوا الركاب . واستعدوا للنهاب . ثم أغيروا على الرباب . فليس دونهم حجاب . وقصدت سجاح للاحفار حتى تنزل بها وقالت لهم : ان الدهناء حجاز بنى تميم . ولن تعدو الباب . اذا شدها المصاب . أن تلوذ بالدجانى . والدهانى . فلينزلها بعضكم . فتوجه مالك بن نويرة الى الدجانى فنزلها . وسمعت بهذا الرباب فاجتمعوا لهاضبتها وعبد مناتها . فولى وكيع وبشر بنى بكر من بنى ضبة . وولى ثعلبة بن سعد بن ضبة عقة . وولى عبد مناة الهذيل . فالتقى وكيع وبشر وبنو بكر من بنى ضبة فهزما وأسر سماعة ووكيع . وقعقاع .

وقتلت قتلى كثيرة فصرفت سجاح ، والهذيل ، وعقة بن بكر للموادعة التى بينها وبين وكيع ، وكان عقة خال بشر ، وقالت اقتلوا الرباب ويصالحونكم ويطلقون أسراكم وتحملون لهم دماءهم وتحمد غبّ رأيهم أخراهم . فأطلقت لهم ضبة الاسرّي وودوا القتلى وخرجوا عنهم .

ثم ان سجاحا خرجت فى جنود الجزيرة حتى بلغت (النّبَاج) فأغار عليهم أوس بن خزيمة الهجيمى فيمن تأشب اليه من بنى عمرو فأسر الهذيل ، وأسر عقة ، وتحاجزا على ان يترادوا الأسرى وينصرفوا عنهم ولايتجاوزا عليهم ففعلوا فردوها وتوثقوا عليها وعليهما ان يرجعوا عنهم ولايتخذوهم طريقا الامن ورائهم فوفوا لهم ولم يزل فى نفس الهذيل على المازنى حتى اذا قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه جمع جمعا فأغار على سفار وعليه بنو مازن فقتلته بنو مازن ورموا به فى سفار .

ولما رجع الهذيل وعقة من أسرهما اليها واجتمع رؤساء أهل الجزيرة قالوا لها ما تأمريننا فقد صالح مالك ووكيع ، قومهما فلا ينصروننا ولايريدوننا على أن نجوز فى أرضهم وقد عاهدنا هؤلاء القوم . فقالت سجاح (اليمامة) فقالوا ان شوكة اهل اليمامة شديدة وقد غلظ أمر مسيلمة فقالت : عليكم باليمامة ، ودفّوا دفيف الحمامة ، فانها غزوة صرامة ، لايلحقكم بعدها ملامة . فتوجهت لبنى حنيفة وبلغ ذلك مسيلمة فهابها وخاف ان هو شغل بها ان يغلبه ثمامة على حَجْر ، أو شرحبيل بن حسنة ، أو القبائل التى حولهم فأهدى لها ثم أرسل اليها يستأمنها على نفسه حتى يأتيها . فنزلت الجنود على الأمواه ، واذنت له وامنته فجاءها وافداً فى أربعين من بنى حنيفة وكانت راسخة فى النصرانية قد علمت من علم نصارى تغلب . فقال مسيلمة : لنا نصف الأرض وكان لقريش نصفها لو عدلت ، وقد رد الله عليك النصف الذى رَدَّت قريش فحباك به ، وكان لها لو قبلت . فقالت : لايرد النصف الا من حَنَف فاحمل النصف الى خيل تراها كالسهف . فقال مسيلمة : سمع الله لمن سمع ، واطعمه بالخير إذ طمع ، ولا زال أمره فى كل ماسرّ نفسه يجتمع ، رآكم ربكم فحياكم ، ومن وحشة خلاكم ، ويوم دينه انجاكم ، فأحياكم علينا من صلوات معشر أبرار ، لا أشقياء ولا فجار ، يقومون الليل ويصومون النهار ، لربكم الكبار ، رب الغيوم والأمطار . وقال ايضا لما رأيت وجوههم حسنت ، وأبشارهم صفت ، وأيديهم طَفَلَت ، قلت لهم لا النساء تأتون ، ولا الخمر تشربون ، ولكنكم معشر أبرار تصومون يوما ، وتكلفون

يوما . فسبحان الله اذا جاءت الحياة كيف تحيون . والى ملك السماء ترقون . فلو انها حبة
خردلة لقام عليها شهيد يعلم مافى الصدور . وأكثر الناس فيها الثبور . وكان مما شرع لهم
مسيلمة ان من اصاب ولدا واحدا عقبا لا يأتى امرأة الى ان يموت ذلك الابن فيطلب الولد
حتى يصيب ابنا ثم يمسك . فكان قد حرم النساء على من له ولد ذكر . ثم ان مسيلمة امر
ان تضرب قبة لسجاح وتبخر ففعلوا فلما دخلت سجاح القبة دخل عليها مسيلمة ودارسها
فقال ما أوحى اليك ؟ قالت : وهل تكون النساء يبتدئن . ولكن أنت ما أوحى اليك ؟
قال : ألم تر الى ربك كيف فعل بالحبلى . أخرج منها نسمة تسعى . من بين صفاق
وحشى . قالت : ماذا ايضا ؟ قال : أوحى الى ان الله خلق النساء أفراجا . وجعل الرجال
لهن أزواجا . فنولج فيهن قعسا ايلاجا . ثم نخرجها اذا نشاء اخراجا . فينتجن لنا
سخالا انتاجا . قالت : أشهد انك نبى . قال : هل لك ان اتزوجك فآكل بقومى وقومك
العرب ؟ قالت نعم . فأقامت عنده ثلاثا ثم انصرفت الى قومها . فقالوا : ما عندك ؟
قالت : كان على الحق فاتبعته فتزوجته . قالوا : فهل اصدقك شيئا ؟ قالت لا . قالوا :
ارجعى اليه فقبيح بمثلك ان ترجع بغير صداق . فرجعت فلما رآها مسيلمة أغلق الحصن
وقال مالك ؟ قالت : أصدقنى صداقا . قال : من مؤذنك ؟ قالت : شبث بن ربعى
الرياحى . قال على به . فجاء فقال : ناد فى أصحابك ان مسيلمة بن حبيب رسول الله قد
وضع عنكم صلاتين مما أتاكم به محمد صلاة العشاء الآخرة وصلاة الفجر . ثم صالحها على
ان يحمل اليها النصف من غلات اليمامة فحمل اليها النصف فاحتملته وانصرفت به الى
الجزيرة وخلفت الهذيل . وعقة . وزيادا لينجز النصف الباقى فلم يفجأهم الا دنو خالد بن
الوليد رضى الله عنه منهم فأرفضوا فلم تزل سجاح فى بنى تغلب حتى نقلهم معاوية بن
ابى سفيان رضى الله عنه فى امارته عام الجماعة فنقلهم من الجزيرة الى الكوفة وجاءت
معهم سجاح وحسن اسلامها .

ثم أتى الزبرقان . والأقرع بن حابس . الى أبى بكر وقالا : اجعل لنا خراج
البحرين ونضمن لك الا يرجع من قومنا أحد . فأراد ابوبكر رضى الله عنه ان يمضى لهما
ذلك فمانع عمر بن الخطاب رضى الله عنه فسكت واستقاما وشهدا مع خالد المشاهد كلها
حتى اليمامة . ملخص من ابن جرير فى تاريخه .

فهذا خبر سجاح وماوقع بينها وبين مسيلمة وكيف تغلب عليها من طريق الأنوثة

وانتهى أمرها اخيرا باسلامها ومما يستغرب انقياد رؤساء القبائل لها واستسلامهم لارادتها . مع انهم لم يكونوا أغبياء لهذا الحد وانما الذى جعلهم ينقادون لها هو الغرض المتحكم فى نفوسهم فى منع الزكاة مع انهم لم يصلوا الى ذلك بل كانت النتيجة انهم دفعوا الزكاة وعادوا الى الاسلام بعد ان آب اليهم رشدهم .

* * *

خبر مالك بن نويرة

لما أراد خالد بن الوليد رضى الله عنه السير خرج من ظفر وقد استبرأ أسدا. وغطفان ، وطيأ ، وهوازن ، فسار يريد البطاح دون الحزن وعليها مالك بن نويرة وقد تردد بعد منصرف سجاح الى الجزيرة وندم وتحير فى أمره وعرف وكيع ، وسماعة ، قبح ما أتيا. وقد ترددت الأنصار على خالد وتخلفت عنه وقالوا ماهذا بعهد الخليفة الينا ان الخليفة عهد الينا ان نحن فرغنا من البزاخة واستبرأنا بلاد القوم ان نقيم حتى يكتب الينا . فقال خالد : ان يك عهد اليكم هذا فقد عهد الىّ ان امضى وأنا الأمير والىّ تنتهى الأخبار . ولو انه لم يأتنى له كتاب ولا أمر ثم رأيت فرصة فكنت ان اعلمته فاتتنى ، لم اعلمه حتى انتهزها ، وكذلك لو ابتلينا بأمر ليس منه عهد الينا فيه ، لم ندع ان نرى افضل مابحضرتنا ثم نعمل به ، وهذا مالك بن نويرة بحيالنا وانا قاصد اليه ومن معى من المهاجرين والتابعين باحسان ولست أكرهكم . ومضى خالد وندمت الأنصار وتذامروا وقالوا : ان أصاب القوم خيرا انه لخير حرمتموه ، وان أصابتهم مصيبة ليجتنبنكم الناس فاجمعوا اللحاق بخالد وجردوا اليه رسولا فأقام عليهم حتى لحقوا به . ثم سار حتى قدم البطاح فلم يجد به أحداً ووجد مالكا قد فرقهم فى أموالهم ونهاهم عن الاجتماع حين تردد عليه أمره ، وقال : يابنى يربوع انا قد كنا عصينا أمراءنا إذ دعونا الى هذا الدين وبطّأنا الناس عنه فلم نفلح ولم ننجح ، وانى قد نظرت فى هذا الأمر فوجدت الأمر لم يتأت بغير سياسة واذا الأمر لايسوسه الناس فأياكم ومناوأة قوم صنع لهم ، فتفرقوا الى دياركم وادخلوا فى هذا الأمر ، فتفرقوا على ذلك الى أموالهم وخرج مالك حتى رجع الى منزله . ولما قدم خالد البطاح بث السرايا وأمرهم بداعية الاسلام وان يأتوه بكل من لم يجب وان امتنع ان يقتلوه . وكان مما أوصى به أبوبكر الصديق رضى الله عنه : اذا نزلتم منزلا فاذنوا وأقيموا ، فان أذن القوم وأقاموا فكفوا عنهم ، وان لم يفعلوا فلا شىء الا الغارة ، ثم تقتلوا كل قتلة

الحرق فما سواه . وان أجابوكم الى داعية الاسلام فسائلوهم فان أقروا بالزكاة فاقبلوا منهم . وان أبوها فلاشيء الا الغارة ولا كلمة : فجاءت خالد الخيل بمالك بن نويرة فى نفر معه من بنى ثعلبة بن يربوع من عاصم ، وعبيد ، وعرين ، وجعفر ، فاختلفت السرية فيهم ، وفيهم أبو قتادة الأنصارى فكان فيمن شهد انهم قد أذنوا وأقاموا ، وصلوا ، فلما اختلفوا فيهم امر بهم فحبسوا فى ليلة باردة لايقوم لها شيء وجعلت تزداد بردا فأمر خالد مناديا فنادى (أدفئوا أسراكم) وكانت كناية فى لغة كنانة عن القتل فقتلوهم وقتل ضرار ابن الأزور مالكا ، وسمع خالد الواعية فخرج وقد فرغوا منهم فقال : إذا أراد الله امرا أصابه . وقد اختلف القوم فيهم فقال ابوقتادة هذا عملك فزجره خالد فغضب ومضى حتى أتى أبابكر فغضب عليه أبوبكر حتى كلمه عمر فيه فلم يرض الا ان يرجع الى خالد فرجع اليه حتى قدم معه المدينة . وتزوج خالد ام تميم ابنة المنهال وتركها لينقضى طهرها وكانت العرب تكره النساء فى الحرب وتعايره . فلما علم ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لأبى بكر الصديق رضى الله عنه : ان فى سيف خالد رهقا فان لم يكن هذا حقا حق عليه ان تقيده . وأكثر عليه فى ذلك ، وكان ابوبكر لايقيد من عماله ولا وَزَعَتِه فقال : هيه ياعمر تأوّل فأخطأ فارفع لسانك عن خالد وودّى مالكا ، لم اكن لأشيم سيفا سله الله على الكافرين . وكتب الى خالد ان يقدم عليه ، ففعل فلما قدم خالد أخبر أبابكر خبره ، فعذره وقبل منه وعنفه فى التزويج الذى كانت تعيب عليه العرب .

هذا مارواه ابن جرير فى تاريخه واخذ عنه المؤرخون ومنه يتضح خبر مالك بن نويرة وسبب قتله ، وان خالد بن الوليد رضى الله عنه بريء من دمه ، وان قتله كان خطأ واجتهادا فى فهم الكناية فى قول خالد (أدفوا اسراكم) فظن أصحاب خالد انه أراد قتلهم ولم يرد إدفاءهم من البرد الشديد حيث انه لم يكن هناك غرض شخصى بين خالد ومالك ، ولا كما يقوله بعض اعداء خالد انه قتله لأجل ان يتزوج بامرأته ، فاذا كان وقع ذلك صدفة فهل من الانصاف ان يبنى عليه سبب كهذا مع ان هذا السبب لاينطبق على أمثال خالد لأن تلك النفوس الكبيرة العظيمة لا تتدانى الى ذلك فما قادوا الجيوش الا لاعلاء كلمة الله تعالى .

وأما قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأبى بكر الصديق رضى الله عنه : ان فى سيف خالد رهقا . وطلب منه ان يقيده ، فهذا مبنى على سياسة التألف ، ولكل رأيه

واجتهاده . وليس فى ذلك مايوجب ادانة خالد بدم مالك لأنه لم يأمر بقتله كما تقدم . ..
ان من طبيعة القواد العظام . والفاتحين الكبار . الجرأة . والاقدام . والصولة . فى اقتحام
الأمور الصعاب ولولا ذلك لما حصل لهم التغلب والفوز فى ميادين الوغى على اعدائهم
حيث ان النفسية التى تكون فى البطل حالة خوضه غمرات الحروب . ومصارعة الأبطال .
والتغلب على الخصم . هى غير النفسية التى تكون فى الشخص حالة السلم . لأن حالة
الحرب تتطلب الجرأة والاستعجال وسرعة المبادرة كى يحصل على الفوز بسرعة البرق .
ولايمهل الخصم لئلا ينتهز فرصة التأنى ليصول عليه وتنعكس القضية . وحالة السلم من
مقتضاها التروى فى الأمور لأن المضرة التى تنتج من الاستعجال فى حالة السلم هى عين
المضرة التى تنتج من التروى والاناءة فى حالة الحرب . وهذا هو الحل الوحيد لرأى خالد
لأنه كان فى حالة الحرب . ولرأى عمر بن الخطاب لأنه كان فى حالة السلم . وعلى كل
فينبغى على الباحث ان يقدر المواقف حق قدرها . ويعطى لكل موقف حقه . ويقدر
الرجال ويعطى لكل رجل حقه . كما يقتضيه العدل والانصاف .

* * *

خبر مسيلمة والقضاء عليه

كان أبوبكر الصديق رضى الله عنه قد بعث عكرمة بن أبى جهل رضى الله عنه الى مسيلمة باليمامة ، واتبعه بشرحبيل بن حسنة ، فتعجل عكرمة فى قتال مسيلمة قبل ان يأتيه شرحبيل وذلك لأجل ان يفوز بالنصر وحده ويكون له أجره وهو اجتهاد منه وتفان فى سبيل الله تعالى فواقع القوم فنكبوه ، واقام شرحبيل بالطريق حيث ادركه الخبر . وكتب عكرمة الى ابى بكر بالذى كان من أمره ، فكتب اليه أبوبكر : يا ابن أم عكرمة لا أرينك ولا تراني على حالها ، لا ترجع فتوهن الناس ، وامض على وجهك حتى تساند حذيفة وعرفجة فقاتل معهما اهل عمان ومهرة ، وان شغلا فامض انت ثم تسير وتسير جندك تستبرئون من مررتم به حتى تلتقوا أنتم والمهاجر بن أبى أمية باليمن وحضر موت . وكتب الى شرحبيل يأمره بالمقام حتى يأتيه امره . كل ذلك كان حين اشتغال خالد بن الوليد بطليحة الأسدى . ثم كتب الى شرحبيل كتابا آخر قبل ان يوجه خالدا بأيام الى اليمامة وهو : اذا قدم عليك خالد ثم فرغتم ان شاء الله فالحق بقضاعة حتى تكون انت وعمرو ابن العاص على من أبى منهم وخالف . فلما قدم خالد على ابى بكر من البطاح بعد وقعة مالك بن نويرة ورضى ابوبكر عن خالد وقبل عذره وصدقه كما تقدم بيانه وجهه الى مسيلمة وأوعب معه الناس وجعل على الأنصار ثابت بن قيس والبراء بن فلان ، وعلى المهاجرين ابوحذيفة وزيد ، وعلى كل قبيلة من القبائل رجل . واسرع خالد الى معسكره بالبطاح قبل تعبئة الجيوش التى رتبها الخليفة ابوبكر علاوة على من كان معه من الجند بالبطاح وانتظر هناك تلك الجيوش فلما قدمت عليه نهض من البطاح حتى أتى اليمامة . وكان عدد بنى حنيفة يومئذ اربعين ألف مقاتل فى قراها وحجرها ، وكان مسيلمة يصانع كل واحد ويتألفه ولايبالى ان يطلع الناس منه على قبيح ، وكان معه نهار الرَّجَّال بن عُنْفُوة ، وكان قد هاجر الى النبى ﷺ وقرأ القرآن وفقه فى الدين ، فبعثه رسول الله ﷺ معلما لأهل اليمامة وليشغب على مسيلمة وليشدد من أمر المسلمين .

فكان نهار الرَّجَّال أعظم فتنة على بني حنيفة من مسيلمة ، وذلك انه لما وصل الى اليمامة شهد لمسيلمة عند بنى حنيفة انه سمع رسول الله ﷺ يقول انه أشرك معه مسيلمة ، فصدقوه واستجابوا لمسيلمة وأمره بمكاتبة النبى ﷺ ووعدوه ان هو لم يقبل ان يعينوه عليه ، فكان نهار الرَّجَّال لايقول شيئا الا تابعه عليه وكان ينتهى الى امره . وكان يؤذن للنبى ﷺ ويشهد فى الاذان ان محمدا رسول الله ، وكان الذى يؤذن له عبدالله بن النَّوَّاحة ، وكان الذى يقيم له حجير بن عمير ويشهد له وكان مسيلمة اذا دنا حجير من الشهادة قال صرح حجير ، فيزيد فى صوته ويبالغ لتصديق نفسه وتصديق نهّار وتضليل من كان قد أسلم . فعظم وقاره فى أنفسهم . وضرب (حَرَماً) باليمامة فنهى عنه وأخذ الناس به ، فكان محرما فوقع فى ذلك الحرم قرى الأحاليف أفخاذ من بنى أسيد كانت دارهم باليمامة ، فصار مكان دارهم فى الحرم . والأحاليف سيحان ، ونماره ، ونمر ، والحارث ، بنو جروة . فان اخصبوا أغاروا على ثمار اهل اليمامة واتخذوا الحرم دغلا ، فان نذروا بهم فدخلوه اى الحرم احجموا عنهم ، وان لم ينذروا بهم فذلك مايريدون . فكثر ذلك منهم حتى استعدوا عليهم فقال مسيلمة : انتظر الذى يأتى من السماء فيكم وفيهم ، ثم قال لهم (والليل الأطحم ، والذئب الأدلم ، والجذع الأزلم ، ما انتهكت أسيد من محرم) فقالوا أما محرم استحلال الحرم وفساد الأموال ؟ ثم عادوا للغارة وعادوا للعدوى . فقال مسيلمة : انتظر الذى يأتينى ، فقال (والليل الدامس ، والذئب الهامس ، ماقطعت أسيد من رطب ولايابس) فقالوا : أما النخيل مرطبة فقد جذوها ، واما الجدران يابسة فقد هدموها . فقال مسيلمة : اذهبوا وارجعوا فلا حق لكم . وكان فيما يقرأ لهم فيهم (ان بنى تميم قوم طهر لقاح لامكروه عليهم ولاإتاوة ، نجاورهم ماحيينا باحسان ، نمنعهم من كل انسان ، فاذا متنا فأمرهم الى الرحمن) وكان يقول (والشآء وألوانها ، وأعجبها السود والبانها ، والشاة السوداء واللبن الأبيض ، انه لعجب محض ، وقد حرم المذق فمالكم لاتمجعون) وكان يقول (ياضفدع ابنة ضفدع نقى ماتنقين أعلاك فى الماء ، وأسفلك فى الطين ، لا الشارب تمنعين ، ولا الماء تكدرين) وكان يقول (والمبذرات زرعا ، والحاصدات حصدا ، والذاريات قمحا ، والطاحنات طحنا ، والخابزات خبزا ، والثاردات ثردا ، واللاقمات لقما ، أهالة وسمنا ، لقد فضلتم على اهل الوبر ، وماسبقكم اهل المدن ، ريفكم فامنعوه ، والمعتر فآووه ، والباغى فناوئوه) وغير ذلك من الترهات ، وكان الذى لقنه ذلك ويخبره بمعجزات

النبى ﷺ هو نهّار الرَّجّال بن عنفوة رأس الكفر والفساد . وهو الذى اغرى بنى حنيفة لأنه كان مندوبا من قبل النبى ﷺ كما تقدم . وقد أورد ابن جرير الطبرى فى تاريخه عن نهّار اضاليل كثيرة كان يلقنها لمسيلمة ويحض الأعراب بطلب البركة والمعجزات من مسيلمة كما ان المسلمين يطلبونها من رسول الله ﷺ . فكانت تقع على عكس مايريدون فكان نهّار أشر من الشياطين على أهل اليمامة ولو سلمت اهل اليمامة منه لما وجد مسيلمة من يتبعه منهم لأنه بشهادة نهّار أن النبى ﷺ اعترف بنبوة مسيلمة وانه شريكه اغترت الناس بقوله وتبعوا مسيلمة . ومن أضاليل نهّار قال ابن جرير قال له نهّار : برّك على مولودى بنى حنيفة . فقال له (أى مسيلمة) : وما التبريك ؟ قال : كان أهل الحجاز اذا ولد فيهم المولود أتوا به محمدا ﷺ فحنكه ومسح رأسه . فلم يؤت مسيلمة بصبى فحنكه ومسح رأسه الا قرع ولثغ واستبان ذلك بعد مهلكه . وأتاه رجل فقال ادع الله لأرضى فانها مسبخة كما دعا محمد ﷺ لسلمى على ارضه فقال (اى مسيلمة) : مايقول يا نهّار ؟ فقال : قدم عليه (يعنى رسول الله ﷺ) سلمى وكانت ارضه سبخة فدعا له وأعطاه سجلا من ماء ، ومج له فيه فافرغه فى بئره ثم نزع فطابت وعَذُبَت . ففعل مثل ذلك فانطلق الرجل ففعل بالسجل كما فعل سلمى فغرقت ارضه فما جف ثراهـا ولا أدرك ثمرها . وغير ذلك من الأضاليل التى كان يغرى بها نهّار أهل اليمامة بمسيلمة ، ولكل شىء نهاية .

فسار خالد بن الوليد رضى الله عنه حتى اذا اظل عليهم أسند خيولا لعَقة ، والهذيل ، وزياد . وقد كانوا أقاموا على خرج اخرجه لهم مسيلمة ليلحقوا به سجاح ، كما تقدم فى خبر سجاح ـ وكتب الى القبائل من تميم فيهم فنفروهم حتى أخرجوهم من جزيرة العرب . ثم ان شرحبيل بن حسنة رضى الله عنه تعجل فى قتال مسيلمة وفعل فِعْل عكرمة يريد ان يسبق خالدا فى الفوز قبل قدوم خالد عليه وذلك من عادة الأبطال خصوصا ابطـال الاسلام فتراهم يتسابقون الى الموت حبا فى الفوز والنصر والذكر الحسن وانالة الأجر والثواب غير ان شرحبيل لم يصادفه حسن الحظ فنكب . فلما قدم عليه خالد لامه على تسرعه . وكان السبب فى إسناد خالد لتلك الخيول هو مخافة أن يأتوه من خلفه وكانوا بأفنية اليمامة وقد أمد أبوبكر الصديق رضى الله عنه خالدا بسليط ليكون ردءا له من أن يأتيه أحد من خلفه . فخرج سليط فلما دنا من خالد وجد تلك الخيول التى انتابت تلك البلاد قد فرقوا فهربوا ، وكان منهم قريبا ردءا لهم . وكان أبوبكر الصديق رضى الله عنه

يقول : لا أستعمل أهل بدر ، أدعهم حتى يلقوا الله بأحسن أعمالهم ، فان الله يدفع بهم وبالصلحاء من الأمم اكثر وأفضل مما ينتصر بهم . وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : والله لأشركنهم وليواسنني . فكان رأى عمر رضى الله عنه على خلاف رأى أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى اهل بدر ، فان رأى أبى بكر بقاء اهل بدر بالمدينة وعدم ارسالهم الى جهاد المرتدين لأن فى بقائهم بركة ، ورأى عمر ان يشركهم فى الجهاد وغيره . ولكل وجهة .

ولما بلغ مسيلمة دنو خالد ضرب عسكره (بعقرباء) واستنفر الناس فجعل الناس يخرجون اليه وخرج مجاعة بن مرارة فى سرية يطلب بثأر له فى بنى عامر وبنى تميم قد خاف فواته وبادر به الشغل ، فأما ثأرهم فى بنى عامر فكانت خولة ابنة جعفر فيهم فمنعوهم منها فاختلجها ، وأما ثأره فى بنى تميم فنعم أخذوا له ، واستقبل خالد شرحبيل بن حسنة فقدمه ، وأمر على المقدمة خالد بن فلان المخزومى ، وجعل على المجنبتين زيداً وأبا حذيفة ، وجعل مسيلمة على مجنبتيه المحكم ونهاراً الرَّجَّال . فسار خالد ومعه شرحبيل حتى اذا كان من عسكر مسيلمة على ليلة هجم على (جبيلة) هجوم المقلل وكان بها مجاعة وأصحابه وهم نحو الأربعين وقد غلبهم الكرى ، وكانوا راجعين من بلاد بنى عامر بعد ان استخرجوا خولة ابنة جعفر منهم ، وكانت معهم فعرّسوا دون أصل الثنية ثنية اليمامة فوجدهم جند خالد نياما وأرسان خيولهم بأيديهم تحت خدودهم ، وهم لا يشعرون بقرب الجيش منهم فأنبهوهم وقالوا : من أنتم ؟ قالوا : هذا مجاعة وهذه حنيفة ، قالوا : وأنتم فلاحياكم الله ، فأوثقوهم وأقاموا الى أن جاءهم خالد بن الوليد فأتوه بهم ، فظن خالد أنهم جاءوا ليستقبلوه وليتقوه بحاجته ، فقال : متى سمعتم بنا ؟ قالوا : ما شعرنا بك ، انما خرجنا لثأر لنا فيمن حولنا من بنى عامر وتميم ، ولو فطنوا لقالوا تلقيناك حين سمعنا بك ، فأمر بهم أن يقتلوا ، فجادوا كلهم بأنفسهم دون مجاعة بن مرارة ، وقالوا : ان كنت تريد بأهل اليمامة غداً خيراً أو شراً فاستبق هذا ولا تقتله ، فقتلهم خالد وحبس مجاعة عنده كالرهينة فى الحديد ، ثم دفعه الى أم تميم امرأته فقال : استوصى به خيرا . ثم مضى حتى نزل اليمامة على كثيب مشرف على اليمامة فضرب به عسكره . وكان المسلمون يسألون عن نَهَار الرَّجَّال بن عنفوة بن نهشل ، فلقيهم فى أوائل الناس متكتبا .

ثم التقى الناس ودارت رحى الحرب ولم يلقهم حرب قط مثلها من حرب العرب

فاقتتل الناس قتالاً شديدا حتى انهزم المسلمون وخلص بنو حنيفة الى مجّاعة والى خالد فزال خالد عن فسطاطه ودخل أناس الفسطاط وفيه مجاعة عند أم تميم فحمل عليها رجل بالسيف فقال مجاعة : مَهْ أنا لها جار فنعمت الحُرّة ، عليكم بالرجال فرعبلوا الفسطاط بالسيوف . ثم ان المسلمين تداعوا فقال ثابت بن قيس رضى الله عنه بئسما عودتم أنفسكم يا معشر المسلمين . اللهم انى أبرأ اليك مما يعبد هؤلاء يعنى أهل اليامة . و وأبرأ اليك مما يصنع هؤلاء يعنى المسلمين . ثم جالد بسيفه حتى قتل . وقال زيد بن الخطاب رضى الله عنه حين انكشف الناس عن رحالهم : لا تَحُوُّزَ بعد الرحال . ثم قال لنهّار الرجال : الله الله فوالله لقد تركت الدين ، وان الذى أدعوك اليه لأشرف لك وأكثر لدنياك ، فأبى فاجتلدا فَقَتَل زيدُ بن الخطاب نهاراً الرَّجَّالَ . وقُتُل أهلُ البصائر من بنى حنيفة فى أمر مسيلمة فتذامروا ، وحمل كل قوم فى ناحيتهم فجال المسلمون حتى بلغوا عسكرهم ، ثم أعْرَوه لهم فقطعوا أطناب البيوت وهتكوها ، وتشاغلو بالعسكر ، وتذامر زيد ، وخالد ، وأبو حذيفة . وتكلم الناس وكان يوم جنوب له غبار . فقال زيد بن الخطاب لما تكلم الناس :

لا والله لا أتكلم اليوم حتى نهزمهم أو ألقى الله فاكلمه بحجتى ، عضوا على أضراسكم أيها الناس وأضربوا فى عدوكم وامضوا قدماً ، ففعلوا فردوهم الى مصافهم ، حتى أعادوهم الى أبعد من الغاية التى حيزوا اليها من عسكرهم ، وقُتِلَ زيد بن الخطاب رحمة الله ، وقال أبو حذيفة : يا اهل القرآن زينوا القرآن بالفعال ، ثم حمل فحازهم حتى أنفذهم ، وأصيب رحمه الله ، ثم أعطوا الراية الى سالم فقال : ما أعلمنى لأى شىء أعطيتمونيها ؟ قلتم صاحب قرآن وسيثبت كما ثبت صاحبها قبله حتى مات ، قالوا أجل ، وقالوا فانظر كيف تكون ، فقال : بئس والله حامل القرآن أنا إن لم أثبت ، وكان صاحب الراية قبله عبد الله ابن حفص بن غانم ، فاشتد القتال وكانت يومئذ سجالا فكانت مرة على المسلمين ومرة على الكافرين ، فقال خالد : أيها الناس امتازوا لنعلم بلاء كل حى ، ولنعلم من أين نؤتى ، فامتاز أهل القرى والبوادى ، وامتازت القبائل من أهل البادية ، وأهل الحاضر ، فوقف بنو كل أب على رايتهم ، وقال أهل القرى : نحن أعلم بقتال أهل القرى يا معشر أهل البادية منكم ، فقال أهل البادية : ان أهل القرى لا يحسنون القتال ولا يدرون ما الحرب فسترون اذا امتزتم من أين يجىء الخلل ، فامتازوا واستحر القتال فما رؤى يوم كان أحد ولا اعظم نكاية مما رؤى يومئذ ، ولم يدر أى الفريقين كان أشد فيهم نكاية

الا ان المصيبة كانت فى المهاجرين والأنصار أكثر منها فى أهل البادية ، ورمى عبد الرحمن ابن أبى بكر المحكم بسهم فقتله وهو يخطب فنحره ، وهو محكم بن الطفيل ، وكان يقول فى خطبته : يا معشر بنى حنيفة الآن والله تستحقب الكرائم غير رضيات ، وينكحن غير حظيات ، فما عندكم من حسب فأخرجوه ، فقاتل قتالا شديدا حتى رماه عبد الرحمن بن ابى بكر فقتله ، وثبت مسيلمة ودارت رحاهم عليه فعرف خالد أنها لاتدور الا بقتل مسيلمة ولم تحفل بنو حنيفة بقتل من قتل منهم .

ثم برز خالد حتى اذا كان أمام الصف دعا الى البراز وانتمى وقال : أنا ابن الوليد العود ، أنا ابن عامر وزيد ونادى بشعارهم يومئذ ، وكان شعارهم يومئذ (يا محمداه) فجعل لا يبرز له أحد الا قتله وهو يرتجز .

أنا ابن أشياخ وسيفى السّخْت   أعظم شيء حين يأتيك النفت

ولا يبرز له شيء الا أكله ودارت رحى المسلمين وطحنت ، ثم نادى خالد حين دنا من مسيلمة وكان رسول الله ﷺ قال « ان مع مسيلمة شيطانا لا يعصيه فاذا اعتراه أزبد ، كأن شدقيه زبيبتان لا يهم بخير أبد الا حرفه عنه ، فاذا رأيتم منه عورة فلا تقيلوه العثرة » فلما دنا خالد منه طلب تلك ، ورآه ثابتا ، ورحاهم تدور عليه وعرف انها لا تزول الا بزواله ، فدعا مسيلمة طالبا لعورته فأجابه فعرض عليه أشياء مما يشتهى مسيلمة فقال له خالد : ان قبلنا النصف فأى الانصاف تعطينا ؟ فكان اذ اهم بجوابه أعرض بوجهه مستشيرا فينهاه شيطانه ان يقبل ، فاعرض بوجهه مرة من ذلك ، وركبه خالد فأرهقه فادبر وزالوا ، فذمر خالد الناس وقال : دونكم لا تقيلوهم واركبوهم ، فكانت الهزيمة ، فقال مسيلمة حين قام وقد تطاير الناس عنه وقال قائلون فاين ما كنت تعدنا ؟ فقال : قاتلوا عن أحسابكم ، ونادى مناديهم الحديقة حديقة الموت ، فولجوها واغلقوا عليهم وأحاط المسلمون بهم ، وصرخ البراء بن مالك فقال : يا معشر المسلمين احملونى على الجدار حتى تطرحونى عليه ففعلوا فلما وضعوه على الحائط اقتحم عليهم فقاتلهم على الباب حتى فتحه للمسلمين وهم على الباب من خارج ، فدخلوا فاغلق عليهم الباب ، ثم رمى بالمفتاح من وراء الجدار وذلك لأجل ان لا يفر من المسلمين احد فاما النصر واما الموت وهذه الجرأة من نوادر ما يحدث به التاريخ هولا وجرأة فاقتتلوا قتالا شديدا لم يروا مثله حتى أهلكوا من فى الحديقة ، وقُتِل مسيلمة فيها ، واشترك فى قتله وحشى مولى جبير بن مطعم قذفه

بحربته فقطعه بها . وادركه الانصارى فضربه بسيفه . والظاهر انه البراء بن مالك رضى الله عنه صاحب هذه الجرأة والذى قدر الله تعالى ان يكون النصر بسبب اقتحامه على الجدار وفتحه لباب الحديقة وادخال المسلمين واغلاق باب الحديقة عليهم جميعا حتى يستميتوا فى جلاء الاعداء . فصرخ صارخ ان الاسود قتل مسيلمة . وكان الذى قتل فى المعركة الاخيرة والحديقة عشرة الآف مقاتل .

ولما فرغ المسلمون من قتل مسيلمة ومن معه بالحديقة أتى خالد فأخبر فخرج خالد بمجاعة يرسف معه فى الحديد ليدله على مسيلمة فجعل يكشف له القتلى حتى مر بمحكم ابن الطفيل وكان رجلا جسيا وسيا فلما رآه خالد قال : هذا صاحبكم ؟ قال : لا هذا والله خير منه وأكرم هذا محكم اليمامة ، قال ثم مضى خالد يكشف له القتلى حتى دخل الحديقة فقلّب له القتلى فاذا رُوَيجِل أُصَيفر أُخَيْنس ، فقال مجاعة : هذا صاحبكم قد فرغتم منه . فقال خالد لمجاعة : هذا صاحبكم الذى فعل بكم ما فعل ، قال مجاعة : قد كان ذلك يا خالد ، وانه والله ما جاءك الا سرعان الناس ، وان جماهير الناس لفى الحصون ، فقال خالد : ويلك ما تقول ؟ قال : هو والله الحق فهلم لأ صالحك على قومى ، فسكت عنه خالد .

وكان رجل من بنى عامر بن حنيفة يُدْعى الاغلب بن عامر بن حنيفة وكان أغلظ أهل زمانه عُنُقًا فلما انهزم المشركون يومئذ وأحاط المسلمون بهم تماوت فلما أثبت المسلمون فى القتلى أتى رجل من الانصار يكنى أبا بصيرة ومعه نفر عليه فلما رأوه مجندلا فى القتلى وهم يحسبونه قتيلا فقالوا : يا أبا بصيرة انك تزعم ولم تزل تزعم ان سيفك قاطع فاضرب عنق هذا الاغلب الميت فان قطعته فكل شىء كان يبلغنا عن سيفك حق ، فاخترطه ثم مشى اليه ولا يرونه الا ميتا ، فلما دنا منه ثار فحاضره واتبعه أبو بصيرة وجعل يقول أنا أبو بصيرة الانصارى ، وجعل الاغلب يتمطّر ولا يزداد منه الا بعدا فكلما قال ذلك أبو بصيرة قال الاغلب كيف ترى عَدْوَ أخيك الكافر حتى أفلت .

ولما فرغ خالد من مسيلمة والجند قال له عبد الله بن عمر ، وعبد الرحمن بن أبى بكر : ارتحل بنا وبالناس فانزل على الحصون ، فقال : دعانى أبُث الخيول فألقط من ليس فى الحصون ثم أرى رأيى . فبث الخيول فحوَوْا ما وجدوا من مال ونساء وصبيان فضموا هذا الى العسكر ونادى بالرحيل لينزل على الحصون فقال له مجاعة : انه والله ما جاءك

الا سرعان الناس ، وان الحصون لمملوءة رجالا ، فهل لك الى الصلح على ما ورائى ؟ فصالحه : خالد على كل شيء دون النفوس ، ثم قال مجاعة : أنطلق اليهم فأشاورهم وننظر فى هذا الامر ثم ارجع اليك . فدخل مجاعة الحصون ولم يجد فيها غير النساء والصبيان . ومشيخة فانية ، ورجالا ضعفى ، فظاهر الحديد على النساء وأمرهن أن ينشرن شعورهن وأن يشرفن على رؤوس الحصون وأن يتمثلن بالرجال - ثم رجع فاتى خالداً وقد استعمل الخيالة فقال : قد أبو أن يجيزوا ما صنعت وقد اشرف اليك بعضهم نقضا علىّ وهم منى براء . فنظر خالد الى رءوس الحصون وقد اسودت ، وقد نهكت المسلمين الحرب وطال اللقاء وأحبوا ان يرجعوا على الظفر ولم يدروا ما كان كائنا لو كان فيها رجال وقتال وقد قتل من المهاجرين والانصار من أهل قصبة المدينة يومئذ ثلاثمائة وستون ، ومن المهاجرين من غير أهل المدينة والتابعين باحسان ثلاثمائة من هؤلاء وثلاثمائة من هؤلاء فكانوا ستمائة أو يزيدون . وقتل من بنى حنيفة فى الفضاء بعقرباء سبعة الآف ، وفى حديقة الموت سبعة الآف وفى الطلب نحو منها . فلذلك رق خالد وأحب الدّعة والصلح ، وقد نهكت الصحابة والتابعين الحرب ، وقتل من أشراف الناس من قتل . فقال له خالد : هلم الى الصلح .

فصالحه على الصفراء والبيضاء ، والحلقة ، ونصف السَّبْى ، فقال مجاعة : أريد ان آتى القوم فأعرض عليهم ما قد صنعت . فانطلق اليهم فقال للنساء أَلْبَسْنَ الحديد ثم أشرفن على الحصون ففعلن ، ثم رجع الى خالد وقد رأى خالد الرجال فيما يرى على الحصون عليهم الحديد ، فلما انتهى الى خالد قال : أبوا ما صالحتك عليه ، ولكن ان شئت صنعت شيئا فعزمت على القوم . قال : ما هو ؟ قال : تأخذ منى ربع السبى وتدع ربعا . قال خالد : قد فعلت . قال مجاعة : قد صالحتك . فصالحه على الصفراء ، والبيضاء ، والحلقة ، والكراع ، ونصف السبى : ونصف المملوكين وحائط من كل قرية يختاره خالد ، ومزرعة يختارها خالد ، فتقاضوا على ذلك . ثم سرحه وقال : أنتم بالخيار ثلاثا، والله لئن تتموا ولم تقبلوا لأنهدن اليكم ثم لاأقبل منكم خصلة أبدا الاالقتل، فأتاهم مجاعة فقال : أما الآن فاقبلوا . فقال سلمة بن عمير الحنفى : لا والله لا نقبل نبعث الى أهل القرى والعبيد فنقاتل ولا نقاضى خالداً فان الحصون حصينة والطعام كثير والشتاء قد حضر . فقال مجاعة انك امرؤ مشؤوم وغرّك انى خدعت القوم حتى أجابونى الى الصلح ، وهل بقى منكم أحد فيه خير أو به دفع ، وانما أنا بادرتكم قبل أن يصيبكم ما

قال شرحبيل بن مسيلمة ، ثم قال : يا بنى حنيفة أطيعونى واعصوا سلمة فانه رجل مشؤوم قبل ان يصيبكم ما قال شرحبيل بن مسيلمة قبل ان تستردف النساء غير رضيات وينكحن غير حظيات . فاطاعوه وعصوا سلمة ، وقبلوا قضيته . فخرج مجاعة سابع سبعة حتى أتى خالدا فقال : أكتب كتابك . فكتب (هذا ما قاضى عليه خالد بن الوليد مجاعة ابن مرارة وسلمة بن عمير ،، وفلانا وفلانا قاضاهم على الصفراء ، والبيضاء ، ونصف السبى ، والحلقة ، والكراع وحائط من كل قرية ومزرعة ، على أن يُسْلموا ثم أنتم آمنون بأمان الله ولكم ذمة خالد بن الوليد ، وذمة أبى بكر خليفة رسول الله ﷺ وذمم المسلمين على الوفاء) . ثم بعث ابو بكر الصديق رضى الله عنه بكتاب الى خالد ، مع سلمة بن سلام بن وقش الانصارى يأمره إن ظفّره الله عز وجل أن يقتل من جرت عليه المواشى من بنى حنيفة . فقدم فوجده قد صالحهم فوفى لهم خالد ، وتم على ما كان منه ، وحشرت بنو حنيفة الى البيعة والبراءة مما كانوا عليه الى خالد بن الوليد ، وخالد فى عسكره فلما اجتمعوا قال سلمة بن عمير لمجاعة استأذن لى على خالد أكلمه فى حاجة له عندى ونصيحة ، وقد أجمع أن يفتك به ، فكلمه فأذن له فاقبل سلمة بن عمير مشتملا على سيفه يريد ما يريد ، فقال خالد : من هذا المقبل ؟ قال مجاعة : هذا الذى كلمتك فيه وقد أذنت له . قال : أخرجوه عنى . فاخرجوه عنه ففتشوه فوجدوا معه السيف فلعنوه وشتموه وأوثقوه ، وقالوا لقد أردت أن تهلك قومك وأيم الله ما أردت الا ان تستأصل بنو حنيفة وتسبى الذرية والنساء ، وأيم الله لو ان خالداً علم أنك حملت السلاح لقتلك وما نأمنه ان بلغه أن يقتل الرجال ويسبى النساء بما فعلت ويحسب أن ذلك عن ملاء منا ، فأوثقوه وجعلوه فى الحصن ، وتتابع بنو حنيفة على البراء مما كانوا عليه ، وبايعوا على الاسلام ، ثم عاهدهم سلمة على ان لا يحدث حدثا ويعفوه ، فأبوا ولم يثقوا بحمقه . ان يقبلوا منه عهدا ، فأفلت ليلا فعمد الى عسكر خالد فصاح به الحرس وفزعت بنو حنيفة فاتبعوه فأدركوه فى بعض الحوائط فشد عليهم بالسيف فاكتنفوه بالحجارة وأجال السيف على حلقة فقطع أوداجه فسقط فى بئر فمات .

فلما تم الصلح وفرغ خالد من البيعة فتح مجاعة الحصون لخالد فاذا ليس فيها الا النساء والصبيان ، فقال خالد لمجاعة : ويحك خدعتنى . قال مجاعة : قومى ولم أستطع الا ما صنعت . فقال خالد لمجاعة : زوجنى ابنتك ؟ فقال مجاعة : مهلا انك قاطع

ظهري وظهرك معى عند صاحبك . قال خالد : أيها الرجل زوجني . فزوجه . فبلغ ذلك أبا بكر فكتب إليه كتابا يقطر الدم وهو : لعمري يا ابن ام خالد إنك لفارغ تنكح النساء وبفناء بيتك دم ألف ومائتي رجل من المسلمين لم يجفف بعد . فلما نظر خالد في الكتاب جعل يقول هذا عمل الأعَيْسِرِ يعني عمر بن الخطاب .

ثم بعث خالد بن الوليد وفدا من بني حنيفة الى أبي بكر الصديق فقدموا عليه فقال لهم أبو بكر رضى الله عنه : ويحكم ما هذا الذى استزل منكم ما استزل ؟ قالوا : يا خليفة رسول الله قد كان الذى بلغك مما أصابنا كان امرأ ، لم يبارك الله عز وجل له ولا لعشيرته فيه . قال ابو بكر : على ذلك مالذى دعاكم به ؟ قالوا كان يقول : يا ضفدع نقّى نقى ، لا الشارب تمنعين ، ولا الماء تكدرين ، لنا نصف الأرض ، ولقريش نصف الارض ، ولكن قريشا قوم يعتدون . قال ابو بكر : سبحان الله ويحكم ان هذا لكلام ما خرج من إلّ ، ولا برّ فأين يذهب بكم ؟

فلما فرغ خالد بن الوليد من اليمامة وكان منزله الذى به التقى الناس (أباض) واد من أودية اليمامة ثم تحول الى واد من أوديتها يقال له (الوَبَر) وكان منزله بها . وقال ضرار بن الازور رضى الله عنه فى يوم اليمامة .

ولو سُئلَت عنا جنوب لأخبرت	عشية سالت عقرباء ومَلْهَم
وسال بفرع الوادىَ حتى ترقرقت	حجارته فيها من القوم بالدم
عشية لا تغنى الرماح مكانها	ولا النبل الا المَشرْفِىُّ المصمم
فان تبتغى الكفار غير مليمة	جنوب فانى تابع الدين مسلم
أجاهد اذ كان الجهاد غنيمة	وَللهِ بالمرء المجاهد أعلم

هذا خلاصة مارواه ابن جرير الطبري وعنه اخذ المؤرخون . وروى السيوطي فى تاريخ الخلفاء انه استشهد فيها خلق من الصحابة منهم ابوحذيفة بن عتبة ، وسالم مولى ابى حذيفة ، وشجاع بن وهب ، وزيد بن الخطاب ، وعبدالله بن سهل ، ومالك بن عمرو ، والطفيل بن عمرو الدوسى ، ويزيد بن قيس ، ومعن بن عدى ، وثابت بن قيس ابن شماس ، وأبودجانه سماك بن حرب ، وجماعة آخرون تتمة سبعين . وكان لمسيلمة يوم قتل مائة وخمسون سنة ومولده قبل مولد عبد الله والد النبى ﷺ .

وحاصل ذلك ان يوم اليمامة كان يوما عظيما أزهقت فيه الأرواح ، وسفكت الدماء بغزارة ، وأبيدت النفوس بشراهة ، واسرف فى القتل اسرافا ، فمن تصفح التاريخ ، ودرس أيام العرب ، فى جاهليتها ، واسلامها ، يعلم انه لم يسبق لذلك اليوم مثيل . فقد قتل من المسلمين ألف ومائتان ، ومن بنى حنيفة نحو عشرين الفا ، وسبب ذلك ان من الناس من هو شر وشؤم على أهله ، وقومه ، وعشيرته ، وأمته ، مثل مسيلمة ، ونهّار الرَّجَّال ، والمحكم ، وسلمة بن عمير ، فان هؤلاء هم الذين جروا تلك المصائب على بنى حنيفة وعلى المسلمين . فانهم هم المسببون لازهاق تلك الأوراح ، وذلك لترويجهم لنزعة مسيلمة الشيطانية ، واغراء أمتهم به ، بعد ان دخل معظمهم الاسلام ووفدوا على النبى ﷺ . ولو سلم بنو حنيفة من مسيلمة وكبرائهم الذين ايدوه وأضلوهم السبيل ، لما وقع عليه سخط الله تعالى ونقمته ولم يصبهم ما أصابهم من قتل ، وأسر ، وسبى ، فى عقر دارهم بسبب كفرهم وعنادهم وتضليلهم .

كما ان من الناس من هو خير وبركة على أهله ، وقومه ، وعشيرته ، وأمته ، مثل (مجاعة) فانه كان مثال الحكمة ، والعقل ، والروية ، حيث كان هو السبب فى حقن دماء من بقى من امته فقد عقد لهم مع خالد بن الوليد رضى الله عنه صلحا شريفا بحيلة لطيفة ، وجلب قلوبهم الى الاسلام ، وامنهم على نسائهم ، وابنائهم ، وأموالهم ، فصارت بنو حنيفة بفضل مساعيه الشريفة من اقوى الناس اسلاما وأحسنهم حماية للاسلام ، فكان لهم بعد ذلك من البسالة والشجاعة والاقدام فى الفتوحات الاسلامية وبما أحرزوه من لفخر والمكارم ماهو جدير بالذكر ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

* * *

خبر ردّة أهل البحرين (الاحساء)

تقدم ان العلاء بن الحضرمي رضى الله عنه خرج الى البحرين لقتال من ارتد من أهلها وكان قد توفى المنذر بن ساوى بعد النبى ﷺ بقليل وارتد بعده اهل البحرين. وكان الجارود بن المعلى قدم على النبى ﷺ وأسلم فلما رجع الى قومه دعاهم الى الاسلام وهم عبدالقيس من ربيعة فأجابوه كلهم فلم يلبث الا يسيرا حتى مات النبى ﷺ فقالت عبدالقيس لو كان محمد نبيا لما مات، وارتدوا وبلغه ذلك فبعث اليهم فجمعهم ثم قام فيهم خطيبا فقال: يا معشر عبدالقيس انى سائلكم عن امر فاخبرونى به ان علمتموه. ولا تجيبونى ان لم تعلموا. قالوا سل عما بدالك، قال: تعلمون انه كان لله أنبياء فيما مضى؟ قالوا: نعم، قال: تعلمونه أو ترونه؟ قالوا:لا بل نعلمه،قال: فما فعلوا؟ قالوا: ماتوا، قال: فان محمدا ﷺ مات كما ماتوا، وانا اشهد ان لا إله الا الله وان محمدا عبده ورسوله. قالوا: ونحن نشهد ان لااله الا الله، وان محمدا عبده ورسوله، وانك سيدنا وأفضلنا. وثبتوا على اسلامهم فكان سلامة عبدالقيس على يد الجارود رضى الله عنه واما بكر فارتدت بعد وفاة المنذر. فخرج الحُطَم بن ضُبَيعة اخو عبد القيس بن ثعلبة فيمن اتبعه من بكر بن وائل على الردة ومن تأشب اليه من غير المرتدين ممن لم يزل كافرا حتى نزل القطيف، وهَجَر. واستغوى الخط ومن فيها من الزُّط، والسيابجة، وبعث بعثا الى دارين فأقاموا له ليجعل عبدالقيس بينه وبينهم، وكانوا مخالفين لهم يمدون المنذر والمسلمين، وأرسل الى المغرور بن سويد اخى النعمان بن المنذر فبعثه الى جواثا وقال أثبت فانى ان ظفرت ملكتك بالبحرين حتى تكون كالنعمان بالحيرة. وبعث الى جواثا فحصرهم والحوا عليهم فاشتد على المحصورين الحصر وكان فى المسلمين المحصورين رجل من صالح المسلمين اسمه عبدالله بن حذف من بنى بكر بن كلاب وقد اشتد عليه وعليهم الجوع حتى كادوا ان يهلكوا فقال فى ذلك عبدالله بن حذف:

ألا أبلـغ أبـا بكر رسولا وفتيـان المدينـة اجمعينا
فهـل لكم الى قوم كرام قعـود فى جُواثـا مُحْصرينا
كأن دماءهـم فى كل فج شعـاع الشـمس يَغشَى الناظرينا
توكلنـا على الرحمـن انا وجدنـا الصبـر للمتوكلينا

فأقبل العلاء بن الحضرمى على البحرين المسماة الآن بالاحساء وكان طريقه على اليمامة فلحق به ثمامة بن أثال فى مسلمة بنى حنيفة من بنى سُحَيْم ومن أهل القرى من سائر بنى حنيفة ، وكذلك الرباب وعمرو بن تميم تلقوا العلاء بن الحضرمى فلم يكن احد منهم له فرس الا جنبه واستقبله . واما بنو حنظلة فانهم قدموا رِجْلاً وأخروا أخرى . وأما قيس بن عاصم فانه لما ارتدت العرب قسم الصدقات التى كانت اجتمعت اليـه فى المقاعس والبطون حين شخص الزبرقان بصدقات عوف والأبناء ، فكان عوف والأبناء مشاغيل بالمقاعس والبطون ، فلما رأى قيس بن عاصم ماصنعت الرباب ، وعمرو ، من تلقى العلاء بن الحضرمى ندم على ماكان فرط منه فتلقى العلاء باعداد ماكان قسم من الصدقات ونزع عن امره الذى كان هم به ، وخرج معه الى قتال اهل البحرين فاجتمع مع العلاء من عمرو ، وسعد ، والرباب ، مثل عسكره ، وسلك بهم (الدهناء) وهى تلال من الرمال واقعة بـين نجـد والاحسـاء ، ويمتد طولهـا من الربـع الخـالى جنوبـا الى حدود منتهـى جزيـرة العـرب شـمالا حتـى اذا كان فى بحبوحتهـا ، والحَـنّانات ، والعَزّافـات ، عن يمينـه وشمالـه وأراد الله عز وجـل ان يريهـم آياته ، نزل العـلاء بذلك الموقـع وامـر النـاس بالنـزول ، فنفـرت الابـل فى جوف الليل فما بقـى عندهـم بعـير ولا زاد ، ولا مـزاد ، ولا بنـاء ، الا ذهـب عليهـا فى عرض الرمل التى بتلك الدهناء ذات التلال عظيمة الرمال السحيقة ـ وذلك حين نزل الناس وقبل ان يحطوا عن رحالهم ، فأيسوا من النجاة وهجم عليهم الغم حتى اوصى بعضهم بعضا ، فنادى منادى العلاء ان اجتمعوا فاجتمعوا اليه فقال : ماهذا الذى ظهر فيكم وغلب عليكم ؟ فقال الناس : وكيف نلام ونحن ان بلغنا غدا لم تحم شمسه حتى نصير حديثا . فقال العلاء : أيها الناس لا تراعوا ألَسْتُمْ مسلمين ، ألستم فى سبيل الله ، ألستم أنصار الله ؟ قالوا بلى ، قال : فأبشروا فوالله لا يخذل الله منْ كان فى مثل حالكم . ونادى المنادى بصلاة الصبح حين طلع الفجر فصلى بهم ومنهم المتيمم ومنهم من لم يزل على طهوره لأنه لم ينم ، فلما قضى صلاته جثا على ركبتيه ، وجثا الناس فنصب فى الدعاء

ونصبوا معه . فلمع لهم سراب الشمس فالتفت الى الصف فقال رائد ينظر ماهذا ففعل ثم رجع فقال سراب فأقبل على الدعاء ثم لمع لهم آخر فكذلك . ثم لمع لهم آخر . فقال ماء . فقام وقام الناس فمشوا اليه حتى نزلوا عليه فشربوا واغتسلوا فما تعالى النهار حتى اقبلت الابل تُكْرَد من كل وجه فأناخوها وقام كل رجل الى ظهره فأخذه . فما فقدوا شيئا من امتعتهم وسقوا ابلهم وترووا . ثم ساروا حتى نزلوا (هَجَر) فأرسل العلاء الى الجارود . ورجل آخر وأمرهما ان ينضما فى عبدالقيس حتى ينزلا على الحطم مما يليهما . وخرج هو فيمن جاء معه وفيمن قدم عليه حتى نزل عليه مما يلى هَجَر . وتجمع المشركون كلهم الى الحطم الا اهل دارين . وتجمع المسلمون كلهم الى العلاء بن الحضرمى وخندق المسلمون والمشركون وكانوا يتراوحون القتال ويرجعون الى خندقهم . فكانوا كذلك شهرا فبينما الناس ليلة اذ سمع المسلمون فى عسكر المشركين ضوضاء شديدة كأنها ضوضاء هزيمة او قتال . فقال العلاء : من يأتينا بخبر القوم ؟ فقال عبدالله بن حذف أنا آتيكم بخبر القوم . وكانت أمه عِجْلِيّة . فخرج حتى اذا دنا من خندقهم أخذوه فقالوا له : من انت ؟ فانتسب لهم وجعل ينادى : يا أَبْجَراه . فجاء أبجر بن بجُير فعرفه . فقال : ماشأنك ؟ فقال : لا أضيعن بين اللهازم . عَلاَمَ أُقْتَل ؟ وحولى عساكر من عِجل . وتيم اللات . وقيس . وعَنَزة . أيتلاعب بى الحطمُ ونُزّاع القبائل ؟ وأنتم شهود . فتخلص وقال والله انى لأظنك بئس ابن الأخت لأخوالك الليلة . فقال : دعنى من هذا وأطعمنى فانى قد مت جوعا فقرب له طعاما فأكل . ثم قال : زودنى واحملنى وجوزنى أنطلق الى طِيّتى . يقول ذلك لرجل قد غلب عليه الشراب . ففعل وحمله على بعير وزوده وجوزه . وخرج عبدالله بن حذف حتى دخل عسكر المسلمين فأخبرهم ان القوم سكارى .

فخرج المسلمون عليهم حتى اقتحموا عليهم عسكرهم فوضعوا السيوف فيهم حيث شاءوا واقتحموا الخندق هُرّاباً فكانوا بين مترد وناج . ودهش . ومقتول . أو مأسور . واستولى المسلمون على مافى المعسكر لم يفلت رجل الا بما عليه . فأما أبجر فأفلت . وأما الحطم فانه بَعِل ودهش وطار فؤاده . فقام الى فرسه والمسلمون خلالهم يجوسونهم . ليركبه فلما وضع رجله فى الركاب انقطع به فمر به عفيف بن المنذر احد بنى عمرو بن تميم والحطم يستغيث ويقول الا رجل من بنى قيس بن ثعلبة يَعْقِلنى فرفع صوته فعرف صوته فقال : أبوضبيعة ؟ قال : نعم . قال : اعطنى رجلك أعقلك . فأعطاه رجله يعقله فنفحها

بالسيف فأطنها من الفخذ اى قطعها وتركه . فقال اجهز على . فقال انى احب ان لاتموت حتى امضك . وكان مع عفيف عدة من ولد ابيه فأصيبوا ليلتئذ وجعل الحطم لايمر به فى الليل احد من المسلمين الا قال : هل لك فى الحطم ان تقتله ؟ ويقول ذلك لمن لايعرفه حتى مر به قيس بن عاصم فقال له ذلك فمال عليه فقتله . فلما رأى فخذه نادرة قال واسوأتاه لو علمت الذى به لم أحرّكه .

وخرج المسلمون بعد ماأحرزوا الخندق على القوم يطلبونهم فاتبعوهم فلحق قيس بن عاصم ابجر وكان فرس ابجر اقوى من فرس قيس فلما خشى ان يفوته طعنه فى العرقوب فقطع العصب وسَلِمَ النّسَا فكانت رادة وأسر عفيف بن المنذر المغرور بن سويد فكلمته الرباب فيه وكان أبوه ابن اخت التيم وسألوه ان يجيره فقال للعلاء : انى قد أجرت هذا . قال : ومن هذا ؟ قال الغرور ، قال : أنت غررت هؤلاء ؟ قال : أيها الملك انى لست بالغرور ولكنى المغرور . قال أسلم فأسلم وبقى بهَجَر وكان اسمه الغرور وليس بلقب . وقَتَل عفيف المنذر بن سويد بن المنذر ، وأصبح العلاء فقسم الأنفال ونَفَّل رجالا من اهل البلاء ثيابا فيها خميصة ذات اعلام كان الحطم يباهى فيها ، فنفل ثمامة بن اثال ثياب الحطم ، وكان فيمن نفل عفيف بن المنذر ، وقيس بن عاصم ، فباع الثياب . وقصد عُظْمُ الفُلاّل لدارين فركبوا فيها السفن ورجع الآخرون الى بلاد قومهم .

فكتب العلاء بن الحضرمى الى من أقام على اسلامه من بكر بن وائل فيهم ، وأرسل الى عتيبة بن النّهاس ، والى عامر بن عبدالأسود ، بلزوم ماهم عليه والقعود لأهل الرّدة بكل سبيل ، وأمر مستمعاً بمبادرتهم ، وأرسل الى خَصَفَة التميمى ، والمثنى بن حارثة الشيبانى ، فأقاموا لأولئك بالطريق ، فمنهم من أناب فقبلوا منه واشتملوا عليه ، ومنهم من أبى ولَجّ فمنع من الرجوع فرجعوا عَوْدَهم على بدئهم حتى عبروا الى دارين فجمعهم الله بها ، وقال فى ذلك رجل من بنى ضبيعة بن عجل يُدْعى وهبا يعير من ارتد من بكر بن وائل :

ألـم تر ان الله يَسْبِـكُ خلقه ... فيَخبُـث أقـوامُ ويَصْفُـو معشر

لحـى الله أقومـا أصيبـوا بخنعة ... أصابهـم زيـد الضـلال ومعمر

ولم يزل العلاء مقيما فى عسكر المشركين حتى رجعت اليه الكتب من عند من كان كتب اليه من بكر بن وائل ، وبلغه عنهم القيام بأمر الله والغضب لدينه ، فلما جاءه عنهم

ن ذلك ماكان يشتهى أيقن انه لن يؤتى من خلفه بشيء يكرهه على احد من أهل لبحرين وندب الناس الى دارين ثم جمعهم فخطبهم وقال : ان الله قد جمع لكم أحزاب الشياطين وشرّد الحرب فى هذا البحر ، وقد أراكم من آياته فى البر لتعتبروا بها فى البحر ، فانهضوا الى عدوكم ثم استعرضوا البحر اليهم فان الله قد جمعهم . فقالوا : نفعل ولا نهاب والله بعد الدهناء هَوْلاً مابقينا .

فارتحل العلاء وارتحل معه المسلمون حتى اذا أتى ساحل البحر دعا الله تعالى ودعوا معه فقال (يا أرحم الراحمين ياكريم ياحليم ياأحد ياصمد ياحىّ يامحيى الموتى ياحىّ ياقيوم لاإله إلا أنت ياربنا) فاقتحموا البحر على الصاهل ، والحامل ، والشاحج ، والناهق ، الراكب ، والراجل ، وأجازوا ذلك الخليج باذن الله جميعا يمشون على مثل رملة ميثاء فوقها ماء يغمر أخفاف الابل ، وكان بين الساحل ودارين مسيرة يوم وليلة لسفن البحر فى بعض الحالات ، فالتقوا بالمرتدين ومن لف لفهم واقتتلوا قتالا شديداً فما تركوا بها مخبرا وسبوا الذرارى واستاقوا الأموال ، فبلغ نَفْل الفارس ستة آلاف ، والراجل ألفين ولم يسبق فى التاريخ ان جيشا غنم من عدو فى غزو واحدة مثل ماغنم هذا الجيش من دارين فلما فرغوا رجعوا عوْدهم على بدئهم حتى عبروا وقال فى ذلك عفيف بن المنذر :

ألم تر ان الله ذلل بحره وأنزل بالكفار احدى الجلائل
دعونا الذى شق البحار فجاءنا بأعجب من فلق البحار الأوائل

ولما رجع العلاء الى البحرين وضرب الاسلام فيها بجرانه وعز الاسلام وأهله وذل الشرك وأهله ، أقبل الذين فى قلوبهم مافيها على الارجاف فارجف مرجفون وقالوا ها ذاك مَفْرُوق قد جمع رهطه شيبان ، وتغلب ، والنمر ، فقال لهم أقوام من المسلمين اذا تشغلهم عنا اللّهازم واللهازم يومئذ قد استجمع امرهم على نصر العلاء وطابقوا . وارخص العلاء للناس بالانصراف الى مواطنهم فرجع الناس الا من احب المقام ، وقفل ثمامة بن أثال حتى اذا كان على ماء لبنى قيس بن ثعلبة فرأوا ثمامة ورأوا خميصة الحطم عليه فتجمعوا له ثم أتوه فاحتَوَشوه ، فقال : مالكم ؟ قالوا : أنت قاتل الحطم . قال : كذبتم لست بقاتله ، ولكنى نفلتها . قالوا هل ينفل الا القاتل ؟ قال انها لم تكن عليه انما وجدت فى رحله قالوا كذبت فأصابوه .

وكتب العلاء الى ابى بكر الصديق : اما بعد فان الله تبارك وتعالى فجر لنا الدهناء

فيضا لا ترى غوار به . وأرانا آية وعبرة بعد غم وكرب لتحمد الله ، ونمجده فادع الله واستنصره لجنوده واعوان دينه . فحمد الله ابوبكر ودعاه وقال اللهم اخلف محمدا ﷺ فينا ثم كتب اليه العلاء بهزيمة اهل الخندق وقتل الحطم وهذا نصه : اما بعد فان الله تبارك اسمه سلب عدونا عقولهم وأذهب ريحهم بشراب أصابوه من النهار فاقتحمنا عليهم خندقهم فوجدناهم سكارى فقتلناهم الا الشريد وقد قتل الله الحطم . فكتب اليه ابوبكر رضى الله عنه : اما بعد فان بلغك عن بنى شيبان بن ثعلبة تمام على مابلغك وخاض فيه المرجفون فابعث اليهم جندا فأوطئهم وشرد بهم من خلفهم . فلم يجتمعوا ولم يصر ذلك من ارجافهم الى شى . هذا حاصل مارواه ابن جرير الطبرى عن خبر ردة اهل البحرين وكان فى هذه الحروب من البركة والنصر بفضل دعاء العلاء بن الحضرمى رضى الله عنه والتجائه الى الله تعالى ساعة العسرة ، وقد كتب عن ذلك كثير من المتقدمين والمتأخرين ، اما المتقدمون من اهل الأثر فقد اثبتوا ذلك فى كتبهم وعدوا هذا الدعاء من الأدعية المستجابة عند الشدائد . واما المتأخرون فقد ذكر امين الريحانى فى كتابه (ملوك العرب) قصة دعاء العلاء بن الحضرمى رضى الله عنه ووضعه موضع السخرية والاستهزاء وأزدرى بالداعى والمدعو . فهذه عادة من لم يدخل الايمان فى قلبه وكان من اذناب الماديين والملحدين وهو يفتخر بذلك . ولوكان عنده مسكة من العقل والاطلاع لعلم ان مدار الاسلام هو على تعلق قلب المسلم بربه سبحانه وتعالى فى صلاته ، وصيامه ، وحجه ، وحروبه ، وغزواته ، وقيامه ، وقعوده ، وحركاته ، وسكناته ، فاذا فرط المسلم فى ذلك أو تساهل او غفل خسر الدنيا والآخرة . فالمسلمون هم من البشر والفارق بينهم وبين سائر الناس هو تمسكهم بحبل الله تعالى فى كل شىء واعتمادهم عليه فى عموم أعمالهم الظاهرة والباطنة ، واعتقادهم ان النصر والظفر هو من عند الله تعالى ، ولم يحرزوا ماأحرزوا من الفتح والتفوق على أقرانهم ، والتغلب والنصر على أعدائهم الا بقوة الايمان بالله تعالى والتوكل عليه فى كل ذلك ، وما تأخر المسلمون اليوم الا لتفريطهم فى دينهم ، ولعدم تمسكه بربهم ولو آبوا الى رشدهم ، وفاقوا من غفلتهم ، وعادوا الى طريقة سلفهم الصالح وتمسكوا بحبل الله تعالى فى عموم أعمالهم ، لنجحوا فى كل شىء ، واستردوا كل ماسلب منهم من مجد ، وسؤدد ، ورفعة ، وفخار (قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى) ولم ألم الريحانى وحده بل امره معروف فهو مادى ملحد ويتباهى بذلك ، وانما اللوم كل اللوم على من يدعى

الاسلام وهو يسخر بالاسلام والمسلمين وعقائدهم وقواعدهم فلا حول ولا قوة الا
(ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة اعمى وأضل سبيلا) .

* * *

خبر ردَّة أهل عمان ومهرة

كان قد نبغ بعمان (ذو التاج لقيط بن مالك الازدى) وكان يُسَامى فى الجاهليـة (الجُلَنْدى) وادعى بمثل ما ادعى به من كان نبيا ، وغلب على عمان مرتدًا وألجأ (جَيْفَرا ، وعبّاداً) الى الجبال والبحر فبعث جيفر الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه يخبره بذلك ويستجيشه عليه . فبعث ابوبكر الصديق رضى الله عنه حذيفة بن محصن الغَلْفانىّ من حمير ، وعرفجة البارقىّ من الازد ، الأول الى عُمَان ، والثانى الى مهرة . وأمرهما اذا اتفقا ان يجتمعا على من بُعثا اليه ، وأن يبتدئا بعمان ، وأن يكون حذيفة تابعا لعرفجة اذا قصدا مهرة ، وعرفجة تابعا لحذيفة اذا قصدا عُمَان ، فخرجا متساندين وأمرهما أن يجِدّا السير حتى يقدما عمان فاذا كانا منها قريَبْين كاتبا (جيفرا) و (عباداً) وعملا برأيهما فمضيا لما أمرا به . وقد تقدم فى خبر مسيلمة ان ابابكر رضى الله عنه أمر عكرمة بن أبى جهل رضى الله عنه ان يلحق بعمان حتى يقاتل من ارتد بعمان ، ثم تعين حذيفة وعرفجة وكل واحد منهم على خيله ، وحذيفة على الكل فى قتال أهل عمان . وكان فى كتاب أبى بكر الصديق رضى الله عنه لعكرمة بن أبى جهل : فاذا فرغتم فامض الى مهرة ثم ليكن وجهك منها الى اليمن حتى تلاقى المهاجر بن أبى أمية باليمن وبحضرموت ، أو طىء مَنْ بين عمان واليمن ممن ارتد ، وليبلغنى بلاؤك . فمضى عكرمة فى أثر عرفجة وحذيفة فيمن كان معه حتى لحق بهما قبل ان ينتهيا الى عمان وقد عهد اليهم ان ينتهوا الى رأى عكرمة بعد الفراغ فى السير معه أو المقام بعمان ، فلما تلاحقوا وكانوا قريبين من عمان بمكان يُدعى (رجاماً) راسلوا جيفراً وعبّاداً ، وبلغ لقيطا مجىء الجيش فجمع جموعه وعسكر بدَبَـا (ضَبَىْ) وخرج جيفر ، وعباد ، من موضعهما الذى كانا فيه فعسكرا بصُحار ، وبعثا الى حذيفة ، وعرفجة ، وعكرمة فى القدوم عليهما فقدموا عليهما بصُحار ، فاستبرأوا مايليهم حتى رضوا به ممن يليهم ، وكاتبوا رؤساء مع لقيط ، وبدأوا بسيد بنى جُدَيْد فكاتبهـم

وكاتبوه حتى ارفضوا عنه ونهدوا الى لقيط . فالتقوا على (دَبَا) وقد جمع لقيط العيالات فجعلهم وراء صفوفهم ليُحَرِّبهم وليحافظوا على حُرَمِهم ، و (دَبَا) هى المِصْرُ والسوق الأعظم .

فوقع القتال واشتدت الحرب بدَبَا واقتتلوا قتالا شديداً وكاد لقيط يستعلى الناس فبينا هم كذلك اذ رأى المسلمون الخلل ، ورأى المشركون الظفر ، جاءت المسلمين موادهم العظمى من بنى ناجية وعليهم الخِرِّيت بن راشد ، ومن عبدالقيس وعليهم سَيْحان بن صوحان ، وشواذب عمان من بنى ناجية وعبدالقيس ، فقوى الله بهم أهل الاسلام ووهن بهم أهل الشرك فولىّ المشركون الأدبار فقتلوا منهم فى المعركة عشرة الآف وركبوهم حتى اثخنوا فيهم وسبوا الذرية وقسموا الأموال على المسلمين وبعثوا بالخمس الى أبى بكر رضى الله عنه مع عرفجة . ورأى عكرمة وحذيفة ان يقيم حذيفة بعمان حتى يوطىء الأمور ويسكن الناس ، وكان الخمس ثمانمائة رأس ، وغنموا السوق بحذافيرها ، فسار عرفجة الى أبى بكر بخمس السبى والمغانم ، وأقام حذيفة لتسكين الناس ودعا القبائل حول عمان الى سكون ما أفاء الله على المسلمين وشواذب عمان . ومضى عكرمة فى الناس وبدأ بمهرة وقال فى ذلك عباد الناجىّ :

لعمرى لقد لاقى لقيط بن مالك — من الشر ما أخزى وجوه الثعالب
وبادى أبابكر ومن هل فارتمى — خليجان من تياره المتراكب
ولم تنهه الأولى ولم يُنكأ العدى — فألوت عليه خيله بالجنائب

***

خبر ردّة مهرة بالنّجد

ولما فرغ عكرمة ، وعرفجة ، وحذيفة ، من ردة عمان خرج عكرمة فى جنده نحو مهرة واستنصر من حول عمان وأهل عمان وسار حتى أتى مهرة ومعه ممن استنصره من ناجية ، والازد ، وعبدالقيس ، وراسب ، وسعد ، من بنى تميم بشر حتى اقتحم على مهرة بلادها فوافق بها جمعين من مهرة . أما أحدهما فبمكان من ارض مهرة يقال له (جيروت) وقد امتلأ ذلك الحَيِّزُ الى نضدون قاعين من قيعان مهرة عليهم (شخريت) رجل من بنى شخراة ، وأما الآخر فبا (لنّجْد) وقد انقادت مهرة جميعا لصاحب هذا الجمع عليهم (المُصبّح) أحد بنى محارب والناس كلهم معه الا ما كان من شخريت فكانا مختلفين . كل واحد من الرئيسين يدعو الآخر الى نفسه ، وكل واحد من الجندين يشتهى أن يكون الفوز لرئيسهم ، وكان ذلك مما أعان الله به المسلمين وقواهم على عدوهم ووهنهم . ولما رأى عكرمة قلة من مع شخريت دعاه الى الرجوع الى الاسلام ، فكان أول من أجاب دعاءه ووهن الله بذلك (المصبّح) ثم ارسل الى المصبح يدعوه الى الاسلام والرجوع عن الكفر . فاغتر بكثرة من معه وازداد مباعدة لمكان شخريت ، فسار اليه عكرمة وسار معه شخريت فالتقواهم والمصبح بالنجد فاقتتلوا أشد من قتال (دَبَا) ثم ان الله كشف جنود المرتدين وقتل رئيسهم وركبهم المسلمون فقتلوا منهم ماشاءوا وأصابوا ماشاءوا ومن ضمن ما أصابوا ألفا نجيبة فخمس عكرمة الفيىء فبعث بالأخماس مع شخريت الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وقسم الأربعة الأخماس على المسلمين ، وازداد عكرمة وجنده قوة بالركائب والمتاع والأداة . فأقام عكرمة رضى الله عنه حتى جمعهم على الذى يحب ، وجمع أهل النّجْد أهل رياضة الروضة ، وأهل الساحل ، وأهل الجزائر ، وأهل المُرّ واللبان وأهل جيروت ، وظهور الشحر ، والصبَرات ، وينعب ، وذات الخيم ، فبايعوا على الاسلام ، فكتب بذلك الى الخليفة ابى بكر الصديق رضى الله عنه مع البشير وهو السائب احد بنى عابد من مخزوم ، فقدم على أبى بكر بالفتح ، وقدم شخريت بعده بالأخماس .

خبر عموم المرتدين من أهل الحجاز وعسير واليمن

لما توفى رسول الله ﷺ كان على مكة وأرضها عتاب بن أسيد ، والطاهر بن أبى هالة . فكان عتاب على بنى كنانة ، والطاهر على عك من اليمن وذلك ان النبى ﷺ قال اجعلوا عمالة عك فى بنى أبيها مَعَد بن عدنان ، وعلى الطائف وأرضها عثمان بن أبى العاص ، ومالك بن عوف النصرى ، فكان عثمان على أهل المدر ، ومالك على أهل الوبر ، أعجاز هوازن ، وعلى نجران وأرضها عمرو بن حزم وعلى الصلاة ، وأبوسفيان بن حرب على الصدقات ، وعلى مابين رمع ، وزبيد ، الى حد نجران خالد بن سعيد بن العاص ، وعلى همدان كلها عامر بن شهر . وعلى صنعاء فيروز الديلمى مسانده داذويه ، وقيس بن المكشوح . وعلى الجند يعلى بن أمية . وعلى مأرب أبوموسى الأشعرى . وعلى الأشعريين مع عك الطاهر بن أبى هالة ، ومعاذ بن جبل يعلم القوم يتنقل فى عمل كل عامل . وقد تقدم خبر الأسود العنسى وماوقع بينه وبين امراء رسول الله ﷺ حتى هلك ، وعاد امر النبى ﷺ كما كان قبل وفاته بليله . فلما بلغهم وفاة رسول الله ﷺ انتقضت اليمن والبلدان وأخذت خيول الأسود العنسى تجول فيما بين نجران الى صنعاء فى عرض ذلك البر الواسع لا تأوى الى أحد ولا يأوى اليها أحد . وكان عمرو بن معديكرب بحيال فروة بن مسيك ومعاوية بن أنس فى فالة العنسى يتردد . ولم يرجع من عمال النبى ﷺ بعد وفاته الا عمرو بن حزم ، وخالد بن سعيد . ولجأ سائر العمال الى المسلمين ، واعترض عمرو بن معديكرب خالد بن سعيد فسلبه الصمصامة ، ورجعت الرسل مع من رجع بالخبر منهم جرير بن عبدالله ، والأقرع بن عبدالله ، ووبر بن يحنس .

وكان اول من كتب الى ابى بكر عتاب بن أسيد كتب اليه بركوب من ارتد من أهل عمله بمن ثبت على الاسلام . وكذلك عثمان بن ابى العاص بركوب من ارتد من أهل عمله بمن ثبت على الاسلام . فأما عتاب فانه بعث خالد بن أسيد الى اهل تهامة وقد تجمعت

بها جماع من مُدلج وتأشب اليهم شُذَّاذ من خزاعة وافناء كنانة عليهم جندب بن سلمى احد بنى شنوق من بنى مدلج ، ولم يكن فى عمل عتاب جمع غيره فالتقوا بالأبارق ففرقهم خالد بن أسيد وقتلهم واستحرّ القتل فى بنى شنوق فمازالوا أذلاء قليلا وبرئت عمالة عتاب وأفلت جندب فقال جندب فى ذلك :

ندمت وأيقنتُ الغداة بانني … أتيت التى تبقى على المرءِ عارها

شهدت بان الله لاشىء غيره … بنى مدلج فالله ربى وجارها

وبعث عثمان بن ابى العاص بعثا الى شنوءة وقد تجمعت بها جُماعٌ من الأزد ، وبجيلة ، وخثعم ، عليهم حُمَيضة بن النعمان ، وعلى اهل الطائف عثمان بن ربيعة ، فالتقوا بشنوءة فهزموا تلك الجُمّاع وتفرقوا عن حميضة وهرب حميضة فى البلاد . وكتب ابوبكر رضى الله عنه الى عثمان بن ابى العاص : ان يضرب بعثا على أهل الطائف على كل مخلاف بقدره ويولى عليهم رجلا يأمنه ويثق بناحيته . فضرب على كل مخلاف عشرين رجلا وأمر عليهم أخاه . وكتب أبوبكر رضى الله عنه الى عتاب بن اسيد : ان أضرب على أهل مكة وعملها خمسمائة مُقْوى ، وابعث عليهم رجلا تأمنه فسمى من يبعث وأمَّر خالد بن أسيد ، وأقام أمير كل قوم وقاموا على رجل ليأتيهم أمر أبى بكر وليمر عليهم المهاجر .

وكان اول منتقض بعد النبى ﷺ بتهامة اليمن عك ، والأشعريون وذلك انهم حين بلغهم موت النبى ﷺ تجمع منهم طَخَارير فأقبل اليهم طخارير من الأشعريين ، وخَضّم ، فانضموا اليهم فأقاموا على الاعلاب طريق الساحل ، وتأشب اليهم أوزاع على غير رئيس ، فكتب الطاهر بن ابى هالة الى الخليفة ابى بكر الصديق رضى الله عنه وسار اليهم ومعه مسروق العكى حتى انتهى الى تلك الأوزاع على الأعلاب ، فالتقوا فاقتتلوا فهزمهم الله وقتلوهم شر قتلة وكان مقتلهم فتحا عظيما . فأجاب أبوبكر الصديق رضى الله عنه الطاهر على كتابه الأول قبل أن يأتيه كتابه بالفتح : بلغنى كتابك تخبرنى فيه مسيرك واستنفارك مسروقا وقومه الى الأخابث بالأعلاب فقد أصبت فعاجلوا هذا الضرب ولا تُرَفهوا عنهم ، وأقيموا بالأعلاب حتى يأمن طريق الأخابث ، ويأتيكم أمرى . فسميت تلك الجموع من عك ومن تأشب اليهم الأخابث وسمى ذلك الطريق طريق الأخابث . وعسكر الطاهر على طريق الأخابث ومعه مسروق فى عك ينتظر امر ابى بكر الصديق رضى الله عنه .

خبر أهل نجران

ولما بلغ أهل نجران وفاة رسول الله ﷺ وهم يومئذ أربعون ألف مقاتل من بنى الأفعى الأمة التى كانوا بها قبل بنى الحارث بعثوا وفداً ليُجَدِّدوا عهداً ، فقدموا المدينة على أبى بكر رضى الله عنه فكتب لهم كتابا وهو : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبدالله أبى بكر خليفة رسول الله ﷺ لأهل نجران أجارهم من جنده ونفسه ، وأجازلهم ذمة محمد ﷺ الا مارجع عنه محمد رسول الله ﷺ بأمر الله عز وجل فى أرضهم وأرض العرب ان لايسكن بها دينان ، أجارهم على أنفسهم بعد ذلك وملتهم ، وسائر اموالهم ، وحاشيتهم ، وعاديتهم ، وغائبهم ، وشاهدهم ، وأسقفهم ، ورهبانهم ، وبيعهم ، حيث ماوقع وعلى ماملكت ايديهم من قليل او كثير ، عليهم ماعليهم ، فاذا أدوه فلا يحشرون . ولا يعشرون ، ولا يُغَيَّرُ أسقف من أسقفيته ، ولا راهب من رهبانيته ، ووفى لهم بكل ماكتب لهم رسول الله ﷺ وعلى مافى الكتاب من ذمة محمد رسول الله ﷺ وجوار المسلمين وعليهم النصح والاصلاح فيما عليهم من الحق ، شهد المِسْوَر بن عمرو ، وعمرو مولى أبى بكر . ورد أبوبكر جرير بن عبدالله وأمره أن يدعو من ثبت على أمر الله ثم يستنفر مقويهم فيقاتل بهم من ولى عن أمر الله ، وأمره أن يأتى خثعما فيقاتل من خرج غضبا لذى الخَلَصَة ، ومن أراد اعادته حتى يقتلهم الله ، ويقتل من شاركهم فيه ، ثم يكون وجهه الى نجران فيقيم بها حتى يأتيه أمره .

فخرج جرير فنفذ لما أمره به أبوبكر الصديق رضى الله عنه فلم يقر له احد الا رجال فى عدة قليلة وتتبعهم ، ثم كان وجهه الى نجران فأقام بها انتظارا لأمر ابى بكر رضى الله عنه .

***

خبر ردَّة أهل اليمن ثانية

فمن ارتد ثانية منهم قيس بن عبديغوث بن مكشوح ، وذلك ان لما بلغهم وفاة رسول الله ﷺ انتكث وعمل فى قتل امراء رسول الله ﷺ فيروز ، وداذويه ، وجشيش . فكتب أبوبكر الصديق رضى الله عنه الى عمير ذى مران ، والى سعيد ذى زود ، والى سميفع ذى الكلاع ، والى حوشب ذى ظُلَيْم ، والى شهر ذى يناف ، يأمرهم بالتمسك بالذى هم عليه والقيام بأمر الله والناس ويعدهم الجنود وهذه صورة الكتاب من ابى بكر خليفة رسول الله ﷺ الى عمير بن أفلح ذى مران ، وسعيد بن العاقب ، ذى زود ، وسميفع بن ناكور ذى الكلاع ، وحوشب ذى ظليم ، وشهر ذى يناف ، أما بعد فاعينوا الأبناء على من ناواهم ، وحوطوهم واسمعوا من فيروز وَجِدُّوا معه فانى قد وليته . فكان هؤلاء قبل ان يرسل أبوبكر كتابه اليهم متساندين فلما سمع بذلك قيس أرسل الى ذى الكلاع وأصحابه : أن الأبناء نزّاعٌ فى بلادكم ونقلاء فيكم ، وان تتركوهم لن يزالوا عليكم ، وقد أرى من الرأى ان اقتل رؤوسهم واخرجهم من بلادنا . فتبرأوا فلم يمالئوه ولم ينصروا الأبناء واعتذروا وقالوا : لسنا مما هاهنا فى شىء أنت صاحبهم وهم أصحابك . فتربص لهم قيس واستعد لقتل رؤسائهم وتسيير عامتهم ، فكاتب قيس تلك الفالة السيارة اللحجية ، وهم يصعدون فى البلاد ويصوبون محاربين لجميع من خالفهم فكاتبهم قيس فى السرّ وأمرهم ان يتعجلوا اليه وليكون امره وامرهم واحدا ، وليجتمعوا على نفى الأبناء من بلاد اليمن . فكتبوا اليه بالاستجابة له وأخبروه أنهم اليه سراع . فلم يَفْجأ أهل صنعاء الا الخبر بدنوهم منها ، فأتى قيس فيروز فى ذلك كالفرق من هذا الخبر ، وأتى داذويه ، فاستشارهما ليلبس عليهما ولئلا يتهماه ، فنظروا فى ذلك واطمأنوا اليه . ثم ان قيسا دعاهم من الغد الى طعام فبدأ بالدعوة بداذويه ، وثنى بفيروز ، وثلث بجشيش ، فخرج داذويه حتى دخل عليه فلما

دخل عليه عاجله فقتله غدرا . وأما فيروز فخرج يسير حتى اذا دنا سمع امرأتين على سطحين تتحدثان فقالت احداهما هذا مقتول - تعنى فيروز - كما قتل داذويه . فاقام حتى يرى موضع القوم فاخبر قيس برجوع فيروز فخرجوا يركضون وركض فيروز وتلقاه جشيش فخرج معه متوجها نحو جبل خولان وهم أخوال فيروز فسبقا الخيول الى الجبل ثم نزلا وتوغلا وكان عليهما خفاف ساذجة فما وصلا حتى تقطعت اقدامهما . فانتهيا الى خولان وامتنع فيروز بأخواله وآلى أن لاينتعل ساذجا . ورجعت الخيول الى قيس فثار بصنعاء وأخذها وجبى ماحولها مقدما رجلا ، ومؤخرا أخرى ، وأتته خيول الأسود . ولما أوى فيروز الى أخواله خولان فمنعوه وتأشب اليه الناس كتب الى ابى بكر بالخبر . ثم ان قيسا لما رأى ان عوام القبائل الذين كتب اليهم ابوبكر الصديق رضى الله عنه طابقوا معه غير رؤسائهم كما قدمنا ، عمد الى تفريق الأبناء ففرقهم ثلاث فرق فأقر من أقام وأقر عياله ، وفرق عيال الذين هربوا الى فيروز فرقتين ، فوجه احداهما الى عدن ليحملوا فى البحر ، وحمل الأخرى فى البر وقال لهم جميعا الحقوا بأرضكم ، وبعث معهم من يسيرهم ، فكان عيال الديلمى ممن سير فى البر ، وعيال داذويه ممن سير فى البحر . فلما رأى فيروز ان قد اجتمع عوام أهل اليمن على قيس وان العيال قد نفاهم قيس وصاروا عرضة للنهب ولم يجد الى جمع عسكره ولَمْ شعثه ونصرة أولاده سبيلا ، أخذته العزة والنخوة عن الصبر والتقاعد واليأس وانشد قصيدته التى مطلعها :

الا ناديا ظعنا الى الرمل ذى النخل　　وقولا لها الا يقال ولا عذل

فنهض فيروز فى حرب قيس وتجرد لها وأرسل الى بنى عقيل بن ربيعة بن عامر بن صعصعة رسولا بانه متحفز بهم يستمدهم ويستنصرهم فى ثقله على الذين يزعجون اثقال الأبناء ، وأرسل الى عك رسولا بمثل ذلك ، فركبت عقيل وعليهم معاوية من الحلفاء فاعترضوا خيل قيس فاستنقذوا أولئك العيال وقتلوا الذين سيروهم ، ووثبت عك وعليهم مسروق فساروا حتى استنقذوا عيالات الأبناء . واحتفظت عقيل وعك بالأبناء والعيال الى أن رجع فيروز الى صنعاء ، وأمدت ايضا فيروز بالرجال . فلما اتت فيروز امدادات عقيل ، وعك ، ضم اليهم من كان اجتمع اليه وخرج بهم فناهد قيسا فالتقوا دون صنعاء فاقتتلوا قتالا شديدا فهزم الله قيسا وقومه ومن لف لفه فهرب مع جنده حتى عادوا الى المكان الذى كانوا فيه .

وقد تقدم ان عمرو بن معديكرب الزبيدى كان تابع الأسود العنسى فلما قتل العنسى بقى عمرو على ردته وكان بازاء (فروة بن مسيك) وكان فروة هذا قد قدم على رسول الله ﷺ مسلما وقال :

لما رأيت ملوك حِمْيَرَ أعرضت كالرِّجْل خان الرِّجْل عرق نسائها
يممت راحلتى امام محمد أرجو فواضلها وحسن ثنائها

فاستعمله رسول الله ﷺ على صدقات مراد ومن نازلهم او نزل دارهم . وكان عمرو ابن معديكرب قد فارق قومه سعد العشيرة فى بنى زُبيد واحلافها وانحاز اليهم وأسلم معهم فكان فيهم . فلما ارتد العنسى واتبعه عوام مذحج ، اعتزل فروة فيمن اقام معه على الاسلام وارتد عمرو فجعله العنسى فى وجه فروة فكان بجواره وكان كل واحد منهما متحصنا ومتمنعا من الآخر ، ومازالا رقيبين على بعضهما .

فبينما كانت حالة المسلمين والمرتدين باليمن كما وصفنا إذ أقبلت جيوش خليفة الاسلام ابى بكر الصديق رضى الله عنه على اليمن فاقبل عكرمة بن ابى جهل رضى الله عنه من مهرة حتى ورد (أبَين) يقود بشرا كثيرا من مهرة ، وسعد بن زيد ، والأزد ، وناجية ، وعبدالقيس ، وحدبان ، من بنى مالك بن كنانة ، وعمرو بن جندب من العنبر ، فجمع النخع بعد من اصاب من مدبريهم فقال لهم : كيف كنتم فى هذا الأمر ؟ فقالوا له : كنا فى الجاهلية اهل دين لانتعاطى ماتتعاطى العرب بعضها من بعض ، فكيف بنا اذا صرنا الى دين عرفنا فضله ودخلنا حبه . فسأل عكرمة عنهم فثبت قولهم ، واستبرأ النخع ، وحمير ، وأقام لاجتماعهم ، وعظم على قيس بن عبد يغوث مجيء عكرمة الى اليمن ، ولحق قيس بعمرو بن معديكرب ثم اختلفا وتنافسا وعير عمرو قيسا غدره بالأبناء وقتله داذويه .

وكان قد كتب ابوبكر الصديق رضى الله عنه الى الطاهر بن ابى هالة بالنزول الى صنعاء واعانة الأبناء ، وكتب ايضا الى مسروق ، فخرجا حتى اتيا صنعاء . ولما خرج المهاجر بن ابى امية من عند ابى بكر الصديق رضى الله عنه وكان آخر من خرج اتخذ مكة طريقا فمر بها فاتبعه خالد بن أسيد ، ومر بالطائف فاتبعه عبدالرحمن بن ابى العاص ، ثم مضى حتى اذا حاذى جرير بن عبدالله ضمه اليه ، وانضم اليه عبدالله بن ثور حين حاذاه ، ثم قدم على نجران فانضم اليه فروة بن مسيك ، وفارق عمرو بن

معديكرب قيسا ، وأقبل مستجيبا حتى دخل على المهاجر على غير أمان فأوثقه المهاجر، وأوثق قيسا ، وكتب بحالهما الى ابى بكر الصديق رضى الله عنه وبعث بهما اليه ، فلما سار المهاجر من نجران الى اللحجية والتفت الخيول على تلك الفالة من فلول المرتدين فاستأمن المرتدون من المهاجر فأبى أن يؤمنهم فافترقوا فرقتين فلقى المهاجر احداهما بعجيب فقضى عليها ، ولقيت خيوله الفرقة الأخرى بطريق الأخابث فقضوا عليها ، وكان على الخيول الأخيرة عبدالله بن ثور ، وقتل الشرداء بكل سبيل ، ثم قدم بقيس ، وعمرو بن معديكرب على أبى بكر فقال ابوبكر رضى الله عنه لقيس : ياقيس أعَدَوت على عباد الله تقتلهم وتتخذ المرتدين والمشركين وليجةً من دون المؤمنين ؟ وهم ابوبكر بقتله ، فأنكر قيس قتل داذويه ، ولم تكن هناك بينة تدين قيسا بقتل داذويه لأن قتله كان خفية ، فتجافى أبوبكر عن دمه . ثم قال ابوبكر لعمرو بن معديكرب : أما تخزى انك كل يوم مهزوم ، أو مأسور ، لو نصرت هذا الدين لرفعك الله . ثم تجاوز عنه وخلى سبيله ، وردهما الى عشائرهما . فقال عمرو بن معديكرب : لاجَرَم لأقبلن ولا أعود . فكانت توبة عمرو فى هذه المرة توبة نصوحا ، وكان بعد ذلك من أعظم أبطال الاسلام وحماته وله فى حرب فاس من البأس والبطولة مالا يعرف له مثل وبالأخص فى يوم القادسية فقد ابدى من الشجاعة ماحير الأبطال وسيأتى تفصيل عمله فى الجزء السادس المحتوى على خلافة امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

ثم سار المهاجر من عجيب حتى نزل صنعاء وامر ان يتبعوا شُذّاذ القبائل الذين هربوا فقتلوا من قدروا عليه منهم شر قتلة ، ولم يعف المهاجر عن مرتد ، وقبل توبة من أناب من غير المتمردة ، وعملوا فى ذلك على قدر ما رأوا من آثارهم ، وكتب المهاجر بدخوله صنعاء إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وبما صنع من ذلك وبالذى يعمله بعد ذلك .

* * *

خبر ردة حضرموت وكندة

لما توفى رسول الله ﷺ كان عماله على بلاد حضرموت زياد بن لبيد البياض ، وعلى السكاسك والسكون عكاشة بن محصن ، وعلى كندة المهاجر بن أبى أمية ، وكان المهاجر بالمدينة لم يخرج اليها حتى توفى رسول الله ﷺ فاتم أبو بكر رضى الله عنه للمهاجر إمرته وأمره بقتال من بين نجران الى أقصى اليمن . ثم سار المهاجر كما قدمنا حتى وصل صنعاء وكتب الى أبى بكر بذلك . وكان سبب ردة كندة اجابتهم الاسود العنسى حتى لعن رسول الله ﷺ الملوك الأربعة منهم ، وذلك أنهم لما أسلموا أمر رسول الله ﷺ ان يوضع بعض صدقة حضرموت فى كندة ، وبعض صدقة كندة فى حضرموت ، وبعض صدقة حضرموت فى السكون ، وبعض صدقة السكون فى حضرموت ، فقال بعض بنى وليعة من كندة لحضرموت ليس لنا ظهر فان رأيتم أن تبعثوا الينا بذلك على ظهر ، فقالوا انا ننظر فان لم يكن لكم ظهر فعلنا . فلما توفى رسول الله ﷺ قالت بنو وليعة أبلغونا كما وعدتم رسول الله ﷺ ، فقالوا ان لكم ظهرا فهلموا فاحتملوا . ولاحوهم حتى قالوا لزياد بن لبيد الانصارى أمير حضرموت أنت معهم علينا . فأبى الحضرميون ، ولج الكنديون ، فرجعوا الى ديارهم ، وقدموا رجلا وأخروا أخرى ، وأمسك عنهم زياد انتظارا لأميرهم المهاجر . فلما بلغ أبابكر الصديق رضى الله عنه كتب الى المهاجر ، والى عكرمة ، ان يسيرا حتى يقدما حضرموت ، وأقر زيادا على عمله ، وأذن لمن سار مع المهاجر من أهل مكة الى اليمن بالرجوع الا ان أراد أحد منهم أن يؤثر الجهاد ، وأمده بعبيدة بن سعد ، ففعل المهاجر وسار من صنعاء الى حضرموت ، وسار عكرمة من اَبْيَنَ الى حضرموت فالتقيا (بمأرب) ثم فوزا من صهيد حتى اقتحما حضرموت فنزل أحدهما على الأسود ، والآخر على وائل :

وكان زياد بن لبيد قد ولى صدقات بنى عمرو بن معاوية من كندة بنفسه فقد
عليهم فكان أول من انتهى اليه منهم شيطان بن حجر فاخذ منهم بكرة ووسمها فتبين ان
الناقة للعداء بن حجر أخى شيطان ، وكان أخوه قد أوهم حين أخرجها وكان اسمها
(شذرة) فقال العداء هذه ناقتى فقال شيطان صدق وطلب من زياد اطلاقها واخذ غيرها
فاتهمه زياد بالكفر ومباعدة الاسلام فمنعها عنها وقال صارت فى حق الله فلجأ فى طلبها
فقال لها : لاتكونن (شذرة) عليكم كالبسوس . فنادى العداء ياآل عمرو أضام وأضطهد
ان الذليل من أحل فى داره ، ونادى حارثه بن سراقة بن معديكرب ، فأقبل حارثة الى
زياد وهو واقف فقال : أطلق بكرة الرجل ، وخذ غيرها ، فقال زياد : مالى الى ذلك
سبيل . فقال حارثة : ذاك اذا كنت يهوديا . وعمد الى البكرة وأطلق عقالها وبعثها وقام
دونها ـ هنا خرجت القضية من كونها زكاة الى حمية جاهلية وكانت هذه الحادثة هى السبب
فى سفك دماء غزيرة ـ فأمر زياد شبابا من حضرموت والسكون فمنعوه وكتفوه وكتفوا
أصحابه وأخذوا البكرة . فتصايحت كندة ، وغضبت بنو معاوية لحارثة وأظهروا أمرهم ،
وغضبت حضرموت والسكون لزياد ، وتألف عسكران عظيمان من هؤلاء ولم يحدث بنو
معاوية شيئا لمكان أسراهم ، ولم يجد اصحاب زياد سبيلا يتعلقون به عليهم ، فأمر زياد
بوضع السلاح فلم يفعلوا وطلبوا فك أسراهم فلم يطلقهم ، ثم نهد اليهم زياد ليلا فقتل
منهم أناسا وتفرقوا ، فلما تفرقوا أطلق زياد حارثة ومن معه ، واجتمع منهم عسكر كثير
ونادوا بمنع الصدقة فارسل الحصين بن نمير وسكن بعضهم عن بعض فأقاموا بعد ذلك
يسيرا ، ثم ان بنى عمرو بن معاوية من كندة نزلوا المهاجر وهى أحماء حموها فنزل جمد
محجرا ، ومخوص محجرا ، ومشرح محجرا ، وأبضعة محجرا ، واختهم العمرة محجرا ، وهم
الملوك الأربعة رؤساء عمرو الذين لعنهم رسول الله ﷺ . ونزلت بنو الحارث بن معاوية
محاجرها ، فنزل الاشعث بن قيس محجرا ، والسمط بن الأسود محجرا ، واطبقت بنو معاوية
كلها على منع الصدقة الا شرحبيل بن السمط وابنه فانهما قالا لبنى معاوية : انه لقبيح
بالاحرار التنقل ان الكرام ليلزمون الشبهة فيتكرمون ان ينتقلوا الى أوضح منها مخافة العار
فكيف الانتقال من الامر الحسن الجميل والحق الى الباطل والقبيح اللهم انا لانمالىء قومنا
على ذلك . وانتقل ونزل مع زياد ومعهما امرؤ القيس بن عابس وقالا له : بيت القوم فان
لم تفعل خشينا ان تتفرق الناس عنا اليهم . فاجابهم الى تبييت القوم فاجتمعوا وطرقوهم

فى محاجرهم فوجدوهم جلوسا حول نيرانهم فاكبوا على بنى عمرو بن معاوية وفيهم العدد والشوكة من خمسة أوجه فاصابوا مشرحا ومخوصا وجحدا ، وأبضعة ، وأختهم العمرة ، وأدركتهم لعنة النبى ﷺ وقتلوا فاكثروا وهرب من أطاق الهرب وعاد زياد بن لبيد بالاموال والسبى واجتازوا بالاشعث فثار فى قومه واستنقذهم وجمع الجموع ، وكتب زياد الى المهاجر يستحثه فلقيه الكتاب بالطريق فاستخلف على الجند عكرمة بن أبى جهل وتعجل فى سرعان الناس وقدم على زياد وسار الى كندة فالتقوا (بمحجر الزرقان) فاقتتلوا فانهزمت كندة وقتلت وخرجوا هرابا فالتجأوا الى (النجير) وقد رمّوه وأصلحوه ، وسار المهاجر فنزل عليهم واجتمعت كندة فى النجير فتحصنوا به فحصرهم المسلمون وقدم اليهم عكرمة فاشتد الحصر على كندة وتفرقت السرايا فى طلبهم فقتلوا منهم وخرج من بالنجير من كندة وغيرهم فقاتلوا المسلمين فكثر فيهم القتل فرجعوا الى حصنهم وخشعت نفوسهم وخافوا القتل وخاف الرؤساء على نفوسهم فخرج الاشعث ومعه تسعة نفر فطلبوا من زياد ان يؤمنهم وأهليهم على أن يفتحوا له الباب ، فأجابهم الى ذلك وقال اكتبوا ماشئتم ثم هلموا الكتاب حتى أختمه ففعلوا ونسى الاشعث ان يكتب نفسه لأن جحد ما وثب عليه بسكين فقال تكتبنى أو أقتلك فكتبه ونسى نفسه ، ففتحوا الباب فدخل المسلمون فلم يدعوا مقاتلا الا قتلوه وضربوا أعناقهم صبرا وأخذوا الأموال والسبى ، فلما فرغوا منهم دعا الاشعث أولئك النفر معهم فعرضهم فاجار من فى الكتاب فاذا الاشعث ليس منهم ، فقال المهاجر : الحمد لله الذى خطاك فاك ياأشعث ياعدو الله قد كنت اشتهى أن يخزيك الله .

وشده كتافا فقال له عكرمة بن أبى جهل : أخره وابلغه أبابكر فهو اعلم بالحكم فيه وان كان رجلا نسى اسمه ان يكتبه وهو ولى المخاطبة أفذاك يبطل ذلك ؟ فسيره مع السبى فكان المسلمون يلعنونه ويلعنه سبايا القوم وسماه نساء قومه عرف النار وهو اسم الغادر عندهم ، فلما قدم المدينة قال له أبو بكر رضى الله عنه : ما ترانى أصنع بك ؟ قال لا أعلم ، قال : فانى أقتلك . قال : فأنا الذى راوضت القوم فى عشرة فما يحل دمى . قال أبو بكر رضى الله عنه : انما وجب الصلح بعد ختم الصحيفة على من فيها وانما كنت قبل ذلك مراوضا ، فلما خشى القتل قال : أو تحتسب فى خيرا فتطلق الأسارى وتقيلنى عثرتى وتفعل بى مثل مافعلت بامثالى وترد على زوجتى .. وكان الاشعث قد خطب أم فروة أخت أبى بكر فلما قدم على النبى ﷺ أخرها الى ان يقدم المرة الثانية فمات النبى ﷺ وارتد

الاشعث .. ثم قال الاشعث فان فعلت ذلك تجدنى خير اهل بلادى لدين الله . فحقن أبو بكر دمه ورد عليه أهله ، وأقام بالمدينة حتى فتح العراق وقسم الغنائم بين الناس .

وفى هذه السنة التى هى سنة احدى عشرة من الهجرة انتهى قتال أهل الردة وتوحد دين الاسلام فى جزيرة العرب ، وعادت العرب الى رشدها ، وكان أمر الردة من أشد المصائب على العرب والاسلام ، سفكت فيها الدماء بغزارة ، وأبيدت النفوس التى لاتعد ولاتحصى بسخاء فى سبيل النعرة الجاهلية وحبا فى الشيطان . واذا قايسنا بين عدد المسلمين الذين اخضعوا عموم المرتدين مع عدد نفوس المرتدين وجدنا ان نسبة المسلمين الذين قضوا على المرتدين لايبلغون عشر المرتدين وكلا الطائفتين من صميم العرب والعروبة ، وكلهم أكفاء فى ميادين الوغى ولم تترجح كفة المسلمين الذين هم أقل من العشر على المرتدين الذين هم تسعة أعشار أو أكثر الا بقوة الاسلام وبسلاح الايمان ، حيث هو القوة الوحيدة التى يملكها المسلم فى عموم حروبه وفتوحاته وكافة اعماله فاذا انقضت هذه القوة من قلوب المسلمين تقلص مجدهم ، وتدهور سلطانهم ، وتهدم بنيانهم وتلاشى ذكرهم ، ولم يكن المسلم صار مسلما لأجل أن أبويه كانا مسلمين فحسب ، بل لايكون المسلم مسلما الا بقوة الايمان ، والعمل على ما جاء به الدين الحنيف علما وعملا صحيحا صادقا فيه . ان المسلمين اليوم يقدرون بأكثر من اربعمائة مليون فهل هم مسلمون علما وعملا صحيحا ، صادقون فيه كما كان اصحاب رسول الله ﷺ صادقين فى اسلامهم وعلمهم وعملهم ويقينهم ؟ هذا السؤال جوابه معلوم ، فلو انهم إليوم على ماكان عليه ذلك السلف المجيد ، فهل والحالة هذه يكونون بهذه الحالة التى هم عليها من الحطة ، والصغار ، والتفكك ، والانحلال والتمزق ، والضلال ؟ هذا الذى يجعلنا نذكر اخواننا المسلمين بمجد سلفهم الخالد التليد ، لعلهم يتيقظون من سباتهم العميق ، وينهضون من خمولهم المميت ، فيحذون حذو سلفهم فى يقظتهم الاسلامية ، وقوتهم الايمانية ، ويقينهم الصادق ، والله كفيل لهم باعادة مجدهم السالف ، وعزهم الشامخ .

اذا فكر المسلم لماذا قاتل أبو بكر الصديق رضى الله عنه العرب باسم الردة ؟ يعلم انهم تسموا مرتدين لمنعهم الزكاة فقاتلهم عليها ، فهل المسلمون اليوم يؤدون الزكاة ؟ هل هم يؤدون الصلاة ؟ هل هم يصومون رمضان ؟ هل هم يؤدون فريضة الحج ؟ نعم لاننكر ان منهم الفرد اليسير الذى هو متمسك بشرائع الاسلام ، وهذا معلوم عند العموم . فلو ان

أبابكر الصديق رضى الله عنه كان خليفتهم اليوم-ماذا يصنع فيهم وهو الذى قاتل العرب على منع الزكاة فقط ؟ هل يتركهم على ماهم عليه وهو لم يترك العرب على منع الزكاة فقط ؟ فاذا كان أبو بكر قد مات ، فالله حق باق لايموت ولايفوت أبدا اذا أهملهم من العقاب فى الدنيا وهم لم يظنوا ان حالتهم الحاضرة من التفكك والانحلال ، والذل ، والاهانة ، والصغار ، فى عقر دارهم عقاب منه جل وعلا لعدم قيامهم بواجب دينهم فهو سبحانه وتعالى لايتركهم يوم الفزع الأكبر من العقاب الأليم (يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد) اللهم اهم المسلمين رشدهم ووفقهم لمرضاتك ، انك سميع مجيب .

فهذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه الحليم ، الرقيق ، اللين ، الشفوق ، قد قَبَرَ الرِّدة فى مهدها ، فلم يتقاعس ولم يثن عزمه أحد عن قتال العرب على ترك فريضة واحدة من فرائض الاسلام وقد امتد لهيبها من حول المدينة الى منتهى الجزيرة العربية ، فقتل ، وغنم ، وسبى ، أبناء جلدته بحد الصارم البتار ولم تأخذه فى الله تعالى لومة لائم . فكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه فى لمحة بصر يتحول من اللين الى الشدة ، ومن الرفق الى القسوة ومن الحلم الى الجبروت ، فيضع اللين فى موضعه ، والشدة فى موضعها ، ويرفق بمن يستحق الرفق ، ويقسو على من لاتصلحه الا القسوة ، ويحلم على من يكون الحلم له أنفع ، ويتجبر على من يكون الجبروت له أصلح ، فهذا شأن العظماء الحكماء فى رعيتهم وهذه سير الخلفاء فى أمتهم ، وهذا طريق الاصلاح فى الدنيا الموصل الى سعادة الآخرة وعليه فليعمل العاملون ، وليصلح بموجبه المصلحون ، وليقتد به المقتدون ، فنعم أبو بكر الصديق ونعم من يقتدى به فهو القدوة الحسنة فى كل شىء .

ثم أن أسارى العرب وسباياهم مازالوا بأيدى المسلمين مدة خلافة أبى بكر الى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلما تولى عمر قال انه ليقبح بالعرب أن يملك بعضهم بعضا وقد وسع الله وفتح الاعاجم واستشار فى فداء سبايا العرب فى الجاهلية والاسلام الا امرأة ولدت لسيدها ، وجعل فداء كل انسان سبعة أبعرة ، وستة أبعرة ، الاّ حنيفة ، وكندة وأهل دَبَا (ضبا) فانه خفف عنهم لقتل رجالهم ولأنهم لايقدرون على الفداء فتتبعت رجالهم نساءهم بكل مكان . وقال عمر رضى الله عنه لاملك على عربى وذلك لما أجمع عليه المسلمون معه ، فصار بعد ذلك كل العرب وأبنائهم ونسائهم أحرارا وحرم استرقاق العرب

عموما لذلك .

وكتب أبو بكر الصديق رضى الله عنه الى المهاجر بن أبى أمية يخيره بين امارة اليمن أو حضرموت ، فاختار اليمن . فكانت اليمن على أميرين فيروز ، والمهاجر ، وكانت حضرموت على أميرين عبيدة بن سعد على كندة ، والسكاسك ، وزياد بن لبيد على حضرموت وكتب أبو بكر الصديق رضى الله عنه الى عماله على اهل الردة أما بعد فان أحب من أدخلتم فى أموركم الىّ من لم يرتد ، ومن كان ممن لم يرتد فأجمعوا على ذلك فاتخذوا منها صنائع ، واذنوا لمن شاء فى الانصراف ولا تستعينوا بمرتد فى جهاد عدو .

وفى هذه السنة سنة احدى عشرة من الهجرة انصرف معاذ بن جبل من اليمن . وفيها استقضى أبو بكر الصديق رضى الله عنه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فكان عمر قاضى القضاة مدة خلافة أبى بكر كلها وفيها أمر أبو بكر رضى الله عنه عتاب بن أسيد أمير مكة ان يحج بالناس ذلك الموسم .

* * *

فتح فارس والروم

تقدم فى الجزء الأول من كتاب حياة سيد العرب أن العرب فى سابق الأجيال قد غزوا الصين ، والهند وفارس ، والروم ، ومصر ، واستولوا على كثير من المدن واستعمروها وصنعوا السفن وجابوا البحار غزوا ، وتجارة ، ودانت لهم البلاد وتوطدت الأمور كما يشاءون . ثم بعد ذلك تغيرت الأحوال ، وتقلبت الأمور ، وانقلب الزمن ، سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ، فعادوا الى جزيرتهم بعد ذهاب تلك المستعمرات من أيديهم . ثم تغلبت فارس على الحيرة ، والجزيرة الفراتية ، وتغلبت الروم أيضا على سورية وفلسطين والبلقاء ، حتى اضطرت ملوك الحيرة وهم المناذرة على الدخول تحت حماية الفرس ، واضطر الغسانيون أيضا وهم ملوك سوريا وفلسطين والبلقاء على الدخول تحت حماية الروم . فَضرَب بعد ذلك الخمول أطنابه على العرب حتى صاروا سُجَنَاء جزيرتهم ليس لديهم عملٌ يقومون به غير الغارة على بعضهم البعض وأصبح بأسهم بينهم شديدا ، وكان ذلك شغلهم الشاغل بعد أن بلغوا أقصى الدنيا استعمارا وتجارة ، فمضى عليهم ردح من الزمن وهم على ذلك الحال حتى جاء الاسلام بطريقته المحمدية ، وشريعته النقية ، ومنهجه القويم ، فربط قلوب العرب برابطة الايمان ، وصاروا بحمد الله تعالى وبفضل الاسلام كتلة واحدة ، وجسما واحدا ، فَكَوَّن الاسلام من العرب أمة عظيمة أعادت مجدها واستردت سلطانها ، وظهرت على العالم أجمع بدينها القويم . وشريعتها السمحاء ، وعمرانها المجيد ، واصلاحها الفخيم ، وحضارتها وعزها الضخم ، فكانت على الباغى سيفا قاطعا بتارا وعلى المسالم مصلحا عادلا ، وعلى الضعيف شفوقا رحيما ، ذلك بفضل تعاليم دين الاسلام الذى جاء به سيد العرب محمد ﷺ من رب العزة هدى للناس كافة بشيرا ونذيرا لقوم يفقهون ، جاء الاسلام بلسان عربّى مبين عن طريق نبى عربى أمين وقامت بنشره الأمة العربية فى انحاء المعمورة على قاعدة العدل والانصاف والعمران ،

والتمدن ، والاصلاح ، فنتج من أعمالهم الدينية ماسطره يراع الحق ، بمداد الفخر ، على صفحات التاريخ ، من العدل ، والانصاف والمساواة بين القوى والضعيف ، والمجد ، والفخر ، والسؤدد ، وتنظيم الممالك ، وترقية الأمم ، وارتفاع شأن العلم ، والاصلاح فى كافة الممالك التى فتحوها ، فقد نظموا الرى وفتحوا الخلجان وبنوا الجسور ، وعمروا البلدان وخططوا المدن وشيدوا المدارس ، وأنشأوا المستشفيات ، وسيروا السفن ، ورقوا التجارة والصناعة والزراعة ، وعنهم أخذت الأمم الأخرى كل ذلك . ذلك مجد الاسلام الذى سأسطره فى هذا الكتاب بحسب المقتضيات ان شاء الله .

وكانت الدولة الفارسية من أعظم دول العالم وأشدها قوة وهى احدى الدولتين اللتين لهما صلة بجزيرة العرب فاحداهما دولة الشرق ، والأخرى دولة الغرب ، وان يكن هناك حكومات اخرى مثل حكومة الصين والتتر والهند بالشرق ، وبعض حكومات بالغرب الا ان الدولة الفارسية كانت هى صاحبة القوة والبأس والسيطرة فى الشرق كما ان دولة الرومان هى صاحبة الشوكة والسيطرة بالغرب فهما الدولتان اللتان صبحهما الاسلام فى العالم وحرر من ايديهما الشرق ، وكان قاعدة ملك فارس حال الفتوحات الاسلامية (المدائن) وكانت هذه المدينة على شاطىء دجلة الشرقى والغربى جنوب بغداد ، وكان مبدأ أمرها من توثب أردشير بن بابك شاه ملك مرو ، وتغلبه على ملوك الطوائف الفارسية وأدخل فى ملكه العراق وماجاورها من بلاد العرب .

* * *

خبر ملوك العرب بالعراق

كان ملك العرب على العراق قديما جدا يرجع عهده الى عاد ، والعمالقة ، ثم ملك بعدهم بنو قنص بن معد بن عدنان ، وكان حد ملك هذه الطبقة مابين الحيرة والفرات الى ناحية الأنبار ، وكانوا يسمون عرب الضاحية ، وكان اول من ملك من قضاعة فى زمن الطوائف مالك بن فهم بن تيم الله بن اسد القضاعى ، وكان منزله ممايلى الأنبار ، وملك بعده اخوه عمرو ، ثم ملك بعدهما جذيمة الأبرش الازدى . وكان بشاطىء الفرات الشرقى عمرو بن الظرب من ولد السميدع بن هوثر من بقايا العمالقة ، وكان فى ملكه مشارف الشام والجزيرة ، وكان منزله بالمضيق بين الخابور ، وقرقيا ، وكانت بينه وبين عمرو بن فهم حروب قُتل عمرو بن الظرب فى بعضها ، وقامت بملكه من بعده ابنته الزباء بنت عمرو السميدع بن هوثر من بنى قطورا (من اهل مكة) وللزباء بنت عمرو تاريخ عجيب وقد اخذت بثأر ابيها ، وكان جنودها بقايا العمالقة من عاد الأولى ، ومن نهد ، وسليح ابنى حلوان ، ومن قضاعة . وقد بنت لها قصرا على شاطىء الفرات ، ولما استحكم لها الأمر بالملك اجمعت على اخذ الثأر من جذيمة بأبيها فبعثت اليه توهمه الخطبة وانها امرأة لايليق بها الملك فيجمع ملكها الى ملكة ، فطمع فى ذلك ومشت عليه الحيلة ، وكان من رجاله قصير بن سعد الذى يضرب به المثل مفكرا حازما فحذر جذيمة فلم يصغ له ، فدخل على الزباء فقطعت زواهشه حتى نزف الدم ومات . ثم ان قصير بن سعد قدم على عمرو بن عدى وكان خاله جذيمة واتفق معه على اخذ الثأر بحيلة فجدع قصير انفه وأتى الزباء يشكوما أصابه من عمرو وأقنعها بخلوصه لها حتى ائتمنت جانبه ثم أتاها بجند عمرو فى الغرائر على الابل وتقدمهم عمرو حتى قتلها وقتل حاميتها ولذلك تفصيل واسع فى التاريخ . وانفرد عمرو بن عدى بملك العراق وهو اول من اتخذ الحيرة منزلا من ملوك العرب ولم يزل ملكا حتى مات وهو ابن مائة وعشرين سنة وكان لايدين لملوك طوائف

الفرس حتى قدم أردشير بن بابك . ثم ولى بعده على بادية العراق والحجاز والجزيرة امرؤ القيس بن عمرو بن عدى ، وهو أول من تنصر من ملوك آل نصر وعاش مائة وأربع عشرة سنة ، وكان عاملا لملوك الفرس وكانت وفاته فى ايام سابور بن سابور، ثم ولى مكان أوس بن قلام العمليقى وهو من بنى عمرو بن عملاق ، ثم قتله جحجبا بن عتيك اللخمى وولى مكانه فهلك فى أيام بهرام بن سابور ، وتولى بعده امرؤ القيس بن عمرو فهلك فى أيام يزدجرد الأثيم ، فولى مكانه ابنه النعمان بن امرىء القيس وهو صاحب الخورنق وكان البانى له سنمار ولما فرغ من بنائه القاه من اعلاه فمات الصانع ، وكان النعمان هذا من أفحل ملوك آل نصر وأقام فى ملكه ثلاثين سنة ثم زهد وذهب فلم يوجد له أثر ، وتولى بعده المنذر بن النعمان وامه (ماء السماء) امرأة من اليمن ، ثم بعد وفاته تولى ابنه النعمان بن المنذر . فجاء الحارث بن عمرو بن حجر الكندى بجيش عظيم الى بلاد معد ، والحيرة ، فقتل النعمان بن المنذر وعدة من اهل بيته . فملك الحارث بن عمرو الكندى على ملك آل النعمان ، وغزا فارس فقتل ملكهم قباذ ، وبعث أخاه شمرا ذا الجناح فسار الى خراسان .

وبعث تبعا ابنه حسان الى الصغد وامرهما معا ان يدوخا ارض الصين ، وبعث ابن اخيه يعفر الى الروم فحاصر القسطنطينية حتى اعطوه الطاعة والاتاوة ، وتقدم الى رومة فحاصرها ثم اصابهم الطاعون ووهنوا له فوثب عليهم الروم فقتلوهم جميعا . وتقدم شمر الى سمرقند فحاصرها واستعمل الحيلة فيها فملكها ، ثم سار الى الصين وهزم الترك ووجد اخاه حسانا قد سبقه الى الصين فأقام هناك احدى وعشرين سنة ثم رجعا الى بلادهما بما غنماه من الأموال والذخائر وصنوف الجواهر والطيور . ثم ولى انوشروان بعد الحارث بن عمرو المنذر بن النعمان ، فملكه الحيرة وماكان فى ملك الحارث . ثم ولى بعده المنذر بن المنذر . ثم ملك بعده النعمان بن الأسود بن المنذر ، ثم استخلف ابويعفر بن علقمة اللخمى ثم ملك المنذر بن امرىء القيس وهو ذو القرنين لظفيرتين كانتا له من شعره ، وأمه ماء السماء بنت عوف فملك تسعا واربعين سنة ، ثم ملك ابنه عمرو بن المنذر وكان فى مدته عام الفيل الذى ولد فيه النبى ﷺ ، ثم ولى بعده عمرو بن هند شقيقة قابوس ، ثم ولى بعده اخوهما المنذر ، ثم بعده ولى النعمان بن المنذر وهو ابو قابوس اثنتين وعشرين سنة ايام هرمز ، وأبرويز ، وفى أيام النعمان هذا اضمحل ملك آل نصر بالجزيرة وعليه انقرض ، وهو الذى قتله كسرى ابرويز وأبدل عنه فى الولاية على الحيرة والعرب بأياس بن قبيصة

الطائى ، ثم ردّ رياسة الحيرة لمرازبة فارس الى ان جاء الاسلام وذهب ملك فارس .
ملخص من تاريخ ابن خلدون .

فمن ذلك يتضح ان العرب ملكت العراق وتوطنته من عهد عاد والعمالقة الى ان جاء الاسلام ولم يخرج العراق من يد العرب قط ، وانما كان للفرس على الغساسنة شبه حماية مدة قصيرة من الزمن كما تقدم . وكان ذلك هو السبب فى ذهاب ملك الفرس لأن ملك العرب وبلاد العرب مصانة من الله تعالى منذ الخليقة الى اليوم ، ولم يحدثنا التاريخ ان امة من الأمم الأخرى ملكت بلاد العرب غير اغارة الحبشة على اليمن قبل الاسلام ثم لم يدم ملكهم سوى بضع سنين ، وكذلك ملك فارس على اليمن قريب من ذلك ومثلها العراق كما تقدم وسيأتى تفصيل ذلك فى محله عن الشام وكل هذا الاستيلاء على بلاد العرب لم يكن الا مؤقتا ثم اعقب ذلك الاستيلاء اضمحلال الملوك المغتصبة وكان زوال ملكهم على يد العرب كما حصل على فارس والروم ، بسبب اغتصابهم بعض اطراف البلاد العربية ولايزال الخير فى الأمة العربية مابقيت متمسكة بدينها ، وقوميتها ، وعروبتها ، وشهامتها ، الى يوم القيامة .

* * *

أخبار ملوك العرب بالشام

أول من ملك من العرب بالشام العمالقة ، ثم بنو ارم بن سام ويعرفون بالأرمانيين وقد ذكروا فى التوراة ، وكان لهم مع ملوك الطوائف حروب ، وكان آخر ملوك العمالقة الملك السميدع بن هوثر ، وهو الذى قتله يوشع بن نون حين تغلب بنو اسرائيل على الشام ، ثم ملك امر العرب تنوخ من بطون قضاعة ، ثم غلب عليهم سليم من بطون قضاعة ايضا ، ثم الضجاعم منهم فتنصروا وملكتهم الروم ، ولما نزلت غسان الشام جاوروا الضجاعم وقومهم سليم . ورئيس غسان يومئذ ثعلبة بن عمرو بن المجالد الازدى ورئيس الضجاعم يومئذ داود اللثق بن هبولة ؛ وكانت الضجاعم ملوكا على العرب عمالا للروم ، فغلبتهم غسان على مابأيديهم من رياسة العرب وتفردوا بملك الشام وذلك عند فساد كان بين الروم وفارس ، فخاف ملك الروم ان يعينوا عليه فارسا فكتب اليهم واستدناهم ، وكان رئيسهم يومئذ ثعلبة فاكتتبوا على انه ان دهمهم امر من العرب أمدّهم بأربعين الفا من الروم ، وان دهمه أمر أمدّته غسّان بعشرين ألفا ، وثبت ملكهم على ذلك وتوارثوه فتولى ملك الشام بعد ثعلبة بن عمرو ، الحارث بن عمرو مزيقيا ، ثم بعده الحارث بن ثعلبة ، وبعده النعمان بن الحارث ، ثم ابوشمر بن الحارث ، ثم بعده اخوه المنذر بن الحارث ، ثم اخوه جبلة بن الحارث ، ثم عوف بن ابى شمر ، ثم الحارث بن ابى شمس وعلى عهده كانت البعثة وكتب له النبى ﷺ فيمن كتب اليه من ملوك تهامة والحجاز ونجد وعمان واليمن وبعث اليه شجاع بن وهب الأسدىّ يدعوه الى الاسلام كما تقدم ، ثم ملك بعده ابنه النعمان ، ثم ملك بعده جبلة بن الايهم واستفحل ملك جبلة هذا ولما افتتح المسلمون الشام اسلم جبلة بن الايهم وهاجر الى المدينة واستشرف اهل المدينة لمقدمه ، وأحسن عمر بن الخطاب رضى الله عنه نزله وأكرم وفادته وأجلّه بأرفع رتب المهاجرين ، ثم غلب عليه الشقاء وأخذته العزة بالاثم ولطم رجلا من المسلمين من فزارة لأجل انه وطىء ذيل ازاره وهو يسحبه فى

الأرض ، فرافعه الفزارى الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال له عمر : لابدّ أن أقيده منك . فقال جبلة : اذن أرجع عن دينكم هذا الذى يقاد فيه للسوقة من الملوك . فقال له عمر رضى الله عنه : اذن أضرب عنقك . فقال : أمهلنى الليلة حتى أرى رأيى . فاحتمل رواحله وأسرى ليلا هاربا من القصاص العادل فتجاوز الدروب الى قيصر الروم ولم يزل بالقسطنينية حتى مات سنة عشرين من الهجرة ، ثم انه ندم ولم يزل باكيا على فعلته تلك ، كان يظن جبلة بن الايهم ان الاسلام يترك الجانى بدون ان يقتص منه اذا كان من أصحاب الشخصيات البارزة ، والحيثيات الفخيمة ، ولم يعلم ان الاسلام قد جاء بالحكمة وفصل الخطاب ، واخذ الحق من القوى للضعيف الذى لم يجد العدل والانصاف من اصحاب الشوكة الا فى الاسلام ذلك الدين الذى اساسه العدل والمساواة بين طبقات البشر فى الحقوق ، ولذلك جاء الاسلام رحمة من الله تعالى لعموم البشر . وقامت غسان بعد منصرفها من الشام بأرض القسطنطنية حتى انقرض ملك القياصرة فتجهزوا الى جبل شركس وهو ما بين بحر طبرستان ، وبحر نيطش الذى يمده خليج القسطنطنية وفى هذا الجبل من شعوب الترك المتنصرة الشركس ، وأركس ، واللاص ، وكسا ، ومعهم أخلاط من الفرس ، ويونان ، والشركس غالبون على جميعهم فانحازت قبائل غسان الى هذا الجبل وتحالفوا معهم واختلطوا بهم ودخلت أنساب بعضهم فى بعض حتى ليزعم كثير من الشركس انهم من نسب غسان . كل هذا ملخص من تاريخ ابن خلدون .

فهذه الشام المعبر عنها الآن (بسوريا) هى عربية وملوكها من العرب منذ عهد العمالقة ، وبنى ارم بن سام وتناقل ملكهم الى قضاعة واستقر فى الغسانيين الى الفتح الاسلامى ولم يكن للروم عليهم الا شبه حماية ثم ازال الاسلام تلك الحماية وعاد ملك العرب للعرب ، وكل طارىء يطرأ على العرب لايلبث ان يزول ، وملك العرب للعرب أبديا بمشيئة الله تعالى .

* * *

فتح فارس
خبر مسير خالد بن الوليد الى العراق

كانت ثقة ابى بكر الصديق رضى الله عنه بخالد بن الوليد رضى الله عنه عظيمة جدا ، وقد اثبتت الوقائع ان خالد بن الوليد من أعظم قواد الاسلام مهارة ، وجرأة ، واقداما ، وسياسة وسطوة ، وتوفيقا ، فلما فرغ الخليفة الأعظم ابوبكر الصديق رضى الله عنه من اخضاع العرب الى سلطان الاسلام ، وتوطد الأمن فى ربوع الجزيرة العربية ، وآب العرب الى رشدهم ، أرسل أبوبكر رضى الله عنه الى خالد بن الوليد وهو باليمامة يأمره بالمسير الى العراق ، فقدم خالد من اليمامة الى المدينة ومنها سار الى العراق . وكتب أبوبكر الصديق رضى الله عنه الى عياض بن غنم ان يقصد العراق ويبدأ (بالمضيخ) ويدخل العراق من أعلاه ويسير حتى يلقى خالدا . وكان المثنى بن حارثة الشيبانى قد استأذن أبابكر ان يغزو العراق فأذن له فكان يغزوهم قبل قدوم خالد . وأمر أبو بكر رضى الله عنه خالدا ، وعياضا ، ان يستنفرا من قاتل اهل الردة ، وان لا يغزون معهما مرتد ففعلا . وذلك لأن المرتدين من العرب بعد اسلامهم جعلتهم غير موثوق بصدقهم ولايؤمن انهم متى وجدوا فرصة عادوا الى ردتهم ، او يكون قتالهم للاعداء بغير قوة المسلم الصادق فى ايمانه ، وربما بسببهم تقع الهزيمة فى جيش المسلمين ويكونون هم المنهزمين كما وقع فى حنين حينما كان قد اختلط مع جيش رسول الله ﷺ فريق من المؤلفة قلوبهم ، فلما وقعت المعركة انهزم المؤلفة وانهزم بسببهم الجيش الاسلامى كما تقدم بيانه فى الجزء الثالث من حياة سيد العرب ﷺ فكان ذلك درسا لأبى بكر الصديق رضى الله عنه فى بعثه البعوث الى العراق . ثم كتب خالد ، وعياض الى أبى بكر رضى الله عنه يستمدانه ، فامد خالداً بالقعقاع بن عمرو التميمى ذلك البطل العظيم الذى سيحدثك التاريخ عن اعماله الباهرة التى مثل فيها الجرأة والاقدام ، أعظم تمثيل وبالأخص فى يوم القادسية ، فى خلافة عمر بن الخطاب

رضى الله عنه .فقيل لأبى بكر اتمده برجل واحد ؟ فقال : لايهزم جيش فيهم مثل هذا ، يعنى القعقاع بن عمرو وامد عياضا بعبد بن غوث الحميرى . وكتب أبوبكر الى المثنى ، وحرملة ، ومعذور ، وسلمى ، ان يلحقوا بخالد (بالابلة) .

وكان ذلك فى شهر المحرم سنة اثنتى عشرة من الهجرة ، فسار خالد حتى نزل ببانقيا ، وباروسما ، والليس ، وصالحه أهلها . وكان الذى صالحه عليها ابن صلوبا على عشرة الآف دينار سوى خرزة كسرى ، وكانت على كل رأس أربعة دراهم ، وأخذ منهم الجزية ، ثم سار حتى نزل الحيرة فخرج اليه اشرافها مع أياس بن قبيصة الطائى وكان اميرا عليها بعد النعمان بن المنذر ، فدعاهم خالد الى الاسلام او الجزية او المحاربة ، فاختاروا الجزية ، فصالحهم على تسعين الف درهم ، فكانت اول جزية اخذت من العرب الذين هم تحت حماية الفرس الى تلك الساعة ، وهى القريات التى صالح عليها ـ وأما قول المؤرخين انها اول جزية اخذت من الفرس مع ان حكامها هم المناذرة من العرب فهو لأن العراق سكنها كثير من الفرس لفلاحتها ولأن المناذرة كانوا تحت حماية الفرس ـ ثم تقدم خالد الى العراق ومعه عشرة الاف مقاتل ، وكان مع المثنى واصحابه الذين أمدّ أبوبكر خالداً بهم ثمانية الآف ففرق خالد جنده ثلاث فرق ولم يحملهم على طريق واحد فجعل المثنى على مقدمته ، وبعده عدى بن حاتم الطائى ، ثم خالد بعدهما ، ووعدهما (الحفير) وجعل بين كل جيش مسيرة يوم ليصادموا عدوهم ، وكان ذلك الفَرْج أعظم فروج فارس ـ والفرج موضع الخلل والمخافة ـ وأشدها شوكة فكان صاحبه أسوار اسمه هرمز فكان يحارب العرب فى البر ، والهند فى البحر ، فلما سمع هرمز بهم كتب الى ملك الفرس اردشير ، بالخبر وتعجل هو الى الكواظم فى سرعان أصحابه فسمع انهم تواعدوا الحفير فسبقهم اليه ونزل به وجعل على مقدمته قباذ ، وأنوشجان ، وكانا من أولاد اردشير الأكبر ، واقترنوا فى السلاسل لئلا يفروا . فسمع بهم خالد فمال بالناس الى كاظمة فسبقه هرمز اليها ، وكان سىء المجاورة للعرب ، فكلهم حانقون عليه وكانوا يضربونه مثلا يقولون (اكفر من هرمز) وقدم خالد فنزل على غير ماء ، فقال له اصحابه فى ذلك : ماتفعل ؟ فقال لهم : لعمرى لَيَصِيرَنَّ الماءُ لأصبر الفريقين . فحطوا أثقالهم وتقدم خالد الى الفُرس فلاقاهم ، وأرسل الله سحابة فاغدرت وراء صف المسلمين فقويت قلوبهم ، وخرج هرمز ودعا خالدا الى البراز وأوطأ أصحابه على الغدر بخالد ، فبرز اليه خالد ومشى نحوه راجلا ونزل هرمز ايضا وتضاربا

فاحتضنه خالد وحمل أصحاب هرمز على خالد ليفتكوا به غدرا فلم يلتفت اليهم خالد ولم يشغله ذلك عن قتله . وحمل القعقاع بن عمرو فأزاحهم عنه . وانهزم اهل فارس وركبهم المسلمون . وسميت هذه الوقعة (ذات السلاسل) ونجا قباذ . وأنوشجان . وأخذ خالد سلب هرمز . وكانت قلنسوته تقدر بمائة الف . لأنه كان قد تم شرفه فى الفُرس . وكانت هذه عادتهم اذا تم شرف الانسان تكون قلنسوته بمائة الف . وبعث خالد بالفتح والأخماس الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه . ثم سار خالد حتى نزل بموضع الجسر الأعظم بالبصرة وبعث المثنى بن حارثة فى آثارهم . وأرسل معقل بن مقرن الى (الابلة) ففتحها فجمع الأموال بها والسبى - وفى رواية ان فتح الابلة كان على يد عتبة بن غزوان ايام خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة اربع عشرة - وحاصر المثنى بن حارثة (حصن المرأة) ففتحه وأسلمت فتزوجها ولم يتعرض خالد وأصحابه الى الفلاحين لأن أبابكر رضى الله عنه أمرهم بذلك وتركهم وعمارة البلاد . وهذا من اعظم الأسباب التى ساعدت على نشر الاسلام بسرعة البرق لأن الفلاحين كانوا مضغوطين على أموالهم وأراضيهم وزراعتهم . ومحصولها . وذلك لأن حكامهم الأُوَلْ كانوا يستعبدونهم ويستبيحون اموالهم . فلما جاءهم المسلون ورأوا منهم العدل وعدم التعرض لأموالهم وأراضيهم وحاصلاتهم الزراعية فرأوا أنفسهم فى تلك اللحظة انهم أصبحوا أحرارا فى أنفسهم وأهليهم وأموالهم . فلم يسعهم والحالة هذه الا ان يستقبلوهم بصدر رحب . وقلب منشرح . وطلاقة وجه . وهنا نتساءل هل كان يخطر ببال الفرس ان العرب الذين كانوا يسمونهم بالعبيد يأتون بعد اسلامهم الى أرضهم وديارهم فاتحين . وانهم لا يستطيعون الثبات أمامهم فى مواطن البأس وميادين الوغى . وأنهم يصيرون لقمة سائغة لهم يبتلعونها فى لحظة ؟ هذا لايمكن ان يتصوره الفرس وقد حاربوا الروم . وقبلهم اليونان . ولم يكونوا بأقل منهم فى حومة الوغى وكانت الحرب بينهم سجالا . وذلك لأن قتالهم مع الروم واليونان كان بقوة الجيوش والدعاية القومية . واما قتال المسلمين فكان على غير ذلك لأن المسلمين كانوا يقاتلون لتكون كلمة الله هى العليا فلذلك كان الله معهم وكان النصر حليفهم فى عموم المواقف كما سيأتى تفصيل ذلك ان شاء الله .

* * *

خبر وقعة نهر الثنى

ثم لما وصل كتاب هرمز الى ملك الفُرس أردشير بخبر قدوم خالد بن الوليد رضى الله عنه أمده بقارن بن قريانس ، فلما انتهى الى المذار لقيه المنهزمون فاجتمعوا ورجعوا ومعهم قباذ ، وانوشجان ونزلوا (نهر الثنى) وسار اليهم خالد فلقيهم واقتتلوا فبرز (قارن) فقتله معقل بن الأعشى بن النباش ، وقتل عاصم (انوشجان) وقتل عدى بن حاتم (قباذ) وكان شرف قارن قد انتهى ولم يقاتل المسلمون بعده احداً انتهى شرفه . وقتل من الفُرس مقتلة عظيمة تقدر بثلاثين الفا سوى من غرق ، ومنعت المياه المسلمين من طلبهم ، وقسم الفيء وأرسل الأخماس الى المدينة ، وأعطى الأسلاب الى من سلبها وكانت الغنمية عظيمة ، وسبى عيالات المقاتلة ، واخذ الجزية من الفلاحين وصاروا ذمة ، وكان فى السبى أبوالحسن البصرى وكان نصرانيا ، وأمر على الجند سعيد بن النعمان ، وعلى الحرس سويد بن مقرن المزنى وأمره بنزول الحفير وأقام يتجسس الأخبار .

* * *

خبر وقعة الولجة

ثم لما فرغ خالد بن الوليد رضى الله عنه من الثنى وأتى الخبر اردشير بقتل جنده وهزيمتهم بعث الاندرزغز وكان فارسا من مولدى السواد ، وأرسل بهمن جاذويه امدادا له فى اثره بجيش وحشر الى الاندرزغز من بين الحيرة ، وكسكر ، ومن عرب الضاحية ، والدهاقين وعسكروا بالولجة ، فسمع خالد بهم فسار اليهم من الثنى فلقيهم بالولجة فوضع لهم كمينا ثم شن الغارة عليهم وقاتلهم قتالا شديدا أشد من كل قتال وقع قبله مع الفُرس حتى ظن الفريقان ان الصبر قد نفد واستبطأ خالد كمينه فلما بلغ القتال أشده خرج الكمين على العدّو من ناحيتين فانهزمت الأعاجم وأخذ خالد من بين أيديهم ، والكمين من خلفهم فقتل منهم خلقا كثيرا ، ومضى الأندر زغز منهزما فمات عطشا . وأصاب خالد ابنا لجابر بن بجير ، وابنا لعبد الأسود من بكر بن وائل وكانت وقعة الولجة فى شهر صفر عام اثنتى عشرة من الهجرة وبذل الأمان للفلاحين فصاروا ذمة وسبى ذرارى المقاتلة ومن أعانهم من العرب .

* * *

خبر وقعة الليس

فلما أصاب خالد بن الوليد رضى الله عنه يوم الولجة ما أصاب من نصارى بكر بن وائل الذين أعانوا الفرس غضب لهم نصارى قومهم فكاتبوا الفرس واجتمعوا على الليس وهو على الفرات وعليهم عبدالأسود العجلى . وكان مسلمو بنى عجل منهم عتيبة بن النهاس ، وسعيد بن مرة ، وفرات بن حيان ، ومدعور بن عدى ، والمثنى بن لاحق ، أشد الناس على أولئك النصارى . فلما وصل كتابهم على اردشير كتب الى بهمن جاذوية وهو بقشينائا يأمره بالقدوم على نصارى العرب (بالليس) فقدم بهمن جاذوية جابان اليهم وأمره بالتوقف عن المحاربة الى ان يقدم عليه ، ورجع بهمن جاذوية الى اردشير ليشاوره فيما يفعل فوجده مريضا فتوقف عليه . فلما وصل جابان الى الليس اجتمع عليه نصارى عجل ، وتيم اللات ، وضبيعة ، وجابر بن بجير ، وعرب الضاحية من اهل الحيرة فلما بلغ خالدا رضى الله عنه تجمع نصارى بكر وغيرهم سار اليهم ولم يشعر بما دار من المكاتبة بين نصارى بكر ، واردشير ، ولا بدنوّ جابان اليهم . ثم لما طلع جابان بالليس قالت العجم له انعاجلهم ام نفدى الناس ولا نريهم انا نحفل بهم ثم نقاتلهم ؟ فقال جابان : ان تركوكم فتهاونوا بهم . فعصوه وبسطوا الطعام فانتهى خالد بن الوليد اليهم وحط الأثقال فلما وضعت توجه اليهم وطلب مبارزة عبد الأسود ، وابن أبجر ، ومالك بن قيس فبرز اليه مالك من بينهم فقتله خالد وأعجل الأعاجم عن طعامهم . فقال جابان ألم أقل لكم والله مادخلنى من مقدم جيش وحشة الا هذا . ثم قال لهم : حيث لم تقدروا على الأكل فسمموا الطعام فان ظفرتم فايسر هالك ، وان كانت لهم هلكوا بأكله . فلم يفعلوا بمكيدته . واقتتلوا قتالا شديدا وكان المشركون يزيدونهم ثبوتا لتوقعهم قدوم بهمن جاذويه فصابروا على قتال المسلمين . فقال خالد : اللهم ان هزمتهم فعلى ان لا استبقى منهم من أقدر

عليه حتى اجرى من دمائهم نهرهم . فهذا خالد يناجي ربه هز وجل ويطلبه النصر والظفر . ولم يعتمد على قوة ساعده وجيشه وكونه أعظم قائد فى الاسلام . وأعظم شجاع فى العرب . فانه يعلم ان كل مااناله وسيناله من الفوز والظفر هو من الله تعالى . حيث انه قد ظهر له بأسه يوم كان يقاتل باسم الحمية الجاهلية . وظهر له يوم قاتل باسم الاسلام ولاعلاء كلمة التوحيد ولتكون كلمة الله هى العليا . وحين سماه رسول الله ﷺ (سيف الله) . فانهزمت فارس فنادى منادى خالد : الاسراء الاسراء الا من امتنع فاقتلوه . فأقبل بهم المسلمون اسراء ووكل بهم من يضرب أعناقهم يوما وليلة حتى سال الدم نهرا واسمى نهر الدم . ووقف خالد على الطعام . وقال للمسلين : قد نفلتكموه . فتعشى به المسلمون وجعل من لم ير الرقاق يظنه الرقاع لأنه لم يكن شائعا عند العرب وبلغ عدد القتلى سبعين الفا . وكانت الوقعة فى شهر صفر من سنة اثنتى عشرة من الهجرة . فلما فرغ خالد من (الليس) سار الى (أمغيشيا) فأصابوا فيها مالم يصيبوا مثله لأن أهلها قد أعجلهم المسلمون قبل ان ينقلوا أموالهم وأثاثهم وكراعهم وغير ذلك . وأرسل خالد الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه بالفتح ومبلغ الغنائم والسبى . ثم أخرب (أمغيشيا) فلما بلغ ذلك أبابكر رضى الله عنه قال : عجزت النساء أن يلدن مثل خالد . كان خالد بن الوليد محل اعجاب ابى بكر الصديق رضى الله عنه بل واعجاب عموم المسلمين من يوم أسلم خالد الى هذا اليوم والى يوم القيامة وقد صدق ابو بكر الصديق رضى الله عنه فى قوله : عجزت النساء أن يلدن مثل خالد . نعم ويعجزن ان يلدن مثله الى يوم القيامة فهو بحق بطل البأس والحروب . وبطل القيادة . وبطل الجرأة . وبطل الاقدام . فهل يسمح الدهر بمثل خالد ؟ لاشك ان فى الاسلام أبطالا عظاما كثيرين . وقواداً مهرة عديدين . ولكن والحق يقال ان خالدا له ميزة خاصة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

* * *

خبر فتح الحيرة

ثم سار خالد بن الوليد رضى الله عنه من (أمغيشيا) الى الحيرة وحمل الرجال والاثقال فى السفن ، وخرج مرزبان الحيرة وهو الازاذبه فعسكر عند (الغريين) وارسل ابنه فقطع الماء عن السفن فبقيت على الأرض فسار خالد فى خيل نحو ابن الازاذبه فلقيه على فرات بادقلى فقتله وقتل أصحابه ، وسار نحو الحيرة فهرب منه الازاذبه لأنه بلغه موت اردشير وقتل خالد لابنه ففر بغير قتال ونزل المسلمون عند الغريين ، وتحصن أهل الحيرة ، فحصرهم فى قصورهم . وكان ضرار بن الازور محاصرا القصر الأبيض وفيه أياس بن قبيصة الطائى ، وكان ضرار بن الخطاب محاصرا قصر الغريين وفيه عدى بن عدى المقتول ، وكان ضرار بن مقرن المزنى عاشر عشرة أخوة محاصرا قصر ابن مازن وفيه ابن أكال ، وكان المثنى محاصرا قصر ابن بقيلة وفيه عمرو بن عبد المسيح بن بقيلة ، فدعوهم جميعا وأجلوهم يوما وليلة ، فأبى أهل الحيرة وقاتلهم المسلمون فافتتحوا الدور ، والاديار ، وأكثروا القتل فنادى القسيسون ، والرهبان ، ياأهل القصور مايقتلنا غيركم ، فنادى أهل القصور المسلمين قد قبلنا واحدة من ثلاثة وهى اما الاسلام أو الجزية أو المحاربة ، فكفوا عنهم ، وخرج اليهم أياس بن قبيصه ، وعمرو بن عبد المسيح بن قيس وهو بقيلة وانما سمى بقيلة لانه خرج على قومه فى بردين أخضرين فقالوا ماأنت الا بقيلة خضراء ، فأرسلوهم الى خالد فكان الذى يتكلم عنهم عمرو بن عبد المسيح فقال له خالد : كم أتى ؟ قال : مئات السنين وكان من المعمرين فقال له خالد ماأعجب مارأيت ؟ قال رأيت العرى منظومة مابين دمشق ، والحيرة تخرج المرأة فلاتتزود الا رغيفا . فتبسم خالد وكان مع ابن بقيلة خادم معه كيس فيه سم فأخذه خالد وأفرغه فى كفه وقال : لم تستصحب هذا ؟ قال خشيت ان تكون على غير مارأيت فكان الموت أحب الى من مكروه

أدخله على قومى . فقال خالد : انها لن تموت نفس حتى تأتى على أجلها . وقال باسم الله خير الاسماء رب الأرض والسماء الذى لايضر مع اسمه داء الرحمن الرحيم . وابتلع السم فقال ابن بقيله والله لتبلغن ما أردتم مادام أحد منكم هكذا . وكان شويل عند رسول الله ﷺ لما ذكر استيلاء أمته على ملك فارس والحيرة فسأله شويل ان يعطى (كرامة ابنة عبد المسيح)وكان رآها شابة فمال اليها فوعده رسول الله ﷺ ذلك فلما فتحت الحيرة طلبها شويل من خالد وشهد له شهود بوعد النبى ﷺ له بذلك فلما طلب أهل الحيرة من خالد الصلح أبى ان يصالحهم الا على تسليم (كرامة بنت عبد المسيح) الى شويل فأبوا فقالت لهم : هونوا عليكم وأسلمونى فانى سأفتدى ففعلوا فأخذها شويل فقالت له ما أربك من عجوز كما ترى فادنى قال لا الا على حكمى قالت فلك حكمك فقال لست لام شويل ان انقصتك عن ألف درهم ، فاستكثرت ذلك لتخدعه فافتدت نفسها منه بألف درهم . فلامه الناس . فقال ماكنت أظن ان عددا أكثر من هذا ـ فرحم الله شويلا ماكان أشد حرصه على الحصول على كرامة بنت عبد المسيح حتى انه طلبها من رسول الله ﷺ وأثبت عند خالد ان النبى ﷺ وعده بها ، وأوقف خالد الصلح مع أهل الحيرة لأجلها ، ولو طلب منهم خالد مائة الف درهم فدية لكرامة لأعطوه ذلك بعد الحصول عليها يقنع منها بألف درهم فداء لها ويعتذر انه لايعرف عددا أكثر من ذلك ، فهذه القناعة الغريبة مقابل هذا الحرص الشديد ـ وصالحهم خالد على مائة وتسعين ألف ، وأهدوا له هدايا فبعث خالد بالفتح والهدايا الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه فقبلها أبو بكر من الجزية وكتب الى خالد أن يأخذ منهم بقية الجزية ويحسب لهم الهدية .

وكان فتح الحيرة فى شهر ربيع الأول سنة اثنتى عشرة من الهجرة وكتب لهم خالد كتابا بذلك التراضى فلما كفر أهل السواد ضيعوا الكتاب . فلما افتتحه المثنى ثانية عاد بشروط أخرى . فلما عادوا وكفروا وافتتحها سعد بن أبى وقاص وضع عليهم أربعمائة ألف . قال خالد مالقيت قوما كأهل فارس ومالقيت من أهل فارس كأهل الليس ـ فلو كان عند أهل الحيرة شىء من العقل لكانوا حفظوا على كتاب خالد وسلموا من تضاعف الجزية عليهم ولكن الغرور اذا تسلط على قوم جعلهم نقمة على أنفسهم وعونا لعدوهم على أنفسهم ـ وهذا نص كتاب خالد بن الوليد رضى الله عنه لهم : بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ماعاهد عليه خالد بن الوليد عدياً ، وعمراً ، ابني عدى وعمرو بن عبد المسيح ، وإياس بن قبيصة ، وحيرى بن أكال ، وهم نقباء أهل الحيرة ورضى بذلك أهل الحيرة وأمرهم به عاهدهم على مائة الف وتسعين الف درهم تقبل فى كل سنة جزاء عن أيديهم فى الدنيا رهبانهم وقسيسوهم الا من كان منهم على غير ذى يد حبيسا عن الدنيا تاركا لها وعلى المنعة وان لم يمنعهم فلا شىء عليهم حتى يمنعهم وان غدروا بفعل أو قول فالذمة بريئة .

* * *

خبر فتح ماوراء الحيرة

كان الدهاقون يتربصون بخالد بن الوليد رضى الله عنه مايصنع بأهل الحيرة فلما صالحهم واستقاموا له جاءته الدهاقون من تلك النواحي فأتـى دهقـان فرات سريا ، وصلوبا بن نسطونا ، ونسطونا فصالحه صلوبا بن نسطونا وقومه على بانقياء وباروسماء وهو قس الناطف وضمن له ماعليها وعلى أراضيهما من شاطىء الفرات على عشرة الاف دينار ، وكتب لهم خالد كتابا هذا نصه (بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلوبا بن نسطونا وقومه انى عاهدتكم على الجزية ، والمنعة على كل ذى يد بانقياء وباروسما جميعا ، على عشرة الآف دينار سوى الخرزة . القوى على قدر قوته ، والمقل على قدر اقلاله فى كل سنة . وانك قد نقبت على قومك ، وان قومك قد رضوا بك وقد قبلت ومن معى من المسلمين ورضيت ورضى قومك فلك الذمة والمنعة فان منعناكم فلنا الجزية والا فلا حتى نمنعكم) ولما رأى دهاقين البلاد ماتم لخالد من الظفر وماجرى من الصلح لصلوبا بن نسطونا قدموا فصالحوه على مابين (الفلاليج) الى (هرمزجرد) على الفى الف (أى مليونى درهم) وذلك سوى جباية كسرى وبعث خالـد ضرار بن الازور وضرار بن الخطاب ، والقعقاع بن عمرو ، والمثنى بن حارثة ، وعيينة بن الشماس ، فكانوا فى الثغور وأمرهم بالغارة ، فمخروا السواد كله الى شاطىء دجلة ، وكتب الى ملوك فارس : أما بعد فالحمد لله الذى حل نظامكم ، ووهن كيدكم ، وفرق كلمتكم ، ولو لم نفعل ذلك كان شرا لكم فادخلوا فى أمرنا ندعكم وأرضكم ونجوزكم الى غيركم ، والا كان ذلك وانتم كارهون ، على ايدى قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة . وكتب الى المرازبة : أما بعد فالحمد لله الذى فض حدّتكم ، وفرق كلمتكم ، وجفل حرمكم ، وكسر شوكتكم ، فأسلموا تسلموا ، والا فاعتقدوا منى الذمة وأدّوا الجزية ، والا فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون شرب



الخمر . وكان العجم مختلفين بعد موت اردشير ، وقد أزالوا بهمن جاذوية فيمن سيره فى العساكر ، فجبى خالد خراج السواد فى خمسين ليلة وغلب العجم عليه ، وأقام بالحيرة سنة يصعد ويصوب ويتجول فى تلك الانحاء ، والفُرس حائرون فيمن يملكون عليهم ولم يجدوا من يجتمعون عليه لأن سيرين كان قتل جميع من تناسب الى (بهرام جور) فلما وصل خالد اليهم تكلم نساء ال كسرى وولوا الفرخزاد بن البندوان ، الى ان يجدوا من يجتمعون عليه . ووصل جرير بن عبد الله البجلى الى خالد بعد فتح الحيرة ، وسبب ذلك ان جريرا كان مع خالد بن سعيد بن العاص بالشام فقدم على أبى بكر الصديق رضى الله عنه فكلمه أن يجمع له قومه كما وعده النبى ﷺ وكانوا أوزاعا متفرقين فى العرب فسخط ذلك منه أبوبكر لأنه أتاه وهو مشتغل بالفتح ، فقال له أبوبكر : تكلمنى بما لايعنى وأنت ترى مانحن فيه من فارس والروم ؟ وأمره بالمسير الى خالد بن الوليد فقدم عليه بعد فتح الحيرة .

* * *

خبر فتح الأنبار

سميت (الانبار) لأن اهداء الطعام كان بها انابير قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان : الانبار مدينة قرب بلخ وهى على الجبل وأكبر من مروالروز وبالقرب منها ولها مياه وكروم وبساتين كثيرة . فسار خالد بن الوليد رضى الله عنه على تعبيته الى الانبار وعلى مقدمته الاقرع بن حابس وكان على الانبار شيرزاد صاحب ساباط . فلما بلغها خالد أطاف بها وأنشب القتال وكان قليل الصبر عنه وتقدم الى رماته ان يقصدوا عيونهم فرموا رشقا واحدا ثم تابعوا فأصابوا ألف عين ففقأوها فسميت تلك الوقعة ذات العيون . ولم يكن ذلك من خالد تلاعبا أوتفكها وانما قصد ان يورى الاعداء مهارة جنده فى اصابة المرمى وليزداد رعبهم وخوفهم وان يذعنوا للتسليم بسرعة كى تحقن دماؤهم فلما رأى ذلك شيرزاد أرسل يطلب الصلح على أمر لم يرض خالداً فرد رسله وكان على الانبار خندق وكانوا يظنون ان خالدا لم يستطع الوصول اليهم لمناعة الخندق . فاستعمل لهم طريقة أخرى وهى أن نحر ضعاف الابل وألقاها فى الخندق حتى ردمت ثم عبره فاجتمع المسلمون والكفار فى الخندق فلما رأى ذلك شيرزاد أرسل الى خالد وبذل له ما أراد فصالحه على أن يلحقه بمأمنه مجردا من كل شىء . وخرج شيرزاد الى بهمن جاذويه ثم صالح خالد من حول الانبار وأهل (كلوداني) فلما فرغ خالد من الانبار استخلف عليها الزبرقان بن بدر . كانت الفُرس تظن ان المسلمين أولئك الحفاة العراة على قولهم لايستطيعون اقتحام الخنادق ولايعرفون من التدابير والحيل مايمكنهم أن يقاوموا به قوتهم ، وخنادقهم ، وأسوارهم وغير ذلك . ولم يخطر ببالهم ان خالدا رضى الله عنه ينحر الابل ويطم بها الخندق ويقتحمه بابطال الاسلام أولئك الذين يحبون الموت فى سبيل الله كما يحب اعداؤهم الحياة مع الذلة والمسكنة والصغار . فمن ذلك يعلم ان رجال الاسلام كانوا لايبالون بالحياة ، ولايخشون الموت ، ولايقيمون للاعداء وزنا ، وانما كان هدفهم الوحيد هو

الفوز أو الموت لاثالث لهما ، ولذلك كانوا موفقين فى كل اعمالهم ، فائزين على أعدائهم ، وكانوا قد أدهشوا أعداءهم ، وحيروا أفكارهم ، وجعلوهم فى ارتباك شديد لايدرون ماذا يصنعون معهم ، ولم يجدوا لهم غير التسليم مخرجا ، حيث قد وجدوا فى أبطال الاسلام من الجرأة والاقدام ، وقوة البأس واقتحام الشدائد مالاطاقة لهم به . أولئك الذين هداهم الله وجعلهم حماة الاسلام ، بل حماة الانسانية والعدل والحرية ، رضى الله عنهم وبهم فليقتدى المسلمون ، وعلى عملهم هذا فليعمل العاملون ممن أراد السعادة الأبدية وعز الدنيا والآخرة .

* * *

خبر فتح عين التمر

عين التمر واقعة غرب الكوفة من الانبار وهى بلدة على طرف البادية .. ثم سار خالد ابن الوليد رضى الله عنه الى عين التمر وكان بها بهرام بن بهرام جوبين فى جمع عظيم من العجم ، وعقبة بن أبى عقبة فى جمع عظيم من العرب وحولهم طوائف من النمر ، وتغلب ، وأياد ، وغيرهم من العرب فلما سمعوا بمجىء خالد قال عقبة لبهرام دعنا وخالداً فالعرب أعلم بقتال العرب ، فقال له بهرام : صدقت فأنتم أعلم بقتال العرب ، وانكم لمثلنا فى قتال العجم . فخدعه بهرام واتقى به وقال : ان احتجتم الينا أعنّاكم . فلامه أصحابه من الفُرس على هذا القول ظنا منهم أنهم أكفاء لخالد وجنده ، فقال لهم بهرام : انه قد جاءكم من قتل ملوككم أمر عظيم وفل حدكم فاتقيته بهم ، فان كانت لكم على خالد فهى لكم ، وان كانت الأخرى لم تبلغوا منهم حتى يهنوا فنقاتلهم ونحن أقوياء . فاعترفوا له ، وسار عقبة الى خالد فالتقوا ، فحمل خالد بنفسه على عقبة وهو يقيم صفوفه فاحتضنه وأخذه أسيرا وانهزم عسكره من غير قتال فأسر أكثرهم فلما بلغ الخبر بهرام هرب فى جنده وترك الحصن فتحصن به المنهزمون من عسكر عقبة ، فنازلهم خالد فطلبوا منه الأمان ، فأبى ، فنزلوا على حكمه ، فاخذهم أسرى وقتل عقبة ثم قتلهم أجمعين ، وسبى كل من فى الحصن ، وغنم مافيه ، ووجد فى كنائسهم أربعين غلاما يتعلمون الانجيل ، فأخذهم وفرقهم فى الناس ، وكان منهم سيرين أبو محمد بن سيرين التابعى الكبير ، ونصير أبو موسى بن نصير القائد العظيم فاتح المغرب الاقصى ، والاندلس ، وحمران مولى عثمان من علماء التابعين ، فأراد ربك سبحانه وتعالى أن يجعل فى نسل أولئك الغلمان الولد الطيب فى الاسلام ، وأظهر لعقبة أن العرب اذا كانوا أكفاء لبعضهم فى ميادين الوغى فى الجاهلية ، فلم يكن الكافر منهم كفوًا للمسلم ، فان المسلم له قوتان : قوة الساعد وقوة الايمان ، فقوة

الايمان جعلت العربى المسلم يقوم مقام العشرات من أبطال العرب غير المسلمين ، ويقوم مقام المئات من الأعاجم ، فهذا فضل الايمان بالله ، وقوة المؤمن بالله على غيره من المشركين ولولا ذلك لما فاق خالد على غيره من الأبطال . ثم أرسل خالد الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه بالخبر والخمس . وفى عين التمر قتل عمير بن رباب السهمى رضى الله عنه وكان من مهاجرة الحبشة ومات بها بشير بن سعد الانصارى رضى الله عنه والد النعمان بن بشير فدفن الى جانب عمير رضى الله عنهما .

❊ ❊ ❊

خبر دومة الجندل

دومة الجندل هى (الجوف) قال ياقوت : الجوف هو المطمئن من الارض وكثير من المواضع سميت الجوف . وهذا الجوف له طريق من البصرة وطريق من عمان . ونقل ياقوت عن أبى عبيد السكونى رضى الله عنه ان دومة الجندل هو حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبلى طيىء كانت به بنو كنانة فى كلب ، وعليها سور يتحصن به وفى داخل السور حصن منيع يقال له (مارد) وهو حصن أكيدر ، وكان النبى ﷺ وجه اليه خالد بن الوليد من تبوك كما سبق بيانه فى الجزء الرابع من حياة سيد العرب . ولما فرغ خالد بن الوليد رضى الله عنه من عين التمر أتاه كتاب عياض بن غنم الذى كان امره أبو بكر ان يدخل العراق من اعلاه ويسير حتى يلقى خالدا يستمده على من بازائه من المشركين فسار خالد اليه فكان بازائه بهرا ، وكلب ، وغسان ، وتنوخ ، والضجاعم ، وكانت دومة الجندل على رئيسين وهما أكيدر بن عبد الملك ، والجودى بن ربيعة ، فأما أكيدر فلم يكن من رأيه قتال خالد وأشار بصلحه خوفا من خالد ولم يكن ذلك منه اطاعة للحق بل كان مبناه على الخوف المحض من سطوة سيف الله القاهر فقال لهم أكيدر : انا اعلم الناس بخالد لاأحد أيمن طائرا منه ، ولا أَحَدَّ فى حرب ولا يرى وجه خالد قوم ابدا قلوا أو كثروا الا انهزموا عنه فاطيعونى وصالحوا القوم . وذلك لأنه قد جرّب قتال خالد رضى الله عنه حين بعثه اليه رسول الله ﷺ من تبوك فاسره . فلم يقبلوا منه فخرج عنهم وسمع خالد بمسيره فارسل اليه من يأخذه ، فقتلوه وأخذوا ما كان معه ، وسار خالد حتى نزل على أهل دومة الجندل فجعلها بينه وبين عياض فلما أطمأن خالد خرج اليه الجودى فى جمع ممن عنده من العرب لقتاله ، وأخرج طائفة أخرى الى عياض فقاتلهم عياض فهزمهم ، وهزم خالد من يليه وأخذ الجودى أسيرا وانهزموا الى الحصن فلما امتلأ أغلقوا الباب دون أصحابهم

فبقوا حوله فأخذهم خالد فقتلهم حتى سد باب الحصن بأشلاء القتلى ، وقتل الجودى ، وقتل الأسرى ، الا أسرى كلب فان بنى تميم قد أمنوهم ، وكانوا حُلفاءهم فتركهم ، ثم أخذ الحصن عنوة فقتل المقاتلة وسبى الذرية والسَّرح فباعهم ، واشترى خالد ابنة الجودى وكانت موصوفة ، وأقام بدومة الجندل فطمع الأعاجم وكاتبهم عرب الجزيرة غضبا لعقة فخرج زرمهر ، وروزبة ، يريدان الانبار واتعدا ان يكون اجتماعهم على حصيدا ، والخنافس ، فسمع القعقاع بن عمرو وكان خليفة خالد على الحيرة فأرسل أعبد بن فدكى وأمره بالحصيدا ، وأرسل عروة بن الجعد البارقى الى الخنافس . فخرجا فحالا بينهما وبين الريف ورجع خالد الى الحيرة فبلغه ذلك ، وكان عازما على مصادمة اهل المدائن فمنعه من ذلك لكونه لم يستأذن من الخليفة أبى بكر رضى الله عنه وكره ان يعمل عملا لم يأخذ فيه أمر خليفته ، فعجل خالد بارسال القعقاع بن عمرو ، وأبى ليلى بن فدك الى روزبة وزرمهر ، ثم بلغ خالدا أن الهذيل بن عمران قد عسكر بالمضيح ، ونزل ربيعة بن بجير بالمثنى ، وبالبشر ، وذلك غضبا لعقة يريدان زرمهر وروزبة ، فخرج خالد وسار الى القعقاع وأبى ليلى فاجتمع بهما بالعين فبعث القعقاع الى حصيدا وبعث أبا ليلى الى الخنافس .

* * *

وقعة حصيد والخنافس

فسار القعقاع نحو (حصيدا) وهو واد بين الكوفة والشام وقد اجتمع بها روزبة وزرمهر . فالتقوا بحصيدا فقتل من العجم مقتلة عظيمة ، وقتل القعقاع زرمهر . وقتل عصمة بن عبد الله الضبى روزبة ، وكان عصمة من البررة ، وغنم المسلمون ما فى حصيدا . وانهزمت الاعاجم الى (الخنافس) قال ياقوت : الخنافس قرب الانبار من ناحية البردان تقام فيها سوق للعرب فسار أبو ليلى بمن معه الى الخنافس وكان بها المهبوذان على العسكر فلما أحس المهبوذان بهم هرب الى المضيخ . فقال فى ذلك ابو يعلى بن فدكى شعرا

قالوا ماتريد فقلت أرمى جموعا بالخنافس بالخيول
فدونكم الخيول فألجموها الى قوم بأسفل ذى أثول
فلما ان أحسوا ما تولوا ولم يغررهم ضبح الفيول
وفينا بالخنافس باقيات لمهبوذان فى جنح الأصيل

* * *

وقعة المضيخ

ثم لما انتهى الخبر الى خالد بمصاب أهل الحصيدا وهروب أهل الخنافس كتب الى القعقاع . وأبى ليلى . وأعبد . وعروة . ووعدهم على ليلة يجتمعون فيها بالمضيخ . وخرج خالد رضى الله عنه من العين قاصدا اليهم فلما كانت تلك الليلة الموعودة اجتمعوا بالمضيخ فاغاروا على الهذيل ومن معه وهم نائمون من ثلاثة أوجه فقتلوهم وأفلت الهذيل فى ناس قليل وكثر فيهم القتل . وكان مع الهذيل عبد العزى بن ابى رهم أخو أوس مناة . ولبيد بن جرير . وكانا قد اسلما ومعهما كتاب أبى بكر باسلامهما فقتلا فى المعركة . فبلغ ذلك أبابكر فوداهما وأوصى باولادهما . فكان عمر بن الخطاب رضى الله عند يدين خالدا بقتلهما وقتل مالك بن نويرة . فقال له أبو بكر الصديق رضى الله عنه: كذلك يلقى من نازل أهل الشرك . يعنى ان من خالط أهل الشرك يبلى ببلائهم . والظاهر من سياق التاريخ لم يتقصد خالد قتلهما وانما قتلا ضمن المشركين حال الهجوم عليهم بالمعية . وقد كان حرقوص ابن النعمان بن النمر قد نصحهم فلم يقبلوا منه فجلس حرقوص مع زوجته وأولاده يشربون فقال لهم اشربوا شراب مودع هذا خالد بالعين وجنوده بالحصيدا ثم قال :

الا فاسقيانى قبل خيل أبى بكر لعل منايانا قريب وماندرى

فضرب رأسه فاذا هو فى جفنه فيها الخمر وقتلوا أولاده ، وأخذوا بناته .

* * *

وقعة الثنى والزميل

وكان ربيعه بن بجير التغلبى بالثنى والبشر الذى هو الزميل وهما شرقى الرصافة قد خرجا غضبا لعقة وواعد روزبه ، وزرمهر ، والهذيل ، ولما أصاب خالد أهل المضيخ واعد القعقاع ، وأبا ليلى على ليلة معلومة ليغيروا عليهم وأمرهما بالمسير ، وسار خالد من المضيخ فاجتمع هو وأصحابه بالثنى فبيتهم من ثلاثة أوجه ، وجردوا فيهم السيوف فلم يفلت منهم مخبر . وغنم خالد كل ما كان عندهم وسبى عموم النساء والذرية ، وبعث بالخبر والخمس الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه فاشترى على بن أبى طالب رضى الله عنه بنت ربيعة ابن بجير التغلبى فولدت له عمر ، ورقية ، ولما انهزم الهذيل بالمضيخ لحق بعتاب بن فلان وهو بالبشر فى عسكر ضخم فبيتهم خالد بغارة شعواء من ثلاثة أوجه قبل أن يصل اليهم خبر ربيعة فقتل منهم مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها وقسم الغنائم ، وبعث الخمس الى أبى بكر رضى الله عنه . وسار خالد من البشر الى الرضاب وهو موضع الرصافة قبل ان يبنيها هشام بن عبد الملك وكان بها هلال بن عقة فتفرق عنه أصحابه ، وسار هلال عنها فلم يلق خالد بها حربا . فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه فى ذلك .

طلبنا بالرضاب بنى زهير ... وبالأكناف أكناف الجبال

فلم يزل الرضاب لهم مقاما ... ولم يؤنسهم عند الرمال

فان تثقف أسنتنا زهيرا ... يكف شريدهم اخرى الليالى

❊ ❊ ❊

وقعة الفراض

ثم سار خالد بن الوليد رضى الله عنه من الرضاب الى الفراض ، وهى تخوم الشام ، والعراق ، والجزيرة ، فى شرق الفرات وكان ذلك فى شهر رمضان فأفطر بها رمضان لاتصال الغزوات . فلما سمعت الروم بقدوم خالد حميت واستعانوا بمن يليهم من مسالح الفرس فاعانوهم واجتمع معهم تغلب ، واياد والنمر ، وساروا الى خالد فلما بلغوا الفرات قالوا له أما أن تعبروا الينا واما أن نعبر اليكم ، فقال خالد اعبروا قالوا له تنح عن طريقنا حتى نعبر قال لاافعل ولكن اعبروا اسفل منا فعبروا اسفل من خالد وعظم فى أعينهم ، وقالت الروم لمن ناصرهم من الفرس وغيرهم امتازوا حتى نعرف اليوم من يثبت ممن يولى ، ففعلوا ودارت رحى القتال بين خالد وبينهم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت الروم ومن ناصرها من الفرس والعرب شر هزيمة وأمر خالد المسلمين ان لايرفعوا عنهم السيف فقتل فى المعركة وفى الطلب مائة الف كما اثبته ابن جرير وابن الاثير وغيرهما من المؤرخين . وأقام خالد على الفراض عشرة ايام ثم أذن بالرجوع الى الحيرة وذلك لخمس بقين من من شهر ذى القعدة وجعل شجر بن الاعز على الساقة وأظهر خالد انه فى الساقة وقال ذلك القعقاع بن عمرو التميمى فارس البيداء

لقينا بالفراض جموع روم ... وفرس غمها طول السلام
أبدنا جمعهم لما التقينا ... وبيتنا بجمع بنى رزام
فما فتئت جنود السلم حتى ... رأينا القوم كالغنم السوام

هذه المعركة من المعارك العظام التى تجعل المسلم يمتلىء قلبه غبطة لكونه على يقين من وقوعها خصوصا وان معظم التواريخ ذكرتها بملء الاعجاب . وأما المحتار المتخبط فى جهله والذى لم يدرس التاريخ على اساتذة الاسلام بل كان قد درس جزءا من مبادئه على دعاة التبشير أولئك الذين يريدون تشويه الحقيقة فتراهم عندما يقفون على هذه الحادثة

يتداخلهم الشك والريبة فى وقوعها وأقل مايتفوهون به قولهم : ان هذا شيىء لايتصوره العقل . وذلك اذا كانوا من ذوى الادب ، وربما قالوا عن هذه الحادثة انها حديث خرافة . وهم فى ذلك معذورون لأنهم ابعد الناس عن تصور الحقائق ، فعقولهم متحجرة وادمغتهم جوفاء . وأما المسلم فهو يعلم علم اليقين انه لولا ذلك الفوز المبين لما فتحت الدنيا فى نصف قرن كما قال نابليون : ان العرب فتحوا الدنيا فى نصف قرن . وسيأتيك من الوقائع ماهو أشد هولا من هذه الحادثة .

* * *

خبر حجة خالد

خرج خالد بن الوليد رضى الله عنه حاجا من الفراض سرا ومعه عدة من أصحابه على غير الطريق المستطرق لأجل ان يخفى سيره ، حتى أتى مكة وحج وذلك سنة اثنتى عشرة من الهجرة ، ورجع الى جنده ولم يشعر به أحد منهم حتى وافاهم مع شجر بن الاعز صاحب الساقة فقدما معا ، وكان خالد وأصحابه محلقين ، ولم يعلم بحجه الا من اعلمه به ، وكذلك لم يعلم أبو بكر بحجه الا بعد رجوعه فعتب عليه وعاقبه بارساله الى الشام ممدا جموع المسلمين باليرموك كما سيأتى تفصيل ذلك . ثم بعد عودة خالد من حجه أغار على سوق بغداد ووجه المثنى فاغار على سوق فيها جمع لقضاعة ، وبكر ، وأغار أيضا على مسكن ، وقطر بل ، وتل عقرقوف ، وبادوريا ، وكل هذه الاماكن هى حول بغداد .

* * *

ختام عام الاثنى عشر

وفى هذه السنة أى سنة اثنتى عشرة من الهجرة تزوج عمر بن الخطاب رضى الله عنه على عاتكة بنت زيد ، وفيها مات أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله ﷺ وأوصى الى الزبير رضى الله عنهم ، وتزوج على بن أبى طالب رضى الله عنه أمامة بنت أبى العاص وأمها زينب بنت رسول الله ﷺ . وفى هذه السنة اشترى عمر رضى الله عنه أسلم مولاه ، وحج بالناس هذه السنة أبو بكر الصديق رضى الله عنه واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رضى الله عنه .

* * *

خبر فتوح الشام

لما وجه أبو بكر الصديق رضى الله عنه خالد بن الوليد رضى الله عنه الى العراق وجه خالد بن سعيد بن العاص رضى الله عنه بجند الى تيماء ليكون ردءاً للمسلمين ، وأمره أن لايفارق ذلك الموضع الا بأمره ، وأن يدعو من حوله من العرب الا من ارتد ، وأن لايقاتل الا من قاتله ، فتوجه خالد بن سعيد الى ذلك الموضع فلما استقر به المقام دعا من حوله فاقبل عليه الناس واجتمع اليه جموع كثيرة ، وبلغ خبره ملك الروم فضربوا البعث على العرب الضاحية بالشام من بهرا ، وسليم ، وغسان ، وكلب ، ولخم ، وجذام ، فكتب خالد ابن سعيد الى أبى بكر بذلك فكتب اليه أبو بكر اقدم ولاتقتحمن .

فسار اليهم فلما دنا منهم تفرقوا فنزل منزلهم ، وكتب الى أبى بكر بذلك فأمره بالاقدام بحيث لايؤتى من خلفه ، فسار حتى جازه قليلا ونزل ، فسار اليه البطريق باهان من بطارقة الروم فقاتله خالد بن سعيد فهزمه وقتل من جنده ، فكتب خالد بن سعيد الى أبى بكر يستمده وكان قد قدم فى تلك الاثناء على أبى بكر الصديق رضى الله عنه ذو الكلاع ومعه من استنفرهم من اليمن ، وقدم ايضا عكرمة بن أبى جهل فيمن معه من تهامة وعمان ، والبحرين ،والسرو ، فامد خالد بن سعيد بهما ومن معهما من المسلمين ، فقدموا على خالد بن سعيد وعند ذلك اهتم ابو بكر رضى الله عنه بالشام فكتب الى عمرو بن العاص وهو على ولاية فى صدقات سعد هذيم ، وعذرة وغيرهم : انى كنت قد رددتك على العمل الذى ولاك رسول الله ﷺ وقد احببت أن أفرغك لما هو خير لك فى الدنيا والآخرة ، الا أن يكون الذى أنت فيه أحب اليك : فأجابه عمرو بن العاص رضى الله عنه : انى سهم من سهام الاسلام وأنت بعد الله الرامى بها ، والجامع لها فانظر أشدها ، وأخشاها ، وأفضلها ، فارم به . فامره ان يجمع العرب وأمر الوليد بن عقبة وكان على بعض

صدقات قضاعة ان يجمع أيضا العرب ففعلا . ثم أرسل أبو بكر رضى الله عنه الى عمرو ابن العاص بالقدوم مع بعض من اجتمع اليه وأمره ان يسير فى طريق سماها له الى فلسطين . وأمر الوليد بن عقبة ان يسير الى الاردن . ثم امر يزيد بن أبى سفيان على جيش عظيم وهو جمهور من انتدب اليه وفيهم سهيل بن عمرو ومن أمثاله من أهل مكة . وشيعه ماشيا وأوصاه وغيره من الأمراء فقال ليزيد بن أبى سفيان : انى قد وليتك لأبلوك ، وأجربك ، وأخرجك ، فان أحسنت رددتك الى عملك وزدتك ، وان أسأت عزلتك ، فعليك بتقوى الله فانه يرى من باطنك مثل الذى فى ظاهرك ، وان أولى الناس بالله أشدهم توليا له ، وأقرب الناس من الله أشدهم تقربا اليه بعمله ، وقد وليتك عمل خالد فاياك وعبيّة الجاهلية فان الله يبغضها ويبغض أهلها ، واذا قدمت على جندك فاحسن صحبتهم وابدأهم بالخير وعدهم أياه ، واذا وعظتهم فأوجز ، فان كثير الكلام ينسى بعضه بعضا ، وأصلح نفسك يصلح لك الناس ، وصل الصلوات لأوقاتها باتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها ، واذا قدم عليك رسل عدوك فاكرمهم وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به ، ولاترينهم فيروا خللك ويعلموا عملك ، وأنزلهم فى ثروة عسكرك ، وامنع من قبلك من محادثتهم ، وكن انت المتولى لكلامهم ، ولاتجعل سرك لعلانيتك فيخلط أمرك . واذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة ، ولاتخزن عن المشير خبرك فتؤتى من قبل نفسك واسمر بالليل فى أصحابك تأتك الأخبار ، وتنكشف عندك الاستار ، وأكثر حرسك وبددهم فى عسكرك ، وأكثر مفاجأتهم فى محارسهم بغير علم منهم بك ، فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه وعاقبه فى غير افراط ، واعقب بينهم بالليل ، واجعل النوبة الاولى أطول من الاخيرة ، فانها ايسرهما لقربها من النهار ، ولاتخف من عقوبة المستحق ، ولاتلجن فيها ولاتسرع اليها ولاتخذها مدفعا ، ولاتغفل عن أهل عسكرك فتفسدهم ، ولاتجسس عليهم فتفضحهم ، ولا تكشف الناس عن اسرارهم ، وأكتف بعلانيتهم ، ولاتجالس العابثين وجالس اهل الصدق والوفاء ، واصدق اللقاء ولاتجبن فيجبن الناس ، واجتنب الغلول فانه يقرب الفقر ، ويدفع النصر ، وستجدن أقواما حبسوا أنفسهم فى الصوامع فدعهم وماحبسوا أنفسهم له .

فهذه الوصايا من أجل ماعرف التاريخ من التعليمات التى يزود بها القواد من الخلفاء وأمراء المؤمنين والملوك والسلاطين ومن فى معناهم . وأكثرها نفعا لولاة الأمر واذا تأملت هذه

الوصايا وما احتوت عليه من الحكم السياسية ، والاجتماعية ، والحربية ، والاخلاقية وقدرتها حق قدرها تظهر لك قيمة قائلها وعظمة قدره ، وقوة علمه وسعة اطلاعه ، ومداركه الفائقة . ولم تكن فائقة فى عصره فحسب بل تعد فائقة وجامعة وشاملة لكل مايحتاجه اكبر سياسى اجتماعى واعظم قائد حربى فى كل ماتلته من العصور حيث هو المصدر لهذه الخطط السياسية والحربية ، ولو ان هذه التعليمات صدرت فى العصر من أحد ساسة الغرب بعد أن درس عموم ما تقدم من ذلك لتناقلتها الاقلام ، ونشرتها الصحف ، وتغنت بمعانيها الخطباء فى الاندية والمجتمعات واصبحت مثلا سائرا على الألسنة . مع أن الواجب يقضى على عموم المسلمين أن يسطروها بأحرف من ماس ودُرمُنَضَّد على صحائف من الذهب الوهاج ، كيف لا وهى قد كانت ولاتزال الدرر الثمينة لكونها صدرت من رجل الدنيا وواحدها ذلك الذى قد ساس الاسلام بعد تفككه حين وفاة النبى ﷺ وحفظ كيانه بقدرة الله تعالى بعد ان اعترته مصائب الردة ، فهو رجل الاسلام الأول ، وسياسيه الثانى بعد نبى الاسلام وحكيمه الفذ ، وصاحب الاقدام والجرأة والمقدرة الفائقة .

ولكن مالعمل وقد وجه بعض الشبيبة الاسلامية وجهتهم الى غير سبيل السلف الصالح يعيروا لفتة تلك السياسة العظيمة المجسمة التى كانت ولا تزال هى السبيل الأوحد الموصل الى قمم المجد والارتقاء ، فتقاعدهم عن تتبع سبيل قادة الأمة الاسلامية جريمة لاتغتفر ، ألم يعلموا أن فى الاسلام رجالا عظاما تقصر دون مداركهم أعاظم رجال الغرب سياسة وادارة واجتماعا وقد تلقى معظم اهل الغرب علومهم عمن هو اقل من أبى بكر الصديق رضى الله عنه بدرجات وإن المسلمين هم الاستاذ الاول للغرب فى عموم علومه وفنونه كما اوضحت ذلك فى خاتمة الجزء الرابع من حياة سيد العرب ﷺ بشهادة أساتذة الغرب انفسهم واعترافهم بأنه لولا دخول الأمة العربية أوروبا ونشر علومها ومعارفها فيها لما وصلت اروبا الى ما وصلت اليه فى العصر الحاضر من الرقى والاجتماع .

أما أبو بكر الصديق رضى الله عنه هذا الذى أدهش العالم بعلو مداركه وحسن سياسته فان لم يتلق علومه السياسية والحربية والاجتماعية فى كليات أوروبا ومجامعها العلمية بل انه تلقى تلك العلوم من نبى الاسلام وكتاب الاسلام المحتوى على نظام العالم والأمم . ولم يدرس غير ذلك ، ولم يطلع على كتاب سياسى أو اجتماعى ألفه أحد من علماء الشرق أو الغرب مطلقا ، فالكلية التى تخرج الصديق منها هى الكلية المحمدية ، والجامعة

التى أخذ شهادته العالمية منها هى الجامعة الاسلامية ، وهما لا يزالان موجودين حتى فى العصر الحاضر ، غير انهما خاليتان من التلاميذ ، لأن أكثر التلامذة من أبناء المسلمين قد وجهوا وجهتكم الى غيرها . وربما كان لهم بعض العذر فى ذلك لأنهم لم يجدوا فيها أساتذة متشبعين بتلك الروح الطاهرة ، ومثقفين بتلك المعلومات الراقية . والى متى تبقى خالية من الاساتذة المفكرين فى نهضة الاسلام على طريقة السلف الطاهر ؟ هذا ما نتساءل مع رجال الاسلام المصلحين ونحثهم على السير بالناشئة فى طريق الهدى والرشاد .

فهكذا كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يزود أمراء الجيوش الفاتحين بتلك الوصايا الثمينة ويرسم لهم طرق القيادة ، ويرشدهم الى سبيل الفوز والتقدم . وبموجب هذه الخطط الحربية قدر الله سبحانه وتعالى لأولئك الأبطال أن يفتحوا الممالك ، ويتبسطوا فى تلك الاقاليم الشاسعة بسرعة البرق والله يؤيد بنصره من يشاء .

ثم بعث أبو بكر الصديق رضى الله عنه أبا عبيدة بن الجراح رضى الله عنه وأمّره على من اجتمع لديه من الجند ووجهه الى حمص . فسار أبو عبيدة حتى أتى على باب البلقاء فقاتله أهله ثم صالحوه فكان أول صلح فى الشام . واجتمع للروم جمع بالعربة فى ارض فلسطين ، فوجه اليهم يزيد بن أبى سفيان أبا أمامة الباهلى فهزمهم فكان ذلك أول هزيمة للاعداء بالشام بعد هزيمة اسامة بن زيد لهم . ثم أتوا الدثن فهزمهم أبو أمامة ايضا .

ثم لما سمع خالد بن سعيد أن أبا بكر رضى الله عنه وجه الامراء بالجنود الى الشام أراد ان يسبقهم الى قتال الروم فتقدم وبادر بالقتال فاستطرد له (باهان) فاتبعه خالد بن سعيد ومعه ذو الكلاع ، وعكرمة بن أبى جهل ، والوليد بن عقبة ، فنزل (مرج الصفر) فاجتمعت عليه مسالح باهان واخذوا الطرق ، وخرج باهان فرأى ابن خالد بن سعيد فقتله ومن معه . فسمع خالد فانهزم ، ووصل فى هزيمته الى ذى المروة قريب من المدينة فأمره أبو بكر رضى الله عنه بالمقام بها . وبقى عكرمة فى الناس ردءاً للمسلمين يمنع من يطلبهم . وكان قد قدم فى ذلك الوقت شرحبيل بن حسنة من عند خالد بن الوليد رضى الله عنهما وافدا الى أبى بكر ، فأمره أبو بكر رضى الله عنه أن يلحق بالشام ، وندب معه الناس واستعمله على عمل الوليد بن عقبة ، فاتى شرحبيل الى خالد بن سعيد ففصل عنه بعض أصحابه .

هذا ماكان من تسرع خالد بن سعيد وماكان من نتيجة ذلك التسرع وهو أشبه بتسرع عكرمة بن أبى جهل ، وشرحبيل بن حسنة باليمامة . ولم يكن ذلك عن سوء قصد ، وانما كان تفاديا بأنفسهم طمعا فى الفوز ، والنصر ، اللذين هما موضع تبارى القواد حيث فيه فخرهم ومجدهم . غير ان الخليفة لايرضيه ذلك التسرع الذى تكون عاقبته الفشل والهزيمة والقتل ، لأن من أشد الأمور عليه هزيمة رجل واحد من الجند من مواطن البأس فما بالك بهزيمة جيش عند أول صدمة . فلذلك أنب الخليفة أبو بكر القواد الذين يتعجلون فى الهجوم بغير تدبر وتبصر ، حيث ان مدرستهم الحربية هى ميادين الوغى والاستاذ الاول هو الخليفة الذى يرسم لهم الخطط الحربية ويزودهم بالتعليمات الضرورية ، وهذا الاستاذ الحكيم يعلم ان الهزيمة تحدث فى الجيوش التفكك ، والانحلال ، والتقاعد ، والتراخى، ولو لم يقتل من أفراد الجند شخص واحد، كما أن الفوز والنصر يوجدان فى الجيش نشاطا وإقداما وجرأة ونهضة ، وان فقد فى مصارعة اعدائه الذين نال عليهم الفوز فى ساحة القتال نصفه أو ثلاثة أرباعه . ومن المعلوم أن الحرب سجال وهذا لاينكره أحد ، غير أن الفوز له نشوته والهزيمة لها خذلانها ، ولكل منها تأثيره فى النفس ، مع ان معظم الفتح الاسلامى كان تفوقا ونصرا محضا بغير سجال فى كثير من المواطن كما سبق بيان شىء من ذلك وسيأتى ان شاء الله تعالى الكثير منها والتاريخ أكبر شاهد على ذلك .

ثم أرسل أبو بكر الصديق رضى الله عنه معاوية بن أبى سفيان الى اخيه يزيد بن أبى سفيان مددا له ، واقره على من اجتمع عنده من الجند ، فتوجه معاوية رضى الله عنه بمن معه من جند المدينة ولما مر على خالد بن سعيد فصل عنه باقى الجند واصطحبهم معه الى الشام ، فلما لم يبق مع خالد بن سعيد أحد من الجند اذن له الخليفة أبو بكر رضى الله عنه بدخول المدينة .

وبما ان فى ابقاء الخليفة الصديق لخالد بن سعيد فى موضعه الذى وصل اليه من الحكمة والسياسة ما هو جدير بالذكر ، وذلك هو لما انهزم خالد بن سعيد من الشام ووصل الى ذى المروة بقرب المدينة أمره الخليفة بالبقاء فى مكانه وحظر عليه دخول المدينة على تلك الحالة لأسباب منها أنه لو دخل المدينة منهزما لفت فى اعصاب المسلمين واقعدهم عن الجهاد ومنها ان المدينة لم تخل من المنافقين والمرجفين فى ذلك العصر ، فلو دخل خالد بن سعيد على تلك الصورة لوجدوا مجالا واسعا لبث بذور التفكك والخنوس والتقاعد عن

التطوع الى الجهاد . وقد قال المنافقون عدة مرات فى العصر النبوى لما أراد رسول الله ﷺ غزو تبوك وغيرها من غزوات الشمال ان محمدا يظن ان قتال الروم كقتال قريش فان اولئك بنو الأصفر . فاذا جاز للمنافقين ان يقولوا ذلك فى النبى ﷺ وهو لم يهزم له قط فى الشمال جيش، فما بالك بعصر الصديق وقد هزم جيش خالد بن سعيد فعلا . فلا شك انهم يقولون أعظم من ذلك ، ويشيعون اشاعات مضرة جدا فى الوقت الذى اخذت رجالات العرب تفد الى الخليفة من عموم انحاء الجزيرة العربية للتطوع فى الجهاد خصوصا لما سمعوا بفوز سيف الله البتار خالد بن الوليد رضى الله عنه فى الحيرة والعراق ومانال من الغنائم الطائلة والنصر المبين ،وشاهدوا ماوصل الى الخليفة الأكبر بالمدينة من خمس تلك الغنائم والسبى . ولذلك كان عمل أبى بكر الصديق ذلك الخليفة العظيم المفكر من بقاء خالد بن سعيد من أجل وأعظم الحكم الى أن جَيَّش الجيوش المجتمعة عنده من أولئك الوفود ، وسحب من كان مع خالد بن سعيد من الجند وبقى وحده فرخص له بالدخول الى المدينة حيث أن دخوله وحده لايؤثر تأثيره السيىء على المجاهدين مثل ماكان يؤثر لو دخل بالجند المنهزم .

وبما ان سياسة الصديق فى ذلك كانت من أجل الحِكَم الحربية فهل درس الصديق هذه الحكمة الحربية فى كتاب ؟ أو درسها فى مدرسة حربية ؟ أو كانت ابتكارا منه نتجت من تنوره وتبصره فى حكم الاسلام التى جاءت فى كثير من الآيات القرآنية فى الكتاب المجيد الذى هو بآياته وحروفه بين أيدينا ؟ فاذا كان الأمر كما ذكرنا فما بال المسلمين لايعكفون عليه ويستنتجون منه مايصلحون به فساد أحوالهم التى أخرتهم هذا التأخير الممقوت ؟ أَلْهَمَهُم الله رشدهم .

فلما وصل الأمراء الى الشام نزل أبوعبيدة (الجابية) ونزل يزيد (البلقاء) ونزل شرحبيل (الأُرْدُنّ) ونزل عمرو بن العاص (العَرَبَة) وهو موضع بفلسطين . فبلغ الروم ذلك فكتبوا الى هرقل وكان بالقدس فقال لهم : أرى ان تصالحوا المسلمين فوالله لأن تصالحوهم على نصف مايحصل من الشام ويبقى لكم نصفه مع بلاد الروم أحب اليكم من أن يغلبوكم على الشام ونصف بلاد الروم . فتفرقوا عنه وعصوه ، فجمعهم وسار بهم الى (حمص) فنزلها وأعد الجنود والعساكر ، وأراد إشغال كل طائفة من المسلمين بطائفة من عسكره لكثرة جنده ليضعف كل فرقة من المسلمين عمن بازائها ، فأرسل (تذارق)

أخاه لأبيه وأمه فى تسعين ألفاً الى عمرو بن العاص ، وأرسل جرجة بن توذر الى يزيد بن أبى سفيان ، وبعث الفيقار بن نسطوس فى ستين ألفا الى أبى عبيدة بن الجراح ، وبعث الدراقصى نحو شرحبيل بن حسنة . ولم يذكر ابن جرير عدد الجند الذين كانوا مع جرجة الدراقصى .

فلما علم المسلمون ذلك هابهم الأمر ، حيث كان جميع الفرق التى يحتويها عموم الأمراء الأربعة واحداً وعشرين ألفا سوى ماكان مع عكرمة بن ابى جهل فان جيشه كان ستة الاف ، وهذا المجموع لايعد شيئا امام الجيوش الرومية التى تربو على مائتى الف جندى كاملة العدد والعدة . فكاتبوا عمرو بن العاص وسألوه عن رأيه فى ذلك ، فأجابهم : ان الرأى لمثلنا الاجتماع فان مثلنا اذا اجتمعنا لانغلب من قلة ، فان تفرقنا لاتقوم كل فرقة بمن استقبلها لكثرة عدونا . فلما علموا رأى عمرو بن العاص رضى الله عنه كاتبوا الخليفة أبا بكر الصديق رضى الله عنه . فكتب اليه أبوعبيدة بن الجراح رضى الله عنه : لعبدالله أبى بكر خليفة رسول الله ، من أبى عبيدة بن الجراح ، سلام عليك ، فأنى احمد اليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد فانا نسأل الله أن يعز الاسلام وأهله عزاً مبيناً وان يفتح لهم فتحا يسيراً ، فانه بلغنى ان هرقل ملك الروم نزل قرية من قرى الشام تدعى انطاكية ، وأنه بعث الى اهل مملكته فحشدهم اليه ، وأنهم نفروا اليه على الصعب والذلول ، وقد رأيت أن أعلمك ذلك فترى فيه رأيك ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . فكتب اليه أبوبكر رضى الله عنه : أما بعد فقد بلغنى كتابك وفهمت ماذكرت من أمر هرقل ملك الروم ، فأما منزله بانطاكية فهزيمة له ولأصحابه وفتح من الله عليك وعلى المسلمين ، وأما حشده أهل مملكته وجمعه لكم الجموع فان ذلك ماقد كنا وكنتم تعلمون انه سيكون منهم ، ماكان قوم ان يدعوا سلطانهم ويخرجوا من مملكتهم بغير قتال ، ولقد علمت والحمد لله ان قد غزاهم رجال كثير من المسلمين يحبون الموت حب عدوهم الحياة يحتسبون من الله فى قتالهم الأجر العظيم ، ويحبون الجهاد فى سبيل الله أشد من حبهم أبكار نسائهم وعقائل أموالهم ، الرجل منهم عند الهيج خير من ألف رجل من المشركين ، فالقهم بجندك ولا تستوحش لمن غاب عنك من المسلمين ، فان الله تعالى ذكره معك ، وانا مع ذلك ممدك بالرجال بعد الرجال حتى تكتفى ولاتريد ان تزداد والسلام عليك . وبعث الكتاب مع دارم العبسى . وكتب يزيد بن ابى سفيان رضى الله عنه الى الخليفة ابى بكر رضى الله عنه : أما

بعد فان هرقل ملك الروم لما بلغ مسيرنا اليه ألقى الله الرعب فى قلبه فتحول ونزل أنطاكية وخلف أمراء من جنده على جند الشام وأمرهم بقتالنا وقد تسيروا لنا واستعدوا ، وقد نبأنا مسالمة الشام أن هرقل استنفر أهل مملكته وانهم جاءوا يجرون الشوك والشجر ، فمرنا بأمرك وعجل علينا فى ذلك برأيك نتبعه ، نسأل الله النصر والصبر والفتح وعاقبة المسلمين والسلام عليك . وبعث بهذا الكتاب مع عبدالله بن قرط الثمالى . فأجابه أبوبكر وكتب اليه مع رسوله : أما بعد فقد بلغنى كتابك تذكر فيه تحول ملك الروم الى أنطاكية ، والقاء الله الرعب فى قلبه من جموع المسلمين ، فان الله تبارك وتعالى وله الحمد قد نصرنا ونحن مع رسول الله ﷺ بالرُّعب وأيدنا بملائكته الكرام ، وان ذلك الدين الذى نصرنا الله فيه بالرعب هو هذا الذى ندعو الناس اليه اليوم فَوَرَبُّكَ لايجعل الله المسلمين كالمجرمين ، ولا من يشهد انه لااله غيره كمن يعبد معه الهة اخرى ويدين بعبادة الهة شتى ، فاذا لقيتهم فانبذ اليهم بمن معك وقاتلهم فان الله لن يخذلك ، وقد نبأنا الله أن الفئة القليلة مما تغلب الفئة الكثيرة باذن الله ، وأنا مع ماهنالك ممدّكم بالرجال فى أثر الرجال حتى تكتفوا ولا تحتاجوا الى زيادة انسان ان شاء الله تعالى والسلام .

ولما ختم أبوبكر الصديق رضى الله عنه كتابه أعطاه عبدالله بن قرط رسول يزيد بن ابى سفيان وقال له : أخبره والمسلمين ان مدد المسلمين آتيهم مع هاشم بن عتبة ، وسعيد ابن عامر بن جذيم . فخرج عبدالله بن قرط يحمل كتاب الخليفة حتى قدم به على يزيد بن ابى سفيان ، وقرأه على المسلمين فتباشروا وفرحوا . ثم ان الخليفة أبا بكر دعا هاشم بن عتبة وبعثه فى ألف من المسلمين الى الشام ، فسلم على أبى بكر وودعه ، وخرج من غده فلزم طريق أبى عبيدة حتى قدم عليه ، فسر المسلمون بقدومه وتباشروا به . ثم بلغ سعيد ابن عامر بن جذيم ان ابابكر الصديق يريد ان يبعثه الى الشام ، فلما أبطأ ذلك عليه ومكث اياما لايذكر له ذلك أتاه فقال : يا أبابكر والله لقد بلغنى أنك كنت أردت ان تبعثنى فى هذا الوجه ، ثم سكت فما أدرى مابدالك فىّ ، فان كنت تريد ان تبعث غيرى فابعثنى معه ، وان كنت لاتريد ان تبعث احدا فانى راغب فى الجهاد فاذن لى رحمك الله كيما ألحق بالمسلمين فقد ذكر لى ان الرُّوم جمعت لهم جمعا عظيما . فقال له الخليفة أبو بكر رضى الله عنه : رحمك الله أرحم الراحمين ياسعيد : فأمر بلالا فنادى فى الناس : ان انتدبوا أيها المسلمون مع سعيد بن عامر الى الشام . فانتدب معه سبعمائة رجل فى أيام ، فلما أراد سعيد

الشخوص جاء بلال بن رباح رضى الله عنه مؤذن رسول الله ﷺ الى الخليفة أبى بكر الصديق رضى الله عنه فقال : يا خليفة رسول الله ان كنت انما أعتقتنى لله تعالى لأملك نفسى وأتصرف فيما ينفعنى فخل سبيلى حتى أجاهد فى سبيل رَبّى فان الجهاد أحب الىّ من المقام ؟ فأجابه أبوبكر رضى الله عنه قائلا : فان الله يشهد انى لم أعتقك الا له ، وانى لا أريد منك جزاء ولاشكورا . فهذه الأرض ذات الطول والعرض ، فاسلك اى فجاجها أحببت . فقال بلال : كأنك أيها الصديق عتبت علىّ فى مقالتى ، ووجدت فى نفسك منها ؟ قال أبوبكر : لا والله ما وجدت فى نفسى من ذلك ، وانى لا أحب ان تدع هواك لهواى مادعاك هواك الى طاعة ربك . قال بلال : ان شئتَ أقمتُ معك ؟ قال أبوبكر : أمّا اذ هواك فى الجهاد فلم أكن لآمرك بالمقام ، وانما أردتك للأذان ، ولأجدن لفراقك وحشة يابلال ، ولابد من التفرق فرقة لا التقاء بعدها حتى يوم البعث ، فاعمل صالحا يابلال وليكن زادك من الدنيا مايذكرك الله ماحييت ، ويحسن لك به الثواب اذا توفيت . فقال له بلال : جزاك الله من وَلىّ نعمة ومن أخ فى الاسلام خيراً ، فوالله ما أمرك لنا بالصبر على الحق والمداومة على العمل بالطاعة ببدع ، وماكنت لأؤذن لأحد بعد النبى ﷺ . وخرج بلال مع سعيد بن عامر ، فأمر الخليفة أبو بكر رضى الله عنه سعيد بن عامر ان يلتحق بيزيد بن ابى سفيان ، فلحق به وشهد معه وقعة (العَرَبَة) بفلسطين (والدّاثنة) .

وقدم على ابى بكر الصديق رضى الله عنه حمزة بن مالك الهمدانى فى جمع عظيم زهاء الف رجل أو أكثر ، فلما رأى أبوبكر عددهم وعدتهم سَرَّهُ ذلك فقال : الحمدلله على صنعه للمسلمين ، مايزال الله تعالى يرتاح لهم بمدد من أنفسهم يشد به ظهورهم ، ويقصم به ظهور عدوهم . فقال حمزة لأبى بكر : على أمير دونك ؟ قال : نعم ، ثلاثة أمراء قد أمرناهم ، فأيهم شئت فكن معه . فلما لحق بالمسلمين سألهم اى الأمراء أفضل ؟ وأيهم كان أفضل عند النبى ﷺ صحبة ؟ فقيل له أبوعبيدة بن الجراح ، فجاءه فكان معه . قال عمرو بن محصن لم يكن أبو بكر رضى الله عنه يسأم توجيه الجنود إلى الشام وامداد الأمراء الذين بعثهم بالرجال بعد الرجال ارادة اعزاز الاسلام ، واذلال اهل الشرك . وقال ابو سعيد المقبرى : لما بلغ ابا بكر جمع الأعاجم لم يكن شىء أعجب اليه من قدوم المجاهدين عليه من ارض العرب ، فكانوا كلما قدموا عليه سرح الأوّل فالأوّل ، فقدم عليه فيمن قدم ابو الأعور

السلمى فبعثه ابوبكر فسار حتى قدم على ابى عبيدة ، وقدم على ابى بكر معن بن يزيد ابن الأخنس فى رجال من بنى سليم نحو مائة فقال ابوبكر : لو كان هؤلاء اكثر مماهم أمضيناهم . فقال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه : والله لو كانوا عشرة لرأيت لك ان تمدّ بهم اخوانهم ، اى والله وأرى ان تمدهم بالرجل الواحد اذا كان ذا إخزاء وغناء . فقال له حبيب بن مسلمة الفهرى : عندى نحو عدّتهم رجال من ابناء القبائل ذوو رغبة فى الجهاد فأخرجنا وهؤلاء جميعا ياخليفة رسول الله ؟ فقال له ابوبكر رضى الله عنه : أما الآن فاخرج بهم جميعا حتى تقدم بهم على اخوانهم . فخرج فعسكر معهم ، ثم جمع أصحابه اليهم ، ثم مضى بهم حتى قدم على يزيد بن ابى سفيان . قال ابوسعيد : واجتمعت رجال من كعب ، وأسلم ، وغفار ، ومزينة ، نحوا من مائتين فأتوا أبابكر فقالوا ابعث علينا رجلا وسرحنا الى اخواننا ؟ فبعث عليهم الضحاك بن قيس ، فسار حتى أتى يزيد فنزل معه .

قال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل : لما رأى أهل مدائن الشام ان العرب قد جاشت عليهم من كل وجه وكثرت جموعهم بعثوا الرسل الى ملكهم يعلمونه ذلك ويسألونه المدد ، فكتب اليهم انى عجبت لكم حين تستمدوننى وحين تكثرون على عدّة من جاءكم ، وأنا أعلم بكم وبمن جاءكم منهم ، ولأهل مدينة واحدة من مدائنكم أكثر ممن جاءكم منهم أضعافا ، فالقوهم وقاتلوهم ولاتحسبوا انى كتبت اليكم بهذا وأنا لاأريد ان أمدّكم ، لأبعثن اليكم من الجنود ما تضيق به الأرض الفضاء . وكان أهل مدائن الشام قد ارسلوا الى كل من كان على دينهم من العرب فأطمعهم أكثرهم فى النصر ، ومنهم من حمى العرب ، فكان ظهور العرب أحب الى ملك الروم لقتال المسلمين من الروم .

قال أبوأمامة الباهلى : كنت فيمن سرح أبوبكر مع أبى عبيدة وأوصانى به وأوصاه بى ، فكانت اول وقعة بالشام يوم (العَرَبَة) ثم يوم (الدئنة) وليسا من الأيام العظام ، خرج ستة من قوّاد الروم مع كل قائد خمسمائة فكانوا ثلاثة آلاف ، فلما رأيناهم أقبلوا حتى انتهو الى العَرَبَة بعث يزيد بن ابى سفيان الى ابى عبيدة يعلمه ، فبعثنى اليه فى خمسمائة فلما أتيته بعث معى رجلا فى خمسمائة ، فلما رأيناهم - يعنى قواد الروم - أولئك حملنا عليهم فهزمناهم وقتلنا قائدا من قوادهم ، ثم مضوا واتبعناهم فجمعوا لنا بالدئنة فسرنا اليهم فقدمنى يزيد وصاحبى فى عدتنا فهزمناهم ، فعند ذلك فزعوا واجتمعوا وأمدهم ملكهم . فلما بلغ قواد المسلمين تجمع بعض العرب المتنصرة مع الجنود الرومية كتبوا الى الخليفة

يخبرونه بذلك ، فأجابهم بما حاصله : ان اجتمعوا فكونوا عسكرا واحدا ، والقوا زحوف المشركين بزحف المسلمين ، فانكم أعوان الله ، والله ناصر من نصره وخاذل من كفره ، ان مثلكم لا يؤتى من قلة ، وانما يؤتى العشرة آلاف من الذنوب فاحترسوا منها ، فاجتمعوا باليرموك متساندين وليُصَل كلّ رجل منكم بأصحابه .

فاجتمع المسلمون (باليرموك) وهو واد بناحية الشام فى طرف الغور يصب فيه نهر الأُرْدُن ثم ينتهى فى البحر الميّت . وكذلك تواصلت جموع الروم المتراكمة التى تربو على مائتى الف مقاتل كاملى العدّة ونزلوا اليرموك أيضا ، وكان القائد العام عليم (التذارق) وعلى المقدمة جرجة ، وعلى المجنبة باهان ، ولم يكن وصل بعد اليهم ، وعلى المجنبة الأخرى الدراقصى ، وعلى الحرب الفيقار ، فكان نزول الروم بالواقوصة ، وهى على ضفة اليرموك ، وصار الوادى خندقا لهم ، وانما أراد قُوَّادُهم ان تأنس الروم بالمسلمين لترجع اليهم قلوبهم الطائرة من الفزع والرعب اللذين أصاباهم من المسلمين . ونزل المسلمون على طريقهم ، أى قطعوا عليهم خط الرجعة إذ ليس للروم طريق الا عليهم ، فقال عمرو بن العاص : أبشروا حصرتم الروم ، وقلما جاء محصور بخير . وأقاموا شهر صفر من سنة ثلاث عشرة من الهجرة وشهرى ربيع الأول والثانى ، لايقدرون منهم على شىء من الوادى والخندق ، ولا يخرج الروم اخراجه الا وصدهم المسلمون . ثم لما رأى المسلمون مطاولة الروم استمدوا أبابكر الصديق رضى الله عنه أيضا .

هكذا كان على هذا المنوال موقف الخليفة الأعظم ابى بكر الصديق رضى الله عنه من بعث البعوث ، وتجييش الجيوش ، وتجنيد الجنود ، وتقديم الكتائب ، الى ساحات الوغى ، ومواطن البأس ، وميادين القتال . وعلى هذا الشكل كان يكاتب القواد ويرسم لهم الخطط الحربية ، ويزودهم بكل النصائح القيمة الثمينة المشجعة على اقتحام الشدائد ابتغاء لمرضاة الله تعالى . وهكذا كان يتقدم ابطال الاسلام من ابناء عدنان وقحطان الى الخليفة يطالبون ان يأذن لهم بالمسير الى مواطن البأس لاقتحام الشدائد ونيل النصر أو الشهادة فى سبيل الله تعالى . كل ذلك كان من بعث البعوث وتجنيد الجنود ، بدافع دينى من أولئك الأمجاد . ولم يكن التجنيد اجباريا كما هو جار فى العصر الحاضر عند الأمم الغربية ، بل كان ذلك فى الأمة العربية بدافع وجدانها رغبة فى الجهاد فى سبيل الله تعالى ، ولتكون كلمة الله هى العليا ، كان ذلك رغما عما كانوا فيه قبل لحظة من قتال العرب المرتدين فى قلب

الجزيرة وانحائها ومن اهراق الدماء الغزيرة الغالية العزيزة فى اخضاعهم لسلطان الاسلام العادل ، وقبل ان تغمد تلك السيوف البتارة ، وقبل ان تجف تلك الدماء الغالية ، وقبل ان تضمد جراح جند الله البواسل ، نادى منادى الخليفة الأعظم بالجهاد فى سبيل الله ولتكون وجهتهم فتح فارس والروم ، فلبوا النداء بقلب ملىء ايمانا وتقوى ، وأجابوا داعى الله تعالى ، وأخذوا يتسابقون الى ساحة الوغى ليناقشوا أولئك الطغاة البغاة الحساب ويعلموهم ان السلطان هو سلطان الله العظيم القاهر فوق عباده ، ولا سلطان لغيره ، وأن الخلق عيال الله ، لا عبيداً لهم ، وأن الظلم يقوض العروش ، ويهدم الممالك ، ويبيد الأمم ، وان العدل أساس الملك ، ونظام العمران ، وأن الاسلام هو نور من الله تعالى يضىء به القلوب ويرشدها الى سلوك سبيل الهدى والرشاد ، وان المسلمين انما يقاتلون لاعلاء كلمة الله تعالى .

كان ذلك من ابناء عدنان وقحطان رغما عن بعد المسافة ومافيها من طول السير وحمل الأثقال على الابل مايقرب من ألف ميل لمن كان حول المدينة التى هى مركز الخلافة ، ونحو الفى ميل لمن كان باليمن او بحضر موت ، فكانوا يجوبون تلك الفيافى والقفار الموحشة مشاة وركبانا فى شهر او شهرين ، او ثلاثة أشهر ، الى ان يصلوا حومة الوغى لقتال من كفر بالله ، واستحل محارم الله ، واستعبد عيال الله . كل ذلك كان منهم وهم يعلمون ان عدوهم اكثر عددا ، وأكمل عدة ، مايربو على عشرة أضعافهم . وانه يقاتلهم وهو متحصن بحصونه ، ومحتم بأسوار بلاده ، ومتق بخنادقه . وان ذخائره الحربية وميرته وكل مايحتاجه بين يديه ، وهم يعلمون انهم لايملكون من ذلك غير سيوفهم البتارة ، وصدق العزيمة ، وكونهم يقاتلون لنصرة الحق ، ولأن تكون كلمة الله هى العليا .

فاذا قدرنا هذا الموقف حق قدره نعلم علم اليقين انه لولا قوة الايمان بالله تعالى وحسن يقين أولئك الأبطال بنصر الله تعالى لهم على عدّوهم المتجبر العاتى على عباد الله تعالى ، لما حازوا على بلاد عدّوهم وأموالهم وأولادهم ونسائهم ، ولما بلغوا من الفتح ماسيحدثك به التاريخ تدريجيا حيث نحن الآن على أبواب ذلك الفتح المبين . فهذا الذى أدهش العالم أجمع وحير عقولهم ، لأن الفتح الاسلامى كان بقوة الايمان بالله تعالى وحده ، لابقوة السلاح وبكثرة الجند : ولهذا تجدنا فى كل لحظة وحين نذكر اخواننا المسلمين الذين قد أضناهم الاستعمار ، وأرهقهم الاستعباد ، انه لا نجاة ولا مخرج مما هم فيه الا بالتمسك

بتعاليم دينهم الذى ارتضاه الله تعالى لهم ، فمتى أفاقوا من سباتهم ، ونهضوا من رقادهم وتتبعوا سير سلفهم فلا شك انهم سيعودون الى سالف مجدهم والله الهادى الى صراطه المستقيم .

* * *

مسير خالد بن الوليد من العراق الى الشام

قضى خالد بن الوليد رضى الله عنه ذلك البطل العظيم ، والقائد المدهش ، سيف الله البتار الذى سلّه الله تعالى فى وجوه الكفرة الفجرة الطغاة البغاة الذين أرهقوا العباد والبلاد بجورهم وغطرستهم ، والذى حَيَّرَ عقول ذوى الألباب من مَهَرَة القواد باختراعاته الحربية ، وجرأته الفائقة ، وفوزه المتواتر ، فى العراق يكافح الفُرس ومن لف حولهم من الأعارب سنة وشهرين من ابتداء المحرم سنة اثنتى عشرة من الهجرة لغاية شهر صفر سنة ثلاث عشرة ، ويفتك بسيفه القاطع فى رقاب اعداء الله تعالى ، وأعداء رسوله ﷺ وأعداء الاسلام ، وأعداء الانسانية ، وأعداء العدالة ، وأعداء الحرّية ، بل وأعداء أنفسهم لكونهم لايريدون الرجوع الى الحق والفضيلة . فأمضى خالد ذلك البطل المغوار تلك المدة وهو يفتح البلدة بعد الأخرى ، ويبيد كتائبهم كتيبة بعد كتيبة ، ويجندل فرسانهم واحداً تلو الآخر ، حتى فتح العراق بما فيه نهر الفرات من شمال (الابلة) الى (الفراض) مع الحيرة والجزيرة ، وهى تخوم الشام والعراق ، والجزيرة التى هى شرق الفرات ، وصادم جنود الفُرس والعرب والروم مجتمعين ومنفردين فى عدة مواقع ، فكان الفوز ملازمه فى كل المواقع ، والنصر حليفه فى عموم المواطن ، ولم يكن حربه معهم سجالا ككل الحروب التى تقع بين المتقاتلين ، بل كله كان فوزاً ونصراً وتقدماً ، وفتحاً ، وغنيمة ، وسبياً ، وهو الذى يصدق فيه قول الشاعر :

وما فى الحرب من عجب ولكن   عجيب ان يكون بلا سجال

ولم يقدر الله تعالى عليه الهزيمة فى العراق ولا مرة واحدة ، ولذلك فقد أوقع الرعب والفزع فى قلوب أولئك الطغاة البغاة المغرورين بأنفسهم وبعظمة أجسامهم ، وبكثرة جندهم ، وبتيجانهم المزخرفة البراقة اللماعة ، حتى أصبح اسمه كالصاعقة ينزل على أكبادهم فيبيدها ، وصاروا يرون خياله حتى فى الماء الذى يشربونه . فلا يجيش للأعداء

جيش الا ويرى شبح خالد أمامه . ولا يخرج قائد من قوادهم الا ويتمثل شخص خالد في وجهه يطالبه البراز .

والحقيقة الجلية التى لاغبار عليها ان خالدا كان مثال الشجاعة والقيادة ، والنجدة ، والجرأة ، والبسالة ، والاقدام ، والبطولة ، فتراه لايقدم على بلد الا فتحه ، ولا حصن الا اقتحمه ، ولا جيش الا أباده ، ولا فارس الا جندله ، ولا يسبى سبياً الا وشمله بعطفه ، ولا يجد عند الأعداء مالا الا غنمه ، ولا يدخل بلداً الا واطلق عقال الفلاح وفك القيود التى فيه من أولئك الظلمة ويتركه حرًا يعمل فى حقله تحت حمايته بكمال الآرتياح . وحاصل القول ان خالد بن الوليد رضى الله عنه كان جبارا على المقاتلة رؤوفا بالسبايا ، رحيما بالفلاح ، حتى صار الفلاح وأرباب الضياع والحقول والحدائق يفضلون حكمه على حكم الفرس أولئك الذين كانوا يستعبدون الفلاح ويسلبونه أمواله بغير حق ، لأنهم يرون الفلاح عبدا لهم ، وماله حقا من حقوقهم ، وانما تركوه يفلح لأجلهم ، فكان خالد رحمة مرسلة من الله تعالى لأولئك الضعفاء ، وقاهراً مرهقا للجبابرة المتغطرسين وشفوقا رحيما بالأسارى .

فكان خالد فى حروبه هو أول الجيش هجوما على الأعداء ، وأول مطالب للبراز ، وأول من يخوض غمرات الموت بشخصه ، ولذلك كان مغرما بالطعان ، محبا لمصارعة الفرسان ، وكان أول مايبتدىء فى القتال بقتل قائد الأعداء ، وفى ذلك من الحكمة ماقد عرفها خالد بالتجارب لأنه متى قتل القائد انحلت عرى الجيش ، فمن خططه الحربية التى حدثنا عنها التاريخ انه عندما يتقابل مع الأعداء يجرد سيفه ويهجم على قائدهم وعندما يجندله صريعا يهجم جنده على جيش العدوّ ويركب أكتافه بالسيف فلم تمض لحظة من الزمن الا وقد صار جيش العدوّ فى خبر كان ، وبذلك فتحت البلاد ، وسبيت النساء ، وأسرت الرجال والذرية ، واغتنمت الغنائم . وخلاصة القول ان خالد بن الوليد رضى الله عنه قد ترك له تاريخا مجيدا فى العراق كما ترك فى غزوة (مؤته) وفتح مكة ، ودومة الجندل حينما أسر أكيدراً فى غزوة تبوك ، وحرب طليحة الأسدى ، ويوم اليمامة مع مسيلمة ، وغير ذلك من المواقف الرهيبة ، وماسيأتى من الحوادث والوقائع أدهش مما تقدم مثل سيره من العراق ومالاقى فى طريقه من اهوال وفتح ، وفى وقعة اليرموك ترى من المدهشات ، وفى فتح دمشق من الغرائب ، وغيرها من بلدان الشام . فقد عمل خالد فى عام واحد فى

العراق من الفتح والغنائم والفتك بالفرس ومن ناصرهم من الأعراب والروم مايعجز عن احصائه المؤرخون ، ويحق للمسلمين عموما والعرب خصوصا ان يفتتنوا بخالد وبأعماله المجيدة الى يوم القيامة ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وهنا نرجع بالقارىء الى خبر سير خالد من العراق الى الشام فنقول :

فلما أتى كتاب أمراء الشام الى الخليفة ابى بكر الصديق رضى الله عنه يستمدونه علاوة على الامدادات التى تقدم ذكرها قال أبوبكر رضى الله عنه : خالد لها ، والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد . فبعث اليه وهو بالعراق وعزم عليه واستحثه فى السير وكتب له : أن سرْ حتى تأتى جموع المسلمين باليرموك ، فانهم قد شجوا واشجوا واياك ان تعود لمثل مافعلت ـ يقصد مسيره الى الحج بغير اذنه ـ فانه لم يشج الجموع من الناس بعون الله شجيك ، ولم ينزع الشجى من الناس نزعك ، فليهنئك أباسليمان النية والحظوة ، فأتم يتمم الله لك ، ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل ، وإياك أن تدل بعمل فان الله له المَنّ وهو ولى الجزاء . قال ابن جرير الطبرى : فوجه أبوبكر خالد بن الوليد أميرا على الأمراء الذين بالشام .

فمن تأمل كتاب الخليفة أبى بكر الصديق رضى الله عنه يظهر له شدة اعجابه بخالد ، وقوة اعتماده على حسن قيادته وعظيم سطوته بالأعداء ، وشدة بأسه ، وعظيم اقدامه ، وجراءته المدهشة ، ويحق له ذلك لأنه برهن للخليفة سابقا ولاحقا عن مركزه الحربى ، وتفوقه على أقرانه ، من قواد الاسلام ، حيث كان فى كل اسبوع يبعث للخليفة بالغنائم والأسرى والسبايا من العراق تتلو بعضها بعضا بدون انقطاع ، ولم يأت الخليفة من الشام مثل ما أتاه من خالد بل ولا بعضه رغما عن ان جيش الشام كان اكثر عددا وقوادا من جيش العراق الذى كان مع خالد .

وقد امر ابوبكر الصديق رضى الله عنه خالدا ان يأخذ نصف الجند ويستخلف على النصف الآخر المثنى بن حارثة الشيبانى ، ولا يأخذ من فيه نجدة الا ويترك عند المثنى مثله ، واذا فتح الله عليه يرجع هو وأصحابه الى العراق . فأراد خالد ان يستأثر بأصحاب النبى ﷺ على المثنى ويترك له عددهم من اهل القناعة من ليس له صحبة ، فقال المثنى : والله لا أقيم الا على انفاذ أمر أبى بكر ، والله ما أرجو النصر الا بأصحاب النبى ﷺ . فلما رأى خالد ذلك أرضاه وأخذ نصف الجيش وعددهم تسعة الآف ، ثم سار من

العراق قاصدا الشام فلما وصل الى (قُرَاقِرُ) وهو واد ، وماء لكلب بالسماوة من ناحية العراق أغار على أهلها . ثم أراد أن يسير من قراقر مفوزا الى (سوى) وهو ماء (البهراء) وبهراء بطن من قضاعة بينها وبين قراقر خمسة ايام ، وكان هذا الطريق معطشا ووعرا ، فبحث خالد عن دليل يدله على ذلك الطريق لكونه أقرب الى الشام من غيره ، فدل على رجل يدعى رافع بن عمير الطائى ، فسأله خالد عن ذلك ؟ فقال له رافع : انك لن تطيق ذلك بالخيل والأثقال ، فوالله ان الراكب المفرد يخاف على نفسه . فقال له خالد : انه لابد لى من ذلك لأخرج من وراء جموع الروم لئلا تحبسنى عن غياث المسلمين . فأمر صاحب كل فرقة من الجيش ان يأخذ الماء للشعبة لخمس ليال ، وان يعطش من الابل الشفر مايكتفى به ، ثم يسقوها عللا بعد نهل ـ والعلل الشربة الثانية ، والنهل الأولى ـ ثم يُصَرُّوا ، أى يربطوا آذان الابل ويشدوا مشافرها لئلا تجتر ، ففعلوا ذلك ثم ركبوا من (قُرَاقِرُ) فلما ساروا يوما وليلة شقوا بطون عشرة من الابل فمزجوا ماء فى كروشها بما كان من الألبان وسقوا قسما من الخيل ، ففعلوا ذلك اربعة ايام فلما دنا من العلمين قال رافع الدليل للناس : انظروا هل ترون شجرة عوسج كقعدة الرجل ؟ فقالوا مانراها ، فقال عند ذلك رافع : انا لله وانا اليه راجعون هلكتم والله وهلكت معكم . وكان أصابه رَمَدٌ فلم يبصر ، فقال : انظروا ويحكم . فنظروا بدقة وبحثوا عن تلك الشجرة التى تتوقف حياتهم على العثور عليها ، فوجودها قد قطعت وبقى منها بقية ، فلما رأوها كَبَّرُوا . فقال لهم رافع : احفروا فى أصلها . فحفروا واستخرجوا عينا فشربوا حتى روى الناس ، فقال رافع : والله ماوردت هذا الماء قط الا مرة واحدة مع ابى وانا غلام . هكذا كانت العرب ولاتزال فى حذاقتها وقوة ذاكرتها ، فهذا رافع لم يسلك هذا الطريق الا مرة واحدة وهو غلام فيبقى فى ذاكرته ولم يخطه .

فلما انتهى خالد الى (سوى) أغار على أهلها وهم بهراء ، وكانوا يشربون الخمر ، وأخذ أموالهم . ثم أتى (أرَك) وهى مدينة صغيرة فى طرف برية حلب قريبة من تدمر وهى ذات نخل وزيتون ، فصالحه أهلها . ثم أتى (تدمر) وهى مدينة قديمة فى بر الشام بينها وبين حلب خمسة ايام ، وفيها من غرائب الأبنية على العَمَد الرخام ، قيل انها بنيت فى عهد نبى الله سليمان بن داود عليهما السلام ، وقيل قبل ذلك ، فتحصن أهلها ثم صالحوه . ثم أتى (القريتين) وهى اسم بلد واقعة بقرب حمص فى البرية ، بينها وبين تدمر مرحلتان ،

وتقرب من حوارين ، فقاتلهم خالد وظفر بهم وغنم . ثم أتى (حوارين) فقاتل أهلها فهزمهم وقتل وسبى . ثم أتى (قُصَمُ) فصالحه بنو مشجعة بن التيم بن النمر بن وبرة من قضاعة . ثم سار فوصل الى ثنية العقاب عند دمشق ناشرا رايته وهى راية سوداء كانت لرسول الله ﷺ تسمى (العقاب) فسميت هذه الثنية بها ، ثم سار فأتى (مرج راهط) وهى حوالى دمشق ، فأغار على غسان فى يومه فصبحهم وقتل وسبى ، وأرسل سرية الى كنيسة بالغوطة فقتلوا الرجال وسبوا النساء وساقوا العيال الى خالد . ثم سار خالد حتى وصل (بُصْرَى) وهى قصبة كور حوران ، فقاتل من بها فظفر بهم وصالحوه ، فكانت بُصْرَى أول مدينة فتحت بالشام على يد خالد بجند العراق ، وبعث بالأخماس الى الخليفة ابى بكر الصديق رضى الله عنه . ثم سار فطلع على أمراء الجيوش الاسلامية وجند المسلمين وهم محاصرون (اليرموك) على حالتهم التى كاتبوا الخليفة ابى بكر يستمدونه ، وذلك فى ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، وكذلك طلع (باهان) قائد جيوش الروم ومعه الشمامسة ، والقسيسون والرهبان ، يحرضون الروم على القتال ، وذلك فى اليوم الذى وصل فيه خالد اليرموك ، فخرج باهان كالمتعذر فولى خالد قتاله وقاتل الأمراء من بازائهم ، ورجع باهان والروم الى خنادقهم وقد نال منهم المسلمون شيئا يذكر .

هذا بيان عن رحلة خالد بن الوليد سيف الله من العراق الى الشام ، ومنها تعلم قدر الجرأة والاقدام والمخاطر التى ارتكبها خالد بن الوليد ذلكَ القائد الجبار الذى لا يحسب للموت حسابا ، فقد اقتحم ذلك البر الواسع المعطش الرهيب وخاطر بنفسه وبتسعة الآف من خيرة المسلمين وسلك بهم تلك الطريق الوعرة المخيفة كل ذلك لأجل ان ينجد المسلمين الذين هم على اليرموك ، ورغما عن تلك المتاعب التى نالوها فى ذلك السفر الشاق فانه لم يرح نفسه ولا جنوده يوما واحدا فكأنهم لم يكابدوا تلك الأخطار ولم يتحملوا مشاق ذلك السفر المهلك ، بل أخذ فى طريقه يغزو ، ويقاتل ، ويفتح البلدان ، ويسبى ، ويغنم ، ويبعث الأخماس الى الخليفة ، كل ذلك كان وهو عابر سبيل الى ان وصل اليرموك ، فوجد امراء الأجناد من المسلمين على حالهم من المناوشات البسيطة التى لا طائل من ورائها وقد مضى لهم على ذلك الحال ثلاثة أشهر . فلذلك أصبح خالد بن الوليد بهذا العمل محل اعجاب خليفة الاسلام ، وعموم المسلمين ، بل والعالم أجمع الى العصر الحاضر وما يأتى بعده من العصور الى يوم القيامة ، كيف لا وقد أدرك من الفوز

والتفوق بجرأته الخارقة ، وإقدامه المدهش ، مالم يدركه غيره من القواد امثاله فى كثير من المواقف . لم لا يكون موضع اعجاب العالم وهو لم يجار فى شىء مما امتاز به فى غزواته ، وسرياته ، وفتوحاته ، وهيبته عند اللقاء ، ومبارزته لأعظم فارس وأقوى بطل بدون اكتراث به ، فتراه حين يخوض المعارك كأنه يتجول فى حديقة غناء بقصد التنزه كأن قلبه قُدَّ من جلمود صخر ، أو قطعة من فولاذ . وكأنى بالقارىء وقد نسب اليّ شيئا من المبالغة فى وصف خالد بن الوليد رضى الله عنه او التحيز له ، فانى اقسم له انى مهما بالغت ، ومهما أثنيت ، ومهما أعجبت بذلك البطل العظيم ، فلم أوفه بعض مايستحقه كما انى لم أصفه بغير مافيه ، ومع انى اعترف بقصورى عن بيان ماينبغى ان اسطره فى حق خالد بطل العالم فى الحرب والقيادة ، ومصارعة اولى البأس والقوة فى حومة الوغى ، وهو غنى عن اعجابى به ، وثنائى عليه ، حيث قد حاز خالد على رضاء رسول الله ﷺ . وثنائه عليه ، واعجابه به ، حتى انه سماه سيف الله وسيف رسوله ، كما حاز على إعجاب الخليفة الأول ابى بكر الصديق رضى الله عنه ورضائه عنه ، واعتماده عليه فى الملمات ومواطن البأس والشدائد التى يعجز غيره عن ادراكها . فاذا كان الأمر كذلك فلماذا لايكون خالد محل اعجاب العالم اجمع ؟ واليك ماهو أدهش مما تقدم بما جرى فى وقعة اليرموك من غرائب الترتيبات الحربية ، ونظام القيادة ، اللذين هما من ابتكاراته واختراعاته الرائعة ، وقد حاز بموجبها على النصر العظيم ، وابادة جند الروم .

* * *

وقعة اليرموك

لما وصل خالد بن الوليد رضى الله عنه الى اليرموك وجد الأمراء الأربعة الذين هم أبو عبيدة بن الجراح ، وعمرو بن العاص ، ويزيد بن أبى سفيان ، وشرحبيل بن حسنة ، مع أقسام الجيوش الأربعة التابعين لقيادتهم والبالغين سبعة وعشرين الفا ، وثلاثة الآف من فُلال جند خالد بن سعيد أولئك الذين سبق ذكرهم عندما أمر أبو بكر رضى الله عنه شرحبيل بن حسنة ، ومعاوية بن أبـى سفيان ، وأمرهما حال مرورهما الى الشـام أن يصحبوهم معهما ، ، والستة الاف جندى الذين هم مع عكرمة بن أبى جهل رضى الله عنه ، أولئك الذين ثبتوا معه عند انهزام جيش خالد بن سعيد . انهم كانوا يقاتلون الروم قتال (تساند) وهو ان كل أمير يقاتل وحده بجنده ولم يوحدوا القيادة ، فكان عسكر أبى عبيدة باليرموك مجاورا لعسكر عمرو بن العاص ، وعسكر شرحبيل مجاورا لعسكر يزيد ابن أبى سفيان ، وكان أبو عبيدة ربما صلى مع عمرو بن العاص . وكذلك شرحبيل مع يزيد ،فأما عمرو ، ويزيد ، فانهما كانا لايصليان مع أبى عبيدة وشرحبيل ، وسبب ذلك هو لأن كل واحد منهما يرى نفسه غير تابع للآخر . فلما وصل خالد بن الوليد ورآهم على هذه الحال عسكر هو أيضا على حدة وصلى بأهل العراق منفصلا عنهم . ووافق وصول خالد شدة تضايق المسلمين بسبب وصول مدد الروم الذين اتى بهم (باهان) أخـيرا وهـم نشاط ، وحال وصولهم فى ذلك اليوم اشتبكوا فى القتال معهم فهزمهم الله حتى ألجأهم مع امدادهم الى الخنادق والواقوصة أحد حدوده ، فلزموا خندقهم عامة شهر .

ولما نزلت جنود المسلمين اليرموك بعـث اليهـم المسلمـون انـا نريد كلام أميركم وملاقاته ،فدعونا نأته ونكلمه . فأبلغوه فأذن لهم ، فأتاه أبو عبيدة ويزيد بن أبى سفيان ، من الامراء ، والحارث بن هشام ، وضرار بن الازور وأبو جندل بن سهيل بن عمرو ، من

أبطال الاسلام بصفة رسل من قائد الجيوش الاسلامية ، وكان مع أخى الملك يومئذ ثلاثون فسطاطا فى عسكره وثلاثون سرادقا كلها من ديباج ، فلما أتوا اليها أبوا أن يدخلوا عليه فيها . وقالوا لانستحل الحرير فابرز لنا ؟ فبرز الى فرش ممهدة ، ولم يتم بينهم اتفاق فرجعوا فلما بلغ هرقل ملك الروم ذلك قال : ألم أقل لكم هذا أول الذل ، أما الشأم فلا شأم وويل للروم من المولود المشؤوم . يعنى (باهـان) وكان فى اثنـاء ذلك يحرضهـم القسيسون والشماسة والرهبان وينعون لهم النصرانية حتى اخرجوهم للقتال الذى لم يكن قبله ولابعده قتال مثله ، وكان ذلك فى جمادى الآخـرة سنـة ثلاث عشرة فلما احس المسلمون بخروجهم وأرادوا الخروج حسب عادتهم كل أمير بجيشه يقاتل وحده ، سار خالد بن الوليد رجل القيادة الى الأمراء الاربعة فجمعهم وقام فيهم خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : ان هذا اليوم من ايام الله لاينبغى فيه الفخر ، ولا البغى ، أخلصوا جهادكم ، وأريدوا الله بعملكم ، فان هذا يوم له ما بعده ، ولا تقاتلوا قوما على غير نظام وتعبية على تساند وانتشار ، فان ذلك لايحل ولاينبغى ، وان من وراءكم لو يعلم عملكم حال بينكم وبين هذا ، فاعلموا فيما لم تؤمروا به بالذى ترون أنه الرأى من واليكم ومحبته . قالوا : فهات فما الرأى ؟ قال : ان ابا بكر لم يبعثنا الا وهو يرى انا سنتياسر ، ولو علم الذى كان ويكون لقد جمعكم ، ان الذى أنتم فيه أشد على المسلمين مما قد غشيهم ، وأنفع للمشركين من امدادهم ، ولقد علمت ان الدنيا فرقت بينكم ، فالله ، الله ، فلو أفرد كل رجل منكم ببلد من البلدان لاينتقصه منه إن دان لأحد من امراء الجنود ، ولايزيده عليه ان دان له ، وان تأمر بعضكم لاينتقصكم عند الله ولاعند خليفة رسول الله ﷺ ، هلموا فان هؤلاء قد تهيأوا وهذا يوم له مابعده ان رددناهم الى خندقهم اليوم لم نزل نردهم ، وان هزمونا لم نفلح بعدها ، فهلموا فلنتعاور الامارة ، فليكن عليها بعضنا اليوم ، والآخر غدا ، والآخر بعد غد ، حتى يتأمر كلكم ودعونى أليكم اليوم ؟.

فكان لخطبة خالد رضى الله عنه وقع عظيم وفائدة كبرى ، فقد نشأ منها انه جمع كلمتهم ، وألف ذات بينهم ، وأرضاهم بحكمته التى استعملها فى مداولة القيادة العامة بينهم كل يوم واحد مع أن كل أمير من أولئك الأمراء العظام له رأى ثاقب ، وفكر سديد ، وحكمة باهرة ، ولم يكن فيهم الغبى ، أو الأرعن ، وانما الطبيعة البشرية تميل دائما الى الرفعة والعلاء ، وهم من البشر وكل فرد منهم يريد علو المنزلة عند الله تعالى وبين اقرانه

خصوصا فى موطن البأس وميادين الوغى ، وكلهم يريد التضحية فى سبيل الله تعالى لينال الشهادة أو الفوز والنصر وهذه طبيعة ذوى النفوس الأبية الكبيرة والأنوف الشامخة . وكانت مواطن البأس هى محل مباراة الاعاظم من الناس وميدان السباق . غير ان الله تعالى قدر لخالد بن الوليد ان يكون هو الاسبق فى الفضل ، وأن يكون يوم اليرموك له رأيا ، وقيادة ، وفوزا ، ونصرا ، حيث كان الموقف أشد خطورة ، لأنه اما موقف فوز ونصر وحياة ، واما موقف انهزام واندحار وموت ، والادهش من ذلك ان خالدا لم يعلمهم ان الخليفة أبا بكر رضى الله عنه أمره عليهم ، وذلك خشية ان لايستجيبوا له فيفشلوا وتذهب ريحهم أمام عدوهم المستعد لابادتهم ، وسحقهم ، ان ظفر بهم ، وفى ذلك وبال عليهم . فكتم أمره واستعمل الحكمة والسياسة واكتسب رضاءهم فى كونه يكون هو الأمير عليهم والقائد العام فى ذلك اليوم الرهيب المفزع .

فقبل الأمراء رأيه وأعطوه القيادة فى ذلك اليوم ، وهم يرون أن ذلك اليوم هو كالأيام التى سلفت ، وان الامر أطول مما سبق . وخرجت الروم فى تعبية لم ير الراءون مثلها قط ، فخرج سيف الله خالد بن الوليد رضى الله عنه فى تعبية لم تعبها العرب قبل ، يقود كتائب الايمان أولئك الذين باعوا أنفسهم وأرواحهم فى سبيل الله وكان عدد الجنود خمسة واربعين الفا ٢٧ الفا كانوا مع الأمراء الأربعة وثلاثة آلاف فلال خالد بن سعيد ، وستة الآف مع عكرمة بن أبى جهل ، وتسعة الآف الذين قدم بهم خالد من العراق فقسمهم أربعين (كردوسا) والكردوس هو الفرقة من الجيش فجعل لكل كردوس أميرا ، وكان عدد الكردوس من الف فأكثر فقال خالد رضى الله عنه : ان عددكم قد كثر وطغى ، وليس من التعبية تعبية أكثر فى رأى العين من الكراديس يعنى ان تعبية الجيش على النظام الذى ابتكره هو فى نظر العدو اعظم من ان يكون بغير نظام كما كانوا يقاتلون عليه فيما سبق . والتعبية على طريقة الكراديس هى التى عليها الأنظمة الحربية فى العصر الحاضر ولذلك ترى كثيرا من القواد فى العصر الحاضر ممن درس شيئا فى التاريخ الاسلامى عن قيادة خالد بن الوليد يتشوق لأن يرى صورا متعددة من النظم الحربية التى ابتكرها خالد فى حروبه . ثم جمع قسما من الكراديس على فيالق وقسم الفيالق على مايأتى فجعل فى القلب فيلقا وأقام عليه أبا عبيدة بن الجراح . وجعل فى الميمنة فيلقا اقام عليه عمرو بن العاص ومعه شرحبيل بن حسنة . وجعل فى الميسرة فيلقا واقام عليه يزيد بن أبى سفيان . فكانت

هكذا جبهة المسلمين . وأما أمراء الكراديس فهم : (١) القعقاع بن عمرو التميمي على كردوس من اهل العراق (٢) مذعور بن عدى على كردوس (٣) عياض بن غنم على كردوس (٤) هاشم بن عتبة على كردوس (٥) زياد بن حنظلة على كردوس (٦) خالد بن الوليد القائد العام فى كردوس (٧) دحية بن خلف الكلبي على فالة خالد بن سعيد فى كردوس (٨) امرؤ القيس على كردوس (٩) يزيد بن يحنس على كردوس (١٠) أبو عبيدة بن الجراح على كردوس (١١) عكرمة بن أبى جهل على كردوس (١٢) سهيل بن عمرو على كردوس (١٣) عبد الرحمن بن خالد بن الوليد على كردوس وهو يومئذ ابن ثمان عشرة سنة (١٤) حبيب بن مسلمة على كردوس (١٥) صفوان بن امية على كردوس (١٦) سعيد بن خالد على كردوس (١٧) أبو الأعور بن سفيان على كردوس (١٨) ابن ذى الخمار على كردوس وكان على ميمنة عمارة (١٩) عمارة بن مخشى على كردوس (٢٠) شرحبيل بن حسنة على كردوس ومعه خالد بن سعيد (٢١) عبد الله ابن قيس على كردوس (٢٢) عمرو بن عبسة على كردوس (٢٣) السمط بن الأسود على كردوس (٢٤) ذو الكلاع على كردوس (٢٥) معاوية بن خديج على كردوس (٢٦) جندب بن عمرو على كردوس (٢٧) عمرو بن فلان على كردوس (٢٨) لقيط ابن عبدالقيس على كردوس (٢٩) وكان فى الميسرة يزيد بن أبى سفيان على كردوس (٣٠) الزبير على كردوس (٣١) حوشب ذو ظليم على كردوس (٣٢) قيس بن عمرو بن زيد على كردوس (٣٣) عصمة بن عبد الله الاسدى على كردوس (٣٤) ضرار بن الأزور على كردوس (٣٥) مسروق بن فلان على كردوس (٣٦) عتبة بن ربيعة بن بهز على كردوس (٣٧) جارية بن عبد الله الاشجعى على كردوس (٣٨) قباث بن أشيم على كردوس وكان الكردوس يشتمل على ألف مقاتل أو أكثر وكان هؤلاء أمراء الكراديس الذين سماهم ابن جرير ، ولم يذكر اسم الأميرين اللذين هما تمام الأربعين . وكان القارىء أبا الدرداء ، وكان القاضى أبا سفيان بن حرب ، وكان على الطلائع قباث بن أشيم ، وكان على (الأقباض) وهى آلات الحرب عبد الله بن مسعود . وكان من السنة التى سنها رسول الله ﷺ بعد بدر أن يقرأ سورة الجهاد عند اللقاء ، وهى سورة (الأنفال) ولم يزل أصحاب رسول الله ﷺ يقرأونها عند لقاء العدو . وكان القارىء لها فى هذه المعركة المقداد ابن عمرو الكندى . وكان شهد هذه الوقعة الف رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم

نحو مائة من أهل بدر . وكان أبو سفيان يسير على الكراديس فيقف على كل كردوس فيقول : الله الله انكم زادة العرب وأنصار الاسلام ، وانهم زادة الروم وأنصار الشرك . اللهم ان هذا اليوم من أيامك ، اللهم انزل نصرك على عبادك . وقال رجل لخالد بن الوليد : ما أكثر الروم ، وأقل المسلمين . فقال له خالد رضى الله عنه : ما أقل الروم وأكثر المسلمين ، انما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال ، والله لوددت الأشقر براء من توجّيه وانهم اضعفوا فى العدد ، وكان فرش الأشقر قد حفى فى مسيره من العراق الى الشام . فهذا سيف الله خالد القائد العظيم يحتقر عدوه بقلب صلد ، ويتمنى أن فرسه الاشقر لم يكن قد اصابه الحفا فيبيد عليه أضعاف ما كانت عليه الروم الذين استكثرهم غيره .

واذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرامها الاجساد

فلما أتم خالد بن الوليد رضى الله عنه ترتيب الصفوف أمر عكرمة بن أبى جهل ، والقعقاع بن عمرو ـ وكانا على مجنبتى القلب ـ بالقتال فتقدم كل واحد منهما نحو الروم مرتجزا ، فقال القعقاع رضى الله عنه :

ياليتنى ألقاك فى الطراد قبل اعترام الجحفل الوَارَاد
وأنت فى حَلْبَتك الوراد

وقال عكرمة رضى الله عنه :

قد عَلِمت بهكنة الجوارى أنى على مكرُمَة أحامى

كأن كل واحد منهما فى حفلة أدبية لافى حومة الوغى ، فنشب القتال والتحم الناس ، وتطارد الفرسان ، وحمى الوطيس ، واغبر وجه الأرض . فقال عكرمة رضى الله عنه فى ذلك الموقف يخاطب الروم : قاتلت رسول الله ﷺ فى كل موطن ، وافر منكم اليوم . ثم نادى : من يبايع على الموت ؟ فتبادر اليه ليوث الاسلام فبايعه الحارث بن هشام ، وضرار بن الأزور ، فى أربعمائة من وجوه المسلمين وأهل النجدة ، فقاتلوا أمام فسطاط خالد بن الوليد وبلغ القتال أشده ، فبينما هم على ذلك الحال اذ قدم (البريد) من المدينة ، فأخذته الخيول وسألوه الخبر فلم يخبرهم الا بسلامة وأخبرهم عن امداد . وانما جاء بخبر موت الخليفة أبى بكر رضى الله عنه ، وتأمير أبى عبيدة . فأوصلوه الى خالد بن الوليد فاخبره خبر أبى بكر وأسره اليه ، وأخبره بالذى أخبر به الجند ، فقال له خالد : أحسنت فقف . وأخذ الكتاب وجعله فى كنانته مخافة أن ينتشر الخبر فى الجنود فيحل من عزمهم ويشبط فى

همتهم . فوقف الرسول وهو مَحْمِيَة بن زُنَيْم مع خالد . فخرج (جرجة) أحد قواد الروم حتى كان بين الصفين ونادى : ليخرج اليَّ خالد فخرج اليه خالد ، وأقام خالد ابا عبيدة مكانه ، فوافقه بين الصفين حتى اختلفت أعناق دابّتيهما وقد أمّن أحدهما صاحبه ، فقال جرجة : يا خالد أصدقنى ولاتكذبنى فان الحر لايكذب ، ولاتخادعنى فان الكريم لايخادع المسترسل بالله ، هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء فاعطاكه فلاتسلّه على قوم الا هزمتهم ؟ قال لا ، قال : فبم سُمِّيتَ سيف الله ؟ قال : ان الله عز وجل بعث فينا نبيه ﷺ فدعانا فنفرنا عنه ونأينا عنه جميعا ، ثم ان بعضنا صدّقه وتابعه ، وبعضنا باعده وكذّبه ، فكنت فيمن كذبه وباعده وقاتله ؛ ثم ان الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به فتابعناه فقال : « أنت سيف من سيوف الله سله الله على المشركين » ودعا لى بالنصر فسمّيت سيف الله بذلك ، فأنا من أشد المسلمين على المشركين ، قال صدقتنى ؛ ثم قال جرجه : ياخالد أخبرنى الى ماتدعونى ؟ قال : الى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، والاقرار بما جاء به من عند الله تعالى . قال : فمن لم يجبكم ؟ قال خالد : فالجزية ونمنعهم . قال فان لم يعطها ؟ قال : نؤذنه بحرب ثم نقاتله . قال جرجه : فما منزلة الذى يدخل فيكم ويجيبكم الى هذا الامر اليوم ؟ قال خالد : منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا شريفنا ، ووضيعنا ، وأولنا ، وآخرنا . قال جرجة : هل لمن دخل فيكم اليوم يا خالد مثل مالكم من الأجر ، والذخر ؟ قال نعم ، وأفضل . قال : كيف يساويكم وقد سبقتموه ؟ قال : انا دخلنا فى هذا الامر وبايعنا نبينا ﷺ وهو حيّ بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتب ويرينا الآيات وحُقّ لمن رأى مارأينا وسمع ماسمعنا ان يسلم ويبايع ، وانكم أنتم لم تروا مارأينا ولم تسمعوا ماسمعنا من العجائب والحجج ، فمن دخل فى هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا . قال جرجة : بالله لقد صدقتنى ولم تخادعنى ولم تؤلفنى ؟ قال خالد : بالله لقد صدقتك ومابى اليك ولا الى أحد منكم وحشة ، وان الله لولىُّ ما سألت عنه . فقال جرجة : صدقتنى . وقلب الترس ومال مع خالد ضد الروم ثم قال جرجة لخالد : علمنى الاسلام ؟ فمال به خالد الى فسطاطه فشن عليه قربة من ماء أى اغتسل ثم صل ركعتين فحملت الروم لما رأت قائدهم جرجة اتفق مع خالد وهم يرون أنها من جرجة حيلة ، فازاحوا المسلمين عن مواقفهم الا المحامية عليهم عكرمة بن ابى جهل والحارث بن هشام رضى الله عنهما . فلما رأى ذلك خالد سيف الله

البتار ركب ومعه جرجة والروم خلال المسلمين فتنادى المسلمون فثابوا وتراجعت الروم الى مواقفهم فزحف بهم خالد حتى تصافحوا بالسيوف فضرب فيهم خالد ، وجرجة ، من لدن ارتفاع النهار الى جنوح الشمس للغروب فاصيب جرجة ولم يصلّ صلاة سجد فيها الا الركعتين اللتين أسلم عليهما رحمه الله تعالى ، فقد سبقت له السعادة ، وصلى النـاس الظهر ، والعصر ، ايماء ، وتضعضع الروم ثم نهد خالد بالقلب حتى كان بـين خيلهم ورجلهم ، وكان مقاتلهم واسع المطّرد ضيق المهرب فلما وجدت خيلهم مذهبا ذهب ، وتركوا المشاة فى مصافهم وخرجت خيلهم تشتد بهم فى الصحراء ، وأخر الناس الصلاة حتى صلوا بعد الفتح ، ولما رأى المسلمون خيل الروم توجهت للهرب أفرجوا لها ولم يحرجوها فذهبت وتفرقت فى البلاد ، وأقبل خالد والمسلمون على المشاة ففضوهم وسحقوهم وانقضوا عليهم انقضاض الصواعق بسيوفهم البتارة ، كأنما هدم على الروم حائط فاقتحموا فى خندقهم فاقتحمه خالد عليهم ، فعمدوا الى الواقوصة حتى هوى فيها المقترنون وغيرهم ، فمن صبر من المقترنين للقتال هوى به من جشعت نفسه الى الفرار فهوى الواحد بالعشرة فتهافت فى الواقوصة مائة وعشرون الفا منهم ثمانون الفا مقترن ، وأربعون ألفا مطلق ، سوى من قتل فى المعركة من الخيل والرجل ، ولما رأى قائد الروم الفيقار وأشراف الروم قالوا لانحب ان نرى يوم السوء اذا لم نستطع ان نرى يوم السرور ، واذا لم نستطع ان نمنع النصرانية فتجللوا برانسهم فاصابهم المسلمون قتلا . فأصبح خالد فى اليوم الثانى للمعركة فى فسطاط أخى الملك بعد ان قضى عليه وهو يقاتل مع المسلمين نهار الأمس مع ليلة اليوم الثانى الى الصباح ، فهزم الله الروم وجنى المسلمون العقبى وأصابوا ما فى المعسكر ، وقتل الله صناديدهم ورؤوسهم وفرسانهم ، وقتل الله أخا هرقل وأخذ التذارق ، وانتهت الهزيمة الى هرقل وهو دون مدينة حمص ، فارتحل فجعل حمص بينه وبينهم ، وأمر عليها أميرا وخلفه فيها كما كان الأمر على دمشق . واتبع المسلمون الروم حين هزموهم خيولا ، وكان قتلاهم مائة وعشرين الفا خلاف من قتل فى المعركة من الخيل والمشاة . وقد غنموا كل ما فى جيش الروم فكان سهم الفارس من المسلمين يومئذ الفا وخمسمائة .

وقد كتب الله الشهادة لثلاثة الآف من المسلمين المجاهدين فى الله حق جهاده ، وكان ممن أصيب فى تلك المعركة من كبار الصحابة ووجهاء المسلمين عكرمة بن أبى جهل ، وابنه عمرو ، وسلمة بن هشام ، وعمرو بن سعيد ، وأبان بن سعيد ، وجندب بن

والطفيل بن عمرو ، وطليب بن عمير ، وهشام بن العاص ، وعياش بن أبى ربيعة ، وسعيد بن الحارث السهمى وهو من مهاجرة الحبشة ، ونعيم بن عبد الله النحام العدوى من السابقين الاولين فى الاسلام ، والنضير بن الحارث وهو قديم الاسلام والهجرة وهو أخو النضر الذى قتل ببدر كافرا ، وأبو الروم بن عمير العبدرى أخو مصعب بن عمير من آل عبد الدار وغيرهم فرحمهم الله رحمة واسعة واسكنهم جنات النعيم وجزاهم عن الاسلام خير الجزاء .

ولما فرغ خالد بن الوليد من القتال وعاد الى فسطاطه أتى بعكرمة بن ابى جهل جريحا فوضع رأسه على فخذه وابنه عمرو بن عكرمة فجعل رأسه على ساقه ومسح وجوههما وقطر فى حلوقهما الماء وقال : زعم ابن حنتمة يعنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه انا لانستشهدوقاتل يومئذ نساء المسلمين فى جولة فخرجت جويرية ابنة أبى سفيان فى جولة وكانت مع زوجها بعد قتال شديد وأصيبت يومئذ عين أبى سفيان بن حرب فاخرج السهم من عينه أبو حثمة واصيب ضرار بن الأزور بجروح عظيمة وشافاه الله منها .

ثم لما انتهى خالد بن الوليد رضى الله عنه من وقعة اليرموك سلم كتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى أبى عبيدة القاضى بعزل خالد بن الوليد وتقليد أبى عبيدة امارة الجيوش ، وقال خالد : الحمد لله الذى قضى على أبى بكر بالموت وكان احب الىّ من عمر ، والحمد لله الذى ولى عمر وكان أبغض الىّ من أبى بكر ، ثم أكرمنى حبه .

الى هنا انتهى خبر وقعة اليرموك والى هنا انتهت امارة خالد بن الوليد على الجيوش . وكل ماتقدم مأخوذ عن ابن جرير الطبرى ، وابن الاثير وابن خلدون ، فمن تصفح وقعة اليرموك التى هى آخر قيادة لخالد بن الوليد رضى الله عنه ونظر الى ما استعمله فيها خالد من السياسة الحربية فى تقسيم الجيش على فيالق ، وفرق ، وقلب ، وميمنة ، وميسرة ، وغير ذلك من التقسيمات الحربية يأخذه العجب ويتساءل من أين أخذ خالد هذه الترتيبات العسكرية ؟ فلو كان مسبوقا عليها لقلنا انه تلقاها عمن سبقه كما هو حاصل فى العصر الحاضر حيث ان الفنون الحربية تدرس فى مدارس خاصة بها ، ولكنها بنت وقتها ووليدة يومها ، فلم يكن قد تلقاها عمن سبقه بها ، ولا شك ان ذلك إلْهَامُ الهى واستنباط منه وذلك نتيجة التجارب وممارسة الحروب وقد شاع ذكره بين الأمم حتى اخترق اسمه قلوب الأعداء ، فلا يسمع أحد من الأعداء بقدومه نحوه الا أخذته الرعدة ، وخارت مفاصله ،

ووهنت قواه ، وقد تعالى مجده ، وتعاظمت هيبته ، حتى فى قلوب الملوك ، فهذا هرقل ملك الروم لما سمع بقدومه وانه قد طلع على (سُوَى) وانتسف أهله وأموالهم وعمد الى (بصرى) وافتتحها ، قال لجلسائه : ألم أقل لكم لاتقاتلوهم فانه لاقوام لكم مع هؤلاء القوم ان دينهم دين جديد يجدد لهم ثِبَارهم فلا يقوم لهم أحد حتى يُبْلى . فقالوا له . قاتل أنت عن دينك ولاتجبن الناس واقض الذى عليك . قال : وأى شىء أطلب الا توقير دينكم . يقول ذلك وهو يعلم ان جنده يربو على مائتى ألف مقاتل مكمل العدة ، وجنود المسلمين لايبلغون خمس جنده ، وذلك لعلمه أن المسلم يقاتل لأجل أن ينال الشهادة ولم يكن مساقا للقتال قهرا كما قال لهم خالد رضى الله عنه : اننا نحب الموت كما انكم تحبون الحياة ، فمن كان يقاتل حبا للموت لايمكن أن يفوق عليه من كان يحب الحياة ، وكذلك قول (جرجة) أحد قواد الروم لما قال لخالد كما تقدم : هل انزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطاكه وأنت تقاتل به عدوك ؟ فأجابه خالد بالسلب وقال : ان ذلك نتيجة دعاء النبى ﷺ لى . وقد حاز خالد على صفات حميدة جمة منها ماتقدم ومنها قوة ارادته وحضورذهنه فى مواقع الخطر والفزع فكأنما قد قلبه من صخر فلا يتزعزع ولا يرتاع ، فقد وفق بين الأمراء الأربعة وجمع كلمتهم فى وقت الخطر وأخذ القيادة العامة منهم برضائهم ، مع انه قد أعطاها له الخليفة أبو بكر الصديق رضى الله عنه حين أمره باللحاق الى الشام ، ومع أن كل واحد من الأمراء ، الأربعة له مزية ومكانة تضاهى خالد بن الوليد ولكن ذلك فضل من الله يؤتيه من يشاء . ومنها كان خالد لايستعظم العدوّ مهما بلغ عدده ، وعدته ، ونجدته ، وموقعه ، كما قال للرجل الذى قال له ياخالد ان الروم فى جمع كثير مائتى الف أو يزيدون فان رأيت أن ترجع على حاميتك فافعل ، فقال له ؛ أبالروم تخوفنى ؟ والله لوددت أن الأشقر ـ يعنى حصانه ـ براء من توجهه وراءهم أضعفوا ضعفهم فهزمهم الله على يدى ، ومنها أنه حاز على ثقة النبى ﷺ حتى سماه سيف الله وكما حاز على ثقة الخليفة أبى بكر الصديق رضى الله عنه حتى قال فى حقه (عجزت النساء أن يلدن مثل خالد) ثم لما رأى أبو بكر الصديق رضى الله عنه عدم تفوق أمراء الشام على الروم قال خالد لها لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد ، وغير ذلك مما يعجز القلم أن يستوعب صفات خالد بن الوليد التى ميزه الله بها على غيره ، وربما يظن ظان انى تحيزت هنا لخالد ابن الوليد رضى الله عنه فانى اقسم له انى ماأتيت الا بالحقيقة المجردة التى علمتها من التاريخ كما انى اعترف بالتقصير فى وصف مايستحقه خالد وهو فى الحقيقة فى

عنى عنى وعن أعظم كاتب فى الدنيا ، فمن اثنى عليه رسول الله ﷺ وسماه سيف الله لايحتاج بعد ذلك الى ثناء أحد . فهذا خالد سيف الله وقائد الاسلام العظيم والمجاهد فى الله حق جهاده ، والمثل الأعلى لكل قائد فى الاسلام الى يوم الدين ، فجزاه الله عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء ورزق المسلمين قائدا مثله يقوم بنصرة الاسلام فى هذا الزمن الذى تمزق فيه شمله .

* * *

خبر المثنى في العراق بعد خالد

نعود هنا الى العراق لنكمل ماوقع فيه مدة خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ليتم تاريخ حياته وهو انه لما تقاسم المثنى مع خالد بن الوليد جند العراق ومضى خالد الى الشام ، شيعه المثنى الى (قراقر) ثم رجع الى الحيرة فاقام فى سلطانه ونظم مواقعه العسكرية ، وسد الأماكن التى انسحب منها الأمراء الذين توجهوا مع خالد بامراء مثلهم من أهل النجدة والغناء ، ووضع مذعور بن عدى فى بعض تلك الأماكن .

أما أهل فارس فانهم اتفقوا على تتويج شَهْرَ براز بن أرد شير بن شهريار ممن ينتسب الى كسرى ثم الى سابور ، وذلك بعد خروج خالد من العراق بقليل فى سنة ثلاث عشرة من الهجرة فاستقر أمرهم ووجهوا جندا عظيما يبلغ عشرة الآف ، وجعلوا على الجند (هرمزجاذويه) فاقبل هرمز بجنده ومعه فيل وكتب أهل الثغور والمراقب إلى المثنى باقباله فخرج المثنى من الحيرة نحوه وضم اليه رجال الثغور والمراقب وجعل على مجنبتيه المعنى ، ومسعودا ، ابنى حارثة وأقام هوببابل وأقبل هرمز جاذويه وعلى مجنبتيه الكوكب ، والخوكبذ ، وكتب الى المثنى من شهر براز الى المثنى : انى قد بعثت اليك جندا من وحش أهل فارس أنما هم رعاة الدجاج ، والخنازير ، ولست أقاتلك الا بهم . فاجابه المثنى : من المثنى الى شهر براز ، انما انت أحد رجلين أما باغ فذلك شر لك وخير لنا ، واما كاذب فاعظم الكذابين عقوبة وفضيحة عند الله وفى الناس الملوك ، واما الذى يدلنا عليه الرأى فانكم انما اضطررتم اليهم فالحمد لله الذى رد كيدكم الى رعاة الدجاج والخنازير . فجزع أهل فارس من كتابه وقالوا انما أتى شهر براز من شؤم مولده ، ولؤم منشئه وكان يسكن ميسان وبعض البلدان شين على من يسكنه ، وقالوا له جرأت علينا عدونا بالذى كتبت به اليهم فاذا كاتبت أحداً فاستشر . فالتقى الجيشان ببابل فاقتتلوا بعدوة الصراة الدنيا على الطريق الأول قتالا شديدا ، وكان للفيل شأن فقد اجفل الخيل وفرق بين الصفوف

والكرادبس . فأخذ المثنى معه من رجال المسلمين فهجموا على الفيل وتداولوه فيما بينهم فأصابوا مقتله فقتلوه ، وهزموا أهل فارس ، واتبعهم المسلمون يقتلونهم حتى جازوا بهم مسالحهم . فاقاموا فيها وتتبع الطلب خلف الفالة حتى انتهوا الى المدائن ، ومات شهربراز فى منهزم هرمز جاذويه ، واختلف أهل فارس وبقى مادون دجلة ، وبرس ، من السواد فى يدى المثنى والمسلمين . ثم اجتمع أهل فارس بعد شهر براز على (دُخْتِ زنان) ابنة كسرى فلم ينفذ لها أمر فخلعت وملك سابور بن شهر براز . ولما ملك سابور بن شهر براز قام بامره الفَرُّخزاد بن البندوان فسأله ان يزوجه (ازَرْميدُخت) ابنة كسرى ففعل ، فغضبت من ذلك وقالت يا ابن عم أتزوجني عبدى ، قال : استحى من هذا الكلام ولاتعيديه على فانه زوجك ، فبعثت الى سياوخش الرازى وكان من فتاك الأعاجم فشكت اليه الذى تخاف ، فقال لها ان كنت كارهة لهذا فلا تعاوديه فيه ، وارسلى اليه وقولى له فليتل له فليأتك فانا أكفيكه ، ففعلت وفعل واستعد سياوخش ، فلما كان ليلة العرس أقبل (الفرخزاذ) حتى دخل فثار به سياوخش فقتله ومن معه ثم نهد بها معه الى سابور فحضرته ثم دخلوا عليه فقتلوه وملكت ازر ميدخت بنت كسرى ، وتشاغلوا بذلك وابطأ خبر أبى بكر الصديق رضى الله عنه على المسلمين فخلف المثنى على المسلمين بشير بن الخصاصية ووضع مكانه فى المسالح سعيد بن مرة العجلى ، وخرج المثنى نحو المدينة قاصداً الخليفة ليخبره خبر المسلمين والمشركين ، وليستأذن فى الاستعانة بمن قد ظهرت توبته وندمه من أهل الردّة ممن يستطعمه الغزو ، وليخبره انه لم يخلف أحدا أنشط الى قتال فارس وحربها ومعونة المهاجرين منهم ، فقدم المدينة وأبو بكر مريض ، وقد مرض أبو بكر بعد مخرج خالد الى الشام مرضته التى مات فيها بأشهر ، فلما قدم المثنى كان قد أشفى أبو بكر وعقد لعمر البيعة ، فاخبره الخبر . فقال أبو بكر : على بعمر . فجاء فقال له (اسمع ياعمر ما أقول لك ثم أعمل به أنى لأرجو أن أموت من يومى هذا فان أنا مت فلاتمسين حتى تندب الناس مع المثنى وان تأخرت الى الليل فلاتصبح حتى تندب الناس مع المثنى ولايشغلنكم مصيبة وان غظمت عن أمر دينكم ووصية ربكم ، وقد رأيتنى متوفى رسول الله ﷺ وماصنعت ولم يصب الخلق بمثله ، وبالله لو انّى أَنِى عن أمر الله وأمر رسوله لخذلنا ، ولعاقبنا ، فاضطرمت المدينة نارا ، وان فتح الله على أمراء الشام فاردد أصحاب خالد الى العراق فانهم أهله وولاة أمره وحده وأهل الضراوة بهم والجراة عليهم ، ومات أبو بكر

رضى الله عنه من ليلته وندب الناس عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع المثنى بعد ماسوى على أبى بكر . وقال عمر رضى الله عنه كان أبو بكر قد علم انه يسوءنى أن أؤمر خالدا على حرب العراق حين أمرنى بصرف أصحابه وترك ذكره . والى آزرميدخت انتهى شأن الفتوحات من الجهة العراقية التى تحميها المملكة الفارسية فى خلافة أبى بكر وكان أحد شقى السواد فى سلطانه منها ، وتشاغل أهل فارس فيما بينهم عن قتال المسلمين على السواد فيما بين خلافة أبى بكر الصديق واستخلاف أمير المؤمنين عمر ، ورجوع المثنى مع أبى عبيدة الى العراق ، وكان الجمهور من جند أهل العراق بالحيرة والمسالح بالسيب ، وكانت الغارات تنتهى بهم الى شاطىء دجلة ، ودجلة حجاز بين العرب والعجم . فهذا حديث فتح العراق فى امارة أبى بكر من مبتدئه الى منتهاه وأما فى الشام فكان منتهى الفتوحات الى اليرموك كما تقدم تفصيله من مجىء كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بوفاة أبى بكر الصديق .

الى هنا انتهت الاخبار عن الفتوحات الاسلامية فى عصر أبى بكرٍ الصديق رضى الله عنه ، وسنأتى على شىء من حالاته واخلاقه فى خلافته وماحدث واستجد فى أيامه بقدر الاقتضاء وبالله التوفيق .

* * *

مرتب أبي بكر الصديق السنوي

واخرج ابن سعد عن عطاء بن السائب قال : لما بويع ابوبكر اصبح وعلى ساعده ابراد وهو ذاهب الى السوق ، فقال له عمر : أين تريد ؟ قال : الى السوق . قال : اتصنع ماذا وقد وليت امر المسلمين ؟ قال : فمن أين أطعم عيالى ؟ فقال : انطلق يفرض لك ابوعبيدة . فانطلقا الى ابى عبيدة فقال : أفرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بأفضلهم ولا أوكسهم ، وكسوة الشتاء والصيف ، اذا أخلقت شيئا رددته وأخذت غيره . ففرض له كل يوم نصف شاة وماكساه فى الرأس والبطن . ثم ان ذلك أصبح لم يكفه وأهله ، ثم زاده كما جاء فى رواية المحب الطبرى ، فروى المحب الطبرى فى كتابه الرياض النضرة قال : لما ولى أبوبكر قال اصحاب رسول الله ﷺ افرضوا لخليفة رسول الله مايغنيه ، قالوا نعم ، برداه اذا أخلقهما وضعهما وأخذ مثلهما ، وظهره اذا سافر ، ونفقته على اهله كما كان ينفق قبل ان يستخلف . فزادوه حتى بلغ مرتبه مائتين وخمسين دينارا فى السنة ، وشاة فى كل يوم يؤخذ من بطنها ورأسها واكارعها ، فلم يكن يكفيه ذلك ولاعياله ، قالوا وقد كان القى ماله فى مال الله حين استخلف ، قال فخرج الى البقيع فتصافق (اى اشتغل بالتجارة) فجاء عمر بن الخطاب فاذا هو بنسوة جلوس فقال ما شأنكن قلن نريد خليفة رسول الله ﷺ يقضى بيننا فانطلق يطلبه فوجده فى السوق فأخذه بيده فقال : تعال ههنا . فقال أبوبكر : لا حاجة لى فى امارتكم رزقتمونى مالا يكفينى ولاعيالى . قال عمر : فانا نزيدك . قال ابوبكر : ثلاثمائة دنيار والشاة كلها . قال [عم]ر : أما هذا فلا . فجاء على بن أبى طالب رضى الله عنه وهما على حالهما تلك فلما سمع ما سأله قال : كلها له . قال عمر : ترى ذلك ؟ قال نعم ، قال : فقد فعلنا . فقال أبوبكر : انتما رجلان من المهاجرين لا أدرى أيرضى بها بقية المهاجرين ام لا . فانطلق أبوبكر فصعد المنبر واجتمع اليه الناس فقال : ايها الناس ان رزقى كان خمسين ومائتى

دينار وشاة يؤخذ منى بطنها ورأسها وأكارعها ، وان عمر ، وعليا ، كملا لى ثلاثمائة دينار وشاة أفرضيتم ؟ فقال المهاجرون : اللهم نعم ، قد رضينا . فقال أعرابى من جانب المسجد : لا والله مارضينا فأين حق اهل البادية ؟ فقال ابوبكر : اذا رضى المهاجرون شيئا فانما انتم تبع . واستمر ابوبكر رضى الله عنه على ذلك الى وفاته . قالت عائشة رضى الله عنها لما مرض أبوبكر مرضه الذى مات فيه فقال : انظروا مازاد فى مالى منذ دخلت فى الامارة فابعثوا به الى الخليفة . فنظرنا فاذا هو عبد نوبى يحمل صبيانه ، واذا ناضح كان يسقى بستانه ، فبعثنا بهما الى عمر فبكى عمر وقال رحمة الله على أبى بكر لقد أتعب من بعده تعبا شديدا . وفى رواية قال ابوبكر رضى الله عنه لعائشة انظرى يابنية فمازاد فى مال ابى بكر منذ ولينا هذا الأمر رديه على المسلمين فوالله مانلنا من أموالهم الا ما أكلنا فى بطوننا من جريش الطعام ، ولبسنا على ظهورنا من خشن ثيابهم ، فنظرت فاذا بكْرُ وجرد قطيفة لاتساوى خمسة دراهم ، فلما جاء بها الرسول الى عمر قال له عبدالرحمن بن عوف : يا أمير المؤمنين أتسلب هذا ولد أبى بكر ؟ قال : كلا ورب الكعبة ، لا يتأثم بها أبوبكر فى حياته وأتحملها بعد موته ، رحم الله أبابكر لقد كلف من بعده تعبا . وروى البغوى معناه فى معجمه بزيادة ولفظه : يابنية انى كنت أتجر قريش وأكثرهم مالا ، فلما شغلتنى الامارة رأيت أن أصيب من هذا المال فأصبت هذه العباءة القطوانية وحلايا وعبدا ، فاذا مت فاسرعى به الى ابن الخطاب ، يابنية ثيابى هذه كفنينى فيها . قالت عائشة فبكيت وقلت يا أبتى نحن أيسر من ذلك ، فقال : غفر الله لك وهل ذلك الا المهل ـ أى القيح والصديد ـ قالت فلما مات بعثت بذلك الى ابن الخطاب فقال : يرحم الله أباك لقد أحب ان لايترك لقائل مقالا .

فكل هذه الروايات لاتتعارض وانما جاءت بهذا الوضع بناء على رواية الراوى عن عائشة رضى الله عنه . واذا نظر الانسان فى هذه الحادثة وقايس بينها وبين ماجاء بعدها مما يأخذ الملوك والأمراء والسلاطين من بيت المال فى العصور التى بعد عصر الخلفاء الأربعة يظهر الفرق جليا ، ويعلم ان القناعة كانت مجسمة فى أبى بكر رضى الله عنه والعفة مالئة قلبه ، والا فالخليفة الذى مهد الله الاسلام على يديه فى عموم الجزيرة العربية بعد ارتداد العرب وفتح فارس والروم ، وقذفت الغنائم الطائلة عليه من فارس والروم يرضى من بيت

مال المسلمين الذى هو أوجد فيه المال وملأه بالغنائم بثلاثمائة دينار مرتبا سنويا له ، ولأهله . وعياله . ومواليه . وبشاة واحدة فى اليوم ، ولم يُسْمَح له بها الا بعد ان ترك الأمر وذهب الى السوق لأجل ان يتجر ؟ نعم ان أبابكر الصديق رضى الله عنه لم يتربع على دست الخلافة لأجل ان يستغل بيت مال المسلمين لنفسه ولأقربائه . وذويه ، كما وقع ذلك فى العصور التى جاءت بعده مثل العصر الأموى ، والعباسى ، ومابعدها من العصور وبسبب ذلك وقعت الفتن ، وخرجت الخوارج ، وساد التحاسد ، واستفحل الشر ، وكثرت البغضاء ، واتسع الشقاق ، وانما تنصب ابوبكر للخلافة لأجل ان يؤسس مركز الخلافة ويرسم شكلها لمن يأتى بعده ويعلمهم انه لايحق للخليفة ان يأخذ من بيت المال الا ماتمس اليه حاجته الضرورية ، وان الخليفة لم ينصب الا ليكون خادما للاسلام والمسلمين ولاعلاء كلمة الله تعالى ، ورفع شأن الاسلام وأهله ، ولذلك يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه . رحم الله أبابكر لقد كلف من بعده تعبا شديدا . ولونظرنا الى الثلاثمائة الدينار وأهميتها لوجدناها لا تقوم بمرتب أمير بلدة لشهر واحد فى هذا العصر ولذا ساد الأمر ، وأطاعته الرعية ، وعظم أمر الخليفة أبى بكر الصديق رضى الله عنه حتى عند من كان يرى نفسه مثله من كبار الصحابة وصارت اوامره تنفذ بسرعة البرق على أعظم رجل منهم ويتقبلون أوامره بصدر منشرح وقلب ملؤه الاخلاص .

* * *

تحريه في الحكم

كان الخليفة فى مبدأ امر الخلافة هو الامام فى الصلاة بالجماعة ، وهو القاضى ، وهو الذى يتفقد امور الرعية بنفسه ، وكذلك أمراؤه فى الولايات . فكان ابوبكر رضى الله عنه يتحرى فى الحكم لكونه هو القاضى فروى المحب الطبرى عن ميمون بن مهران قال : كان أبوبكر إذا ورد عليه الخصم نظر فى كتاب الله فان وجد فيه مايقضى بينهم قضى به ، وان لم يكن فى كتاب الله وعلم من رسول الله ﷺ قضى به ، إن لم يجد خرج فسأل المسلمين ، فقال : هل علمتم ان رسول الله ﷺ قضى فى ذلك بقضاء ؟ فربما اجتمع اليه النفر يذكرون من رسول الله ﷺ قضاء فيه ، فيقول ابوبكر : الحمدلله الذى جعل فينا من يحفظ علينا ديننا ، أو قال من يحفظ علينا سنة نبينا . خرجه الاسماعيل فى معجمه وصاحب فضائله . وعن قبيصة بن ذؤيب قال جاءت الجدة الى ابى بكر فسألته ميراثها ، فقال : مالك فى كتاب الله شىء ، وماعلمت لك فى سنة رسول الله ﷺ شيئا ، فارجعى حتى أسأل الناس . فسأل الناس فقال المغيرة بن شعبة : حضرت رسول الله ﷺ فاعطاها السدس . فقال ابوبكر : هل معك غيرك ؟ فقام محمد بن مسلمة الأنصارى فقال مثل ماقال المغيرة بن شعبة ، فانفذه لها أبوبكر . أخرجه الامام احمد ، وأبوداود ، والترمذى وصححه ابن ماجة .

فهكذا كان أبوبكر رضى الله عنه يتحرى فى الحكم ويخشى ان يحكم فى شىء بغير ما أنزل الله أو مالم يحكم به رسوله ﷺ ، وكل هذا التحرى هو لأجل ان لا يتحمل ظلامة أحد . فلو أن كل انسان ممن ولى الحكم وبالأخص القضاة ، راقب الله تعالى وتَثَبت تثبُتَ أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى كل مايقضى به لأصبح الناس بخير ، فعسى الله ان يسدد خطانا .

جمعه للقرآن

كان أبوبكر الصديق رضى الله عنه ممن حفظ القرآن جميعه ، قال ذلك النووى رحمه الله فى التهذيب ، والحافظ ابن كثير فى تفسيره ، وقال ابن كثير ايضا كان الصديق رضى الله عنه أقرأ الصحابة ، وروى البخارى عن زيد بن ثابت قال : أرسل الىّ أبوبكر مقتل اهل اليمامة وعنده عمر فقال أبوبكر ان عمر أتانى فقال ان القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس وانى لاخشى ان يستحر القتل بالقراء فى المواطن فيذهب كثير من القرآن الا ان يجمعوه ، وانى لأرى ان يجمع القرآن . قال ابوبكر فقلت لعمر كيف افعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ، فقال عمر هو والله خير فلم يزل عمر يراجعنى فيه حتى شرح الله لذلك صدرى فرأيت الذى رأى عمر ، قال زيد وعمر عنده جالس لايتكلم ، فقال أبوبكر انك شاب عاقل ولانتهمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ ، فتتبع القرآن فاجمعه (قال زيد) فوالله لو كلفنى نقل جبل من الجبال ماكان أثقل علىّ مما أمرنى به من جمع القرآن ، فقلت كيف تفعلان شيئا لم يفعله النبى ﷺ ؟ فقال أبوبكر هو والله خير ، فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر ، فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعشب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة بن ثابت لم أجدهما مع غيره (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) الى آخرها ، فكانت الصحف التى جمع فيها القرآن عند أبى بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنها . وأخرج أبويعلى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال أعظم الناس أجرا فى المصاحف ابوبكر كان اول من جمع القرآن بين اللوحين . هذا ماروواه السيوطى فى تاريخ الخلفاء .

مكارم أخلاقه

روى السيوطى فى تاريخ الخلفاء قالت أنيسة نزل فينا ابوبكر ثلاث سنين قبل ان يستخلف وسنة بعد ما استخلف فكان جوارى الحى يأتينه بغنمهن فيحلبهن لهن فلما بويع بالخلافة قالت جارية منهم الآن لا يحلب لنا منائح دارنا . فسمعها فقال : بلى لعمرى لأحلبنها لكم وانى لأرجو ان لايغيرنى مادخلت فيه . وكان يحلب لهن . قال ابوصالح الغفارى ان عمر بن الخطاب كان يتعهد عجوزاً كبيرة عمياء فى بعض حواشى المدينة من الليل فيسقى لها ويقوم بأمرها ، فكان اذا جاءها وجد غيره قد سبقه اليها فاصلح ما أرادت . فجاءها غير مرة كيلا يسبق اليها فرصده عمر فاذا هو بأبى بكر الذى يأتيها وهو يومئذ خليفة فقال عمر أنت هو لعمرى .

فانظر الى جسامة مكارم الأخلاق فى امير المؤمنين الذى يتفقد عجوزا عمياء ويتسابق مع عمر لخدمتها وكل واحد لايشعر بصاحبه والذى ذكرته هو واحد من الآف وليس هذا محل ايراده وانما اتينا بحادثتين لأجل ان يعلم القارىء كيف كانت اخلاق الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم فاذا قايسنا بينهم وبين من أتى بعدهم وجدنا الفرق بينا حيث انهم قد استغلوا الخلافة لأنفسهم وجعلوا بيت المال غلة لأنفسهم فيمنحون منه الألوف وعشرات الألوف لمن يتزلف لهم ويحرمون عامة الناس وخاصتهم ممن لم يتزلف ، وحجبوا أنفسهم عن الرعية فلا يرون ظلامة المظلوم ولا حاجة المحتاج ، وكأن الخلافة فى نظرهم هى العلوّ والرفعة والاحتجاب عن الأمة والتى لولا تكاتفها لما وجد الخلفاء للخلافة مركزا ، فكان من عملهم ذلك تفرق المسلمين وصرف القلوب عنهم وكانوا سببا لاثارة الفتن بين المسلمين وتشيعهم شيعا ، وبذلك تدهورت عروشهم وتهدمت قصورهم وتمزقت جلابيبهم . فلو تبصروا فى الأمر وتتبعوا سير خليفتهم الأول واقتبسوا من اخلاقه لما وصلوا الى ماوصلوا اليه ولا حول ولاقوة الا بالله .

أمراؤه ، وعماله ، وكتابه ، وقضاته

ولما ولى أبوبكر الخلافة قال له أبوعبيدة بن الجراح انا أكفيك المال فكان على بيت المال الى مسيره الى الشام . وقال له عمر بن الخطاب أنا أكفيك القضاء ومكث سنة لا يأتيه رجلان يتحاكمان على يديه . وكان على بن ابى طالب يكتب له ، وكذلك زيد بن ثابت ، وعثمان بن عفان ، وكان يكتب له من حضر . وكان عامله على مكة عتاب بن أسيد ومات فى اليوم الذى مات فيه ابوبكر ، وعامله على الطائف عثمان بن ابى العاص ، وعلى صنعاء المهاجر بن ابى امية ، وعلى حضر موت زياد بن لبيد الأنصارى ، وعلى خولان يعلى بن منبه ، وعلى زبيد ، ورمع ، أبوموسى الأشعرى ، وعلى الجند معاذ بن جبل ، وعلى البحرين العلاء بن الحضرمى . وبعث أبوبكر رضى الله عنه جرير بن عبدالله البجلى الى نجران ، وعبدالله بن ثور الى جرش ، وعياض بن غنم الى دومة الجندل . وكان الأمراء بالشام على الجند أبوعبيدة بن الجراح ، وشرحبيل بن حسنة ، ويزيد بن ابى سفيان وعمر بن العاص ، وكل رجل من هؤلاء كان له قسم من الجند ، وكان على الجميع خالد بن الوليد فى آخر حياته كما تقدم وعلى العراق المثنى بن حارثة بعد خالد بن الوليد .

* * *

نساؤه ، وأولاده

تزوج أبوبكر رضى الله عنه فى الجاهلية قتيلة ابنة عبدالعزى بن عبد من بنى عامر ابن لؤى فولدت له عبدالله ، وأسماء ذات النطاقين .. وتزوج ايضا فى الجاهلية ام رومان بنت عامر بن عمير فولدت له عبدالرحمن ، وعائشة أم المؤمنين . وتزوج فى الاسلام أسماء بنت عميس وكانت قبله عند جعفر بن ابى طالب فولدت له محمدا . وتزوج ايضا فى الاسلام حبيبة بنت خارجة بن زيد الخزرجية الأنصارية وكانت حاملا حين توفى أبوبكر رضى الله عنه فولدت له بعد وفاته أم كلثوم . فكانت زوجاته أربعا اثنتان فى الاسلام واثنتان فى الجاهلية ، وأولاده الذكور ثلاثة والاناث ثلاث رضى الله عنهم أجمعين .

* * *

فضائله ، وعاداته

تقدم كثير منها فى الأجزاء الأربعة من القسم الأول الذى هو حياة سيد العرب ﷺ منها سابقيته للاسلام ودعاية أصدقائه اليه ، وصداقته لرسول الله ﷺ جاهلية واسلاما ، وقوله ﷺ ما دعوت احدا الى الاسلام الا كانت له عنه كبوة غير ابى بكر وكان صاحبه في الغار ورفيقه فى الهجرة إلى المدينة وشهد بدرا ، وأحُدا ، والخندق وعموم المشاهد مع رسول الله ﷺ ، واعتق سبعة كلهم كانوا يعذبون على الاسلام ، وقد سبق ذكر اسمائهم فى اول من اسلم . وانفق رأسماله وهو اربعون الفا فى سبيل الله وعلى رسول الله ﷺ مع ماكسب من التجارة . وكان له بيت مال بالسنح وكان يسكن فيه الى ان انتقل إلى المدينة ، فقيل له الا نجعل عليه من يحرسه ؟ قال لا ، فكان ينفق جميع مافيه على المسلمين فلا يبقى فيه شىء ، فلما انتقل الى المدينة جعل بيت المال معه فى داره ، وفى خلافته انفتح معدن بنى سليم ، وكان يسوى فى قسمته بين السابقين الأولين والمتأخرين فى الاسلام وبين الحر والعبد والذكر والأنثى ، فقيل له : لتقدم أهل السبق على قدر منازلهم . فقال : انما اسلموا لله ووجب أجرهم عليه يوفيهم ذلك فى الآخرة ، وانما هذه الدنيا بلاغ . وكان يشترى الأكسية ويفرقها فى الأرامل فى الشتاء . ولما توفى أبوبكر جمع عمر الأمناء وفتح بيت المال فلم يجدوا فيه شيئا غير دينار سقط من غرارة فترحموا عليه . ومما يروى عنه رضى الله عنه أن زوجته اشتهت حلوا ، فقال : ليس لنا مانشترى به . فقالت انا استفضل من نفقتنا فى عدة ايام مانشترى به قال : افعلى . ففعلت ذلك فاجتمع لها فى أيام كثيرة شىء يسير ، فلما عرفته بذلك ليشترى به حلوا أخذه فرده الى بيت المال وقال هذا يفضل عن قوتنا واسقط من نفقته بمقدار مانقصت كل يوم وغرمه لبيت المال من ملك كان له . هذا والله هو التقى الذى لامزيد عليه والذى يعجز كل انسان ان يعمل عمله هذا . قال أبوجعفر الطبرى فى حق ابى بكر : وكان رضى الله عنه

سخيا لينا عالما بأنساب العرب وفيه يقول خفاف بن ندبة فى مرثية أبى بكر :

أبلــج ذو عرف وذو منكر مقســم المعــروف رحــب الغِناء
للمجــد فى منزلــه باديا حوض رفيــع لم يخنــه الازاء
والله لا يدرك أيامه ذو مِئــزر حاف ولا ذو رِداء
من يَسْــعَ كى يدرك أيامه يجتهــد الشَّــدَّ بأرض فضاء

قال الحافظ بن كثير يصف أبابكر : وكان ذا مال جزيل فى قومه ومروءة تامة واحسان وتفضل فيهم كما قال ابن الدغنة انك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الدهر ، وتقرى الضيف . وقال النووى : وكان يعنى ابابكر من رؤساء قريش فى الجاهلية وأهل مشورتهم ومحببا فيهم وأعلم لمعالمهم ، فلما جاء الاسلام آثره على ماسواه ودخل فيه أكمل دخول . واخرج ابن عساكر بسند صحيح عن عائشة رضى الله عنها قالت : والله ماقال ابوبكر شعرا قط فى جاهلية ولا اسلام ، ولقد ترك هووعثمان شرب الخمر فى الجاهلية . وقالت عائشة رضى الله عنها : لقد كان حرم ابوبكر الخمر على نفسه فى الجاهلية . قال ابوالعالية الرياحى : قيل لأبى بكر الصديق فى مجمع من أصحاب رسول الله ﷺ هل شربت الخمر فى الجاهلية ؟ فقال : أعوذ بالله . فقيل : ولم ؟ قال : كنت اصون عرضى وأحفظ مروأتى ، فان من شرب الخمر كان مضيعا فى عرضه ومروءته ، قال فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال « صدق ابوبكر ، صدق أبوبكر » مرتين . هذا ابوبكر رضى الله عنه يصف الخمر بأنها مضيعة للعرض والمروءة وهو وصف وجيز شامل كامل لكل ماينبغى ان توصف به الخمر من الحطة والقذارة والخسة والشر والفضيحة واسقاط المروءة وغير ذلك من ضروب الذم فليعتبر شاربوها وليفيئوا من غيهم وليعلموا ان من الأمم المتمدنة فى هذا العصر الذى هو عصر الخلاعة والدعارة من حرم الخمر على امته وهى امريكا وقد حذا حذوها جمعيات كثيرة من مفكرى اوروبا وهى لاتزال قائمة تنصح الناس وترشدهم الى ترك الخمر لأنه قد تحقق ضررها من جهة الطب الحديث كما انه تحقق ضررها من الوجهة والاقتصادية والاجتماعية فكم أذهب الخمر من نفوس ، وأوقد من جنايات ، وضحى من ارواح واباد من ثروات ، وأهلك عائلات فهو رأس كل بلاء فى المجتمع الانسانى ، فأول من اكتشف مضاره الاسلام وصرح بها القرآن ، وتمشى فى تحريمها بحكمة بالغة ، لأن الخمر كان من اعظم ملاذ العرب حتى كانوا يحملونها من الشام الى الحجاز

لشدة غرامهم بها حتى لم تمض مدة وجيزة الا وتركها الناس كليا وصارت عندهم من اعظم المنكرات الهم الله شاربيها رشدهم . فهذا قليل من كثير مما ورد فى حق ابى بكر الصديق رضى الله عنه . فهو مثال الفضائل ، والمكارم ، والشهامة ، والمروءة ، والعفة ، والسخاء ، والنجدة ، والعدل ، والانصاف ، والحكمة ، فقد تجسمت فيه مكارم الأخلاق اعظم تجسم رضى الله عنه وارضاه .

وكان نقش خاتم ابى بكر رضى الله عنه (نعم القادر الله) قال ابن جرير ولم يعش ابو قحافة بعد ابى بكر الا ستة اشهر واياما وتوفى فى المحرم سنة اربع عشرة بمكة وهو ابن سبع وتسعين سنة . وابوقحافة هو والد ابى بكر الصديق رضى الله عنهما .

* * *

بشارة أبي بكر بالجنة

روى المحب الطبرى عن ابى موسى الأشعرى رضى الله عنه انه خرج الى المسجد فسأل عن النبى ﷺ فقالوا : توجه ههنا ، قال فخرجت فى اثره حتى دخل بئر اريس فجلست عند الباب وبابها من جريد حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته فتوضأ فقمت اليه فاذا هو جالس على بئر اريس وقد توسط قفها ، فجلست عند الباب وقلت لأكونن بوابا للنبى ﷺ ، فجاء أبوبكر فدفع الباب فقلت من هذا ؟ قال ابوبكر فقلت على رسلك ثم ذهبت الى رسول الله ﷺ فقلت هذا أبوبكر يستأذن فقال : « ائذن له وبشره بالجنة » فأقبلت حتى قلت لأبى بكر : أدخل فرسول الله ﷺ يبشرك بالجنة . فدخل ابوبكر فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه فى القف ودلى رجليه فى البئر كما صنع رسول الله ﷺ وكشف عن ساقيه ، ثم رجعت فجلست وقد تركت اخى يتوضأ ويلحقنى فقلت ان يرد الله بفلان خيرا يريد اخاه يأت به فاذا انسان يحرك الباب فقلت من هذا ؟ فقال عمر بن الخطاب ، فقلت على رسلك ، ثم جئت الى النبى ﷺ فقلت هذا عمر بن الخطاب يستأذنك فقال « ائذن له وبشره بالجنة » فجئت فقلت : أدخل ويبشرك رسول الله ﷺ بالجنة . فجلس مع رسول الله ﷺ فى القف عن يساره ودلى رجليه فى البئر فرجعت وقلت ان يرد الله بفلان خيرا يأت به ، الى آخر الرواية . وقد تقدم فى أول هذا الجزء شىء من ذلك فى بشارته بالجنة كما انه قد ورد فى حقه كثير من الأحاديث عن النبى ﷺ فى فضله والثناء عليه ، وكذلك قد اثنى عليه عموم أصحاب رسول الله ﷺ ، وكل ذلك قد دونه العلماء فى مؤلفات مخصوصة ، وقد اثبت علماء السنة بالاجماع ان ابا بكر الصديق رضى الله عنه أفضل الصحابة على الاطلاق ، وأفضل أمة محمد ﷺ ، وأفضل الناس عموما بعد الأنبياء والمرسلين ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

الأحاديث المروية عنه

كان عموم الأحاديث التى رواها الحفاظ عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه لاتتجاوز المائة والخمسين حديثا . وذلك لأن أبا بكر رضى الله عنه لم تطل ايامه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأنه كان مشغولا بتجييش الجيوش وقتال اهل الردة وفتح فارس والروم . قال النووى فى تهذيبه : روى الصديق عن رسول الله ﷺ مائة حديث واثنين واربعين حديثا . وسبب قلة روايته انه تقدمت وفاته قبل انتشار الأحاديث واعتناء التابعين بسماعها وتحصيلها وحفظها . مع ان ابا بكر رضى الله عنه كان اكثر اصحاب رسول الله ﷺ ملازمة لرسول الله ﷺ ومتابعة له ، وقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خبر بيعة ابى بكر فى سقيفة بنى ساعدة : ان أبابكر لم يترك شيئا أنزل فى الأنصار أو ذكره رسول الله ﷺ فى شأنهم الا ذكره . وهذا أدل دليل على كثرة محفوظاته من السنة وسعة علمه بالقرآن ، غير ان الرواة لم يتلقوا عنه الشىء الكثير للأسباب المتقدمة .

وقد روى كثير من كبار الصحابة عن ابى بكر رضى الله عنه احاديث واليك من عرفت اسماءهم : (١) عمر بن الخطاب ، (٢) عثمان بن عفان ، (٣) على بن أبى طالب ، (٤) عبدالرحمن بن عوف ، (٥) عبدالله بن مسعود ، (٦) حذيفة بن اليمان ، (٧) عبدالله بن عمر ، (٨) الزبير بن العوام (٩) عبدالله بن عمرو بن العاص ، (١٠) عبدالله بن عباس (١١) أنس بن مالك (١٢) زيد بن ثابت (١٣) البراء بن عازب (١٤) أبوهريرة (١٥) عقبة بن الحارث (١٦) ابنه عبدالرحمن (١٧) زيد بن ارقم (١٨) عبدالله بن مغفل (١٩) عقبة بن عامر الجهنى (٢٠) عمران بن حصين (٢١) ابوبرزة الأسلمى (٢٢) ابوسعيد الخدرى (٢٣) ابوموسى الأشعرى (٢٤) أبوالطفيل الليثى (٢٥) جابر بن عبدالله (٢٦) بلال بن

رباح (٢٧) عائشة ام المؤمنين (٢٨) أسماء بنت ابى بكر الصديق . فهؤلاء من روى عنه من عظماء الصحابة رضى الله عنهم اجمعين . واما التابعون لهم باحسان فهم كثيرون فلم اذكرهم لكثرتهم . وقد أورد السيوطى رحمه الله تعالى فى عموم الأحاديث التى رواها أبوبكر الصديق رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ فى ترجمته فى تاريخ الخلفاء ولم أدرجها هنا خشية الاطالة .

❊ ❊ ❊

مواعظه ، وحكمه ، وورعه

أما مواعظ أبى بكر الصديق رضى الله عنه وورعه وحكمه المأثورة عنه فكثيرة جداً واليك بعض شىء منها ، أخرج البخارى عن قيس بن أبى حازم قال دخل أبو بكر على امرأة من أحمس يقال لها زينب فرآها لا تتكلم ، فقال : ما لها لا تتكلم ؟ فقالوا حجت مصمتة ، قال لها : تكلمى فان هذا لا يحل ، هذا من عمل الجاهلية ، فتكلمت فقالت : من أنت ؟ قال : أمرؤ من المهاجرين . قالت أى المهاجرين ؟ قال من قريش ، قالت من أى قريش ؟ قال : انك لسؤول ، أنا ابو بكر ، قالت ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذى جاء الله به بعد الجاهلية ؟ قال بقاؤكم عليه ما استقامت أئمتكم ، قالت وما الأئمة ؟ قال : او ما كان لقومك رؤساء وأشراف يأمرونهم فيطيعونهم ؟ قالت بلى ، قال فهم أولئك الناس . فموضع الحكمة هنا من هذه الرواية هو جواب أبى بكر على قولها : ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح ؟ فقال : ما استقامت أئمتكم ، ومعناه أن الأمة لا تستقيم الا اذا استقام إمامها ، أو زعيمها ، أو ولى أمرها ، لأنه هو القائد المطاع فاذا استقام استقامت الأُمَّة ، واذا اعوج تدهورت الأمة ، حيث هو الرأس والأمة الجسد وقد حدثنا التاريخ عن سحق كثير من الأمم بسبب فساد ولاتها وتقويض كثير من العروش بسبب فساد اخلاق ملوكها وسلاطينها لأن فساد الراعى مثل الوباء يسرى بسرعة البرق فى جسم الرعية فما اسرع ما يفتك فيها حتى يمحوها وأخرج البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت كان لأبى بكر غلام يخرج له الخراج ، وكان أبو بكر يأكل من خراجه ، فجاء يوما بشىء فأكل منه أبو بكر ، فقال له الغلام : تدرى ما هذا ، قال أبو بكر : ما هو؟ قال كنت تكهنت لانسان فى الجاهلية وما أُحْسِنُ الكهانة الا انى خدعته فلقينى فأعطانى هذا الذى أكلت منه ، فأدخل ابو بكر يده فقاء كل شىء فى بطنه ،

فهذه صورة من ورع أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فاذا تأمل الانسان فى هذه الحادثة يظهر له ان المرء لا يكمل الا اذا كان على تقوى من الله تعالى ، وعلى خشية من عقابه ، فاذا كان على شيء من ذلك اجتنب المحارم ، والمشتبه فيه ، فلما ظهر لأبى بكر رضى الله عنه ان ما أكله كان ريع خداع مُحَرَّم قاء كل ما أكله ليطهر ظاهره وباطنه من كل حرام ومشتبه فيه فلو ان الناس اقتدوا بخليفتهم الأول فى أعماله أو بعضها لأصبحوا بخير ، وليس ذلك من الأمور الصعبة فالحلال بَينّ ، والحرام بَينّ ، والمرء كيف ما كانت حالته فهو مرزوق أينما حَلَّ وارتحل ، لأن رزقه يتبعه مثل ظله ، فينبغى على كل انسان كَيّس أن يُعَوّد نفسه على تتبع الحلال ، ويجتنب الحرام ، فمتى عَوّد نفسه على ذلك صار طبيعة فيه ، وأصبح استعمال الحرام ، أو المكروه ، أو المشبوه ، وما فى معنى ذلك من الأمور المبغوضة عنده وتنفر منه طبيعته لأن الطبع السليم ينفر من كل قذر ، ورجس ، ومكروه وأما اذا تساهل فى ذلك وعود نفسه على أكل المشبوه سهل عليه أكل الحرام ، ومتى أكل الحرام استحله ، ومتى استحل الحرام خسر الدنيا والآخرة ، واذا تأمل الانسان بدقة فى استباحة أكل الحرام وما فى معناه يظهر له أن ذلك هو من أعظم الأمور التى اوجبت التشاحن والبغضاء بين الناس وجرأتهم على أكل أموال بعضهم بعضا بغير حق مشروع ، ولذلك تجد الوَصّى يستحل أكل مال اليتيم بحيلة متأولا ، والوكيل يختلس من مال موكله بحيلة متأولا ، والمديون يتأبى عن تسديد ما عليه من الديون لدائنه مع اليسار متأولا ، وصاحب الثروة يضن بزكاة ماله على أخيه الفقير باستعمال حيلة متأولا ، مع أن كل هذه الحيل والتأولات التى يسندونها الى التشريع الاسلامى كذب وافتراء على الاسلام ، وهى غش محض وخدعة قد حرمها الاسلام ، وما جاء الاسلام الا ليظهر الحقائق ويمحو ضروب الحيل والغش وما فى معنى ذلك من الأرض ، ويطهر الدنيا من الرجس والمكر والخدعة وكل ما أفشاه اليهود فى كل عصر ومصر من الحيل بقصد الاستثمار غيرالعادل ، وقد نادى الاسلام بأعلى صوته بتحريم كل ذلك ، وبهدم كل حيلة ومكر وخدعة ، وغش ، مبطلا لكل تأويل فيه اختلاس الأموال ، واستباحة المحرم ، وجواز المكروه ، وأبان لمعتنقيه أن ذلك ينافى العدل والانصاف ولو كانت هذه التأولات جائزة لتأول الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضى الله عنه بأن ما أكله كان من كسب غيره ، وذنبه على مكتسبه ، وأنه لم يأمر به ، والذنب لا يتعدى فاعله ، وغير ذلك من التأولات التى يستعملها كثير من أرباب

الحيل فى العصر الحاضر ويسندونها الى الشرع الذى جاء بتحريمها مع ان هذه الحيل يبرأ منها كل تشريع سماوى . وانى لا أشك ان بعض هؤلاء يعلم ان كل ما هو مبنى على المكر والخدعة والحيل محرم فى كل الاديان المنزلة من عند الله تعالى على أنبيائه ورسله ، وان ما دونه بعض المحتالين فى بعض الكتب باسم الحيل الشرعية فالاسلام برىء منها ومن مؤلفيها ، وانْ ما أدخلوه فيها من الآيات القرآنية مثل قوله تعالى (وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث) وقول النبى صلى الله عليه وسلم للرجل الذى أقر بالزنا ((لعلك مسست)) ليس هو من الحيل التى مبناها على استباحة المحرمات ، وأكل الأموال بغير حق ولم يكن ذلك من الحيل فى شىء لان الحيلة غير هذا وانما كان ذلك لتخفيف العقاب على المذنبين رحمة بهم وشفقة عليهم ، فظهر ان ذلك كان قياسا مع الفارق ، وان لا حيلة على الله تعالى وهو يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، اللهم ألهم المسلمين رشدهم .

* * *

خطب أبي بكر الصديق

كان الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضى الله عنه من أفصح العرب لسانا ، وأوضحهم بيانا ، وأبلجهم حجة ، وأعظمهم محجة ، وأبلغهم منطقا ، وأقواهم تأثيرا ووقعا فى النفوس ، وأخطبهم فى المواقف الحرجة ، وما يوم سقيفة بنى ساعدة ببعيد ، وهو من أقوى الادلة على صحة ذلك ، حيث أن الخطابة لم تكن عبارة عن رفع العقيرة ، وشقشقة اللسان ، وجعجعة الصوت ، وتنميق الكلام الأجوف ، بل الخطابة مبناها على القول الأبلج المؤثر فى قلوب السامعين ، والكلم المثير للأنفس الميتة ، والجمل الموقظة للقلوب الجامدة ، والحكم المحللة للاذهان المتحجرة ، والحجج الدامغة لكل قول أجوف ، لأن البلاغة من القول ما كان مؤثرا فى النفوس وباعثا لانهاض القلوب الميتة الى الحياة ومثيراً للأمم من سباتها العميق ، الى العلياء ، ومحركا لعواطفها المنحلة الى النهوض واليك بعضا مما نقله المؤرخون من خطب أبى بكر الصديق رضى الله عنه ليظهر لك معنى الخطابة باظهر معانيها .

أخرج ابن عساكر عن موسى بن عقبة أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان يخطب فيقول : الحمد لله رب العالمين احمده ، واستعينه ، ونسأله الكرامة فيما بعد الموت ، فانه قد دنا اجلى واجلكم ، وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله أرسله بالحق بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا ، لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ، ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد ضل ضلالا مبينا ، أوصيكم بتقوى الله والاعتصام بأمر الله الذى شرع لكم وهداكم به ، فان جوامع هدى الاسلام بعد كلمة الاخلاص السمع والطاعة لمن ولاه الله امركم ، فانه من يطع الله وأولى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقد أفلح وأدى الذى عليه من الحق واياكم واتباع الهوى ، فقد افلح

من حفظ من الهوى والطمع والغضب ، واياكم والفخر وما فخر من خلق من تراب ، ثم الى التراب يعود ، ثم يأكله الدود ، ثم هو اليوم حيٌ وغداً ميت ، فاعملوا يوما بيوم ، وساعة بساعة ، وتوقوا دعاء المظلوم ، وعدوا أنفسكم فى الموتى ، واصبروا ، فان العمل كله بالصبر ، واحذروا ، والحذر ينفع ، واعملوا ، والعمل يقبل ، واحذروا ما حذركم الله من عذابه ، وسارعوا فيما وعدكم الله من رحمته ، وافهموا وتفهموا ، واتقوا وتوقوا ، فان الله قد بين لكم ما أهلك به من كان قبلكم ، وما نحى به من نحى قبلكم ، قد بين لكم فى كتابه حلاله وحرامه ، وما يحب من الاعمال وما يكره ، فانى لاآلوكم ونفسى والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله ، واعلموا انكم ما أخلصتم لله من أعمالكم فربكم أطعتم ، وحظكم حفظتم ، واغتبطتم ، وما تطوعتم به لدينكم فاجعلوه نوافل بين أيديكم تستوفوا لسلفكم ، ولا تعطوا جرايتكم حين فقركم وحاجتكم اليه ، ثم تفكروا عباد الله فى اخوانكم وصحابتكم الذين مضوا قد وردوا على ما قدموا فاقاموا عليه ، وحلوا فى الشقاء والسعادة فيما بعد الموت ، ان الله ليس له شريك ، وليس بينه وبين احد من خلقه نسب يعطيه به خيرا ولا يصرف عنه سوءاً الا بطاعته واتباع أمره ، فانه لا خير فى خير بعده النار ، ولا شر فى شر بعده الجنة ، أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم ، وصلوا على نبيكم ﷺ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ومن خطبه الوعظية مارواه الحاكم والبيهقى عن عبد الله بن حكيم قال خطبنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه فحمد الله واثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أوصيكم بتقوى الله وان تثنوا عليه بما هو له أهل ، وأن تخلصوا الرغبة بالرهبة ، فان الله تعالى أثنى على زكريا وأهل بيته فقال (انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) ثم اعلموا عباد الله ان الله قد ارتهن بحقه أنفسكم وأخذ على ذلك مواثيقكم ، واشترى منكم القليل الفانى بالكثير الباقى ، وهذا كتاب الله فيكم لا يطفأ نوره ، ولا تنقضى عجائبه ، فاستضيئوا بنوره ، وانتصحوا كتابه ، واستضيئوا منه ليوم الظلمة فانه انما خلقكم لعبادته ، ووكل بكم كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ، ثم اعلموا عباد الله انكم تغدون وتروحون فى اجل قد غيب عنكم علمه ، فان استطعتم ان تنقضى الآجال وأنتم فى عمل الله فافعلوا ولن تستطيعوا ذلك الا باذن الله ، سابقوا فى آجالكم قبل ان تنقضى أجالكم فتردكم الى أسوأ أعمالكم ، فان قوما جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم ، فأنهاكم

أن تكونوا أمثالهم ، فالوحا الوحا ، ثم النجا النجا ، فان وراءكم طالبا حثيثا أمره سريع .

وقال أبو بكر رضى الله عنه فى خطبة : أين الوضاة الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم ؟ أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها ؟ أين الذين كانوا يعطون الغلبة فى مواطن الحرب ؟ قد تضعضع أركانهم حين أخنى بهم الدهر ، وأصبحوا فى ظلمات القبور ، الوحا ، الوحا ، ثم النجا ، النجا ، روى ذلك السيوطى فى تاريخ الخلفا .

ومن خطبه رضى الله عنه بعد حمد الله تعالى والثناء عليه بما هو أهله والصلاة على نبيه ﷺ قال : ان أشقى الناس فى الدنيا والآخرة الملوك .فرفع الناس رؤوسهم ، فقال : ما لكم أيها الناس : انكم لطعانون عجلون ، ان من الملوك من اذا ملك زهده الله فيما بيده ، ورغبه فيما بيد غيره وانتقصه شطر أجله وأشرب قلبه الاشفاق ، فهو يحسد على القليل ، ويسخط على الكثير ، ويسأم الرخاء ، وتنقطع عنده لذة البقاء ، لا يستعمل العبرة ، ولا يسكن الى الثقة ، فهو كالدرهم القيسى ، والسراب الخادع ، جذل الظاهر حزين الباطن ، فاذا وجبت نفسه ، ونضب عمره ، وضحى ظله ، حاسبه الله فأشد حسابه وأقل عفوه ، الا وان الفقراء هم المرحومون ألا ان من آمن بالله حكم بكتابه وسنة نبيه ﷺ وانكم اليوم على خلافة نبوة ، ومفرق محجة ، وسترون بعدى مُلْكاً عضوضا ، ومَلِكاً عنودا ، وأمة شحاحا ، ودما مباحا ، فان كانت للباطل نزوة ، ولأهل الحق حولة ، يعفو لها الأثر ، ويموت لها الخبر ، فالزموا المساجد ، واستشيروا القرآن واعتصموا بالطاعة ، وليكن الابرام بعد التشاور ، والصفقة بعد طول التناظر ، أى بلاد جرشة ان الله سيفتح لكم أقصاها كما فتح عليكم ادناها .

ومن خطبه أيضا قال : الحمد لله أحمده ، واستعينه ، واستغفره ، وأومن به ، وأتوكل عليه ، واستهدى الله بالهدى ، وأعوذ به من الضلالة والردى ، ومن الشك والعمى ، من يهد الله فهو المهتدى ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت ، يعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شىء قدير ، واشهد ان محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون الى الناس كافة رحمة لهم وحجة عليهم ، والناس حينئذ على شر حال فى ظلمات الجاهلية ، دينهم بدعة ، ودعوتهم فرية فاعز الله الدين بمحمد ﷺ وألف بين قلوبكم أيها المؤمنون ، فأصبحتم بنعمته اخوانا

وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ، فاطيعوا الله ورسوله فانه قال عز وجل (من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا) أما بعد أيها الناس انى اوصيكم بتقوى الله العظيم فى كل أمر ، وعلى كل حال ، ولزوم الحق فيما أحببتم وكرهتم ، فانه ليس فيما دون الصدق من الحديث خير ، من يكذب يفجر ، ومن يفجر يهلك ، واياكم والفخر ، وما فخر من خلق من التراب والى التراب يعود ، هو اليوم حيٌ وغدا ميت ، فاعلموا وعدوا أنفسكم فى الموتى ، وما أشكل عليكم فردوا علمه الى الله ، وقدموا لانفسكم خيرا تجدوه محضراً ، فانه قال عز وجل (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد) فاتقوا الله عباد الله وراقبوه واعتبروا بمن مضى قبلكم ، واعلموا انه لابُدَّ من لقاء ربكم والجزاء بأعمالكم صغيرها وكبيرها الا ما غفر الله انه غفور رحيم ، فأنفسكم أنفسكم ، والمستعان الله ولا حول ولا قوة الا بالله ، ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ، اللهم صل على محمد عبدك ورسولك أفضل ما صليت على أحد من خلقك وزكنا بالصلاة عليه وألحقنا به واحشرنا فى زمرته واوردنا حوضه ، اللهم اعنا على طاعتك وانصرنا على عدوّك .

ومن خطبه رضى الله عنه قال : الحمد لله الذى أعزنا بالاسلام ، واكرمنا بالايمان ، ورحمنا بنبيه ﷺ فهدانا به من الضلالة وجمعنا به من الشتات ، وألف بين قلوبنا ، ونصرنا على عدوّنا ، ومكن لنا فى البلاد ، وجعلنا به اخوانا متحابين ، فاحمدوا الله على هذه النعمة ، واسألوه المزيد فيها ، والشكر عليها ، فان الله قد صدقكم الوعد بالنصر على من خالفكم ، واياكم والعمل بالمعاصى ، وكفر النعمة ، فقلما كفر قوم بنعمة ولم ينزعوا الى التوبة الا سلبوا عزهم ، وسلط عليهم عدوّهم ، ايها الناس ان الله قد أعز دعوة هذه الأمة وجمع كلمتها ، وأظهر فلجها ، ونصرها ، وشرفها ، فأحمدوه عباد الله على نعمه واشكروه على آلائه ، جعلنا الله واياكم من الشاكرين .

ومن خطبة ايضا بعد الحمد والثناء والصلاة على النبى ﷺ قال : أيها الناس انه قد أتى على زمان وأنا أرى أن قراءة القرآن تريدون به الله عز وجل وما عنده ، فخيل الىّ ان قوما قرأوه يريدون به الناس والدنيا ، الا فأريدوا الله باعمالكم ، الا انما كنا نعرفكم اذ ينزل الوحى واذ رسول الله بين اظهرنا ينبئنا من أخباركم ، فقد انقطع الوحى وذهب

النبى . فانما نعرفكم بالقول ، ألا من رأينا منه خيرا ظننا به خيرا وأحببناه عليه ، ومن رأينا منه شراً ظننا به شرا وأبغضناه عليه ، سرائركم بينكم وبين ربكم ، الا وانى انما أبعث عمالى ليعلموكم دينكم وسنتكم ، ولا ابعثهم ليضر بوا ظهوركم ويأخذوا أموالكم ، ألا من رابه شيء من ذلك فليرفعه الى فوالذى نفسى بيده لأقصنكم منه (عن العقد الفريد وغيره من دواوين الادب) .

وجاء فى العقد الفريد ان آخر كلام أبى بكر الذى اذا تكلم به عرف انه قد فرغ من خطبته : اللهم اجعل خير زمانى آخره ، وخير عملى خواتمه ، وخير أيامى يوم ألقاك .

هذا بعض ما وقفت عليه من خطب الخليفة الأول أبى بكر الصديق رضى الله عنه فمن تأمل هذه الخطب يظهر له شدة خوف أبى بكر من الله تعالى وعظيم وجله ، ذلك الصحابى الجليل الكبير الذى قد صحب النبى صلى الله عليه وسلم جاهلية واسلاما ، وصحبه فى سفر ، وحضره ، وغزواته ، وهجرته ، وفى الغار ، وهو أول من آمـن بنبوتـه وصدقه ، وأنفق ماله عليه ، وبشره النبى ﷺ بالجنة ، وبأن الله جل وعلا قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فلم يستحوذ عليه الغرور ، ولم يستول على قلبه العجب بما قدمت يداه فهو على الدوام فى وجل من الله تعالى ، ولم يأمن مكر الله الجبار القاهر فوق عباده ، فهكذا كان الرجل الكيّس العظيم الجليل الكبير ، فما بالك بمن أكبته الذنوب على وجهه ، وأغراه الجهل ، وأصبح أصمَّ ، أبْكَمَ ، أعمى ، قد أصمَّه الغرور ، وأعماه الجهل ، وأبكمه الغَيّ ، فترى كثيرا من أمثال هؤلاء الذين يرون فى انفسهم الكفاءة فى كل شيء يصعد على منصة الخطابة فى الاندية والمجتمعات ، ويرفع عقيرته بغير خجـل من الله تعـالى ويبتدىء الخطابة بدون ان يحمد الله تعالى ويثنى عليه بما هو أهله ، ولم يصل ويسلم على النبى ﷺ ، لأنه يرى فى ذلك حطة وحقارة ، وانه ان فعل ذلك رمى بالجمود والرجعية ، ويعد نفسه انه من خطباء الاسلام المتمدنين الذين يشار اليهم بالبنان بغير خجل من الله والناس ، ولو فكر قليلا لعلم انه بعمله ذلك قد خرج عن هدى الاسلام واتبع الهوى . ان الانسان فى هذه الدنيا مغرور بأشياء كثيرة يتعذر عدها أو حصرها ، ولا يتذكر الموت الذى هو أقرب اليه من حبل الوريد الا اذا اشتد به المرض ، ونخل عظمه الألم ، وتلاشى جسمه ، ولا يذكر ربه جل وعلا الا اذا ابتلى بمصيبة ، حمانا الله تعالى من ذلك ، وأما مادام فى صحة ، وعافية ، وغنى ، ورفعة ، فهو لا يدرى ما خبأه له الدهر من المصائب ،

ما العاقبة التى قدرت له فى الدنيا والآخرة أيعجل الله عليه العقاب فى الدنيا قبل الآخرة ؟ أم يتركه يرتع ويلعب ويرتكب المحارم ، ويسبح فى غيه وغروره ، ويؤجل عقابه الى يوم الفزع الأكبر ، يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد .

ان العاقل من راقب الله تعالى فى السرّ والعلانية وخشى بطشه ، واتعظ بغيره ، ونظر فى العواقب ، وسلك سبيل الهدى والرشاد ، واتبع سبيل المهتدين أمثال أبى بكر الصديق رضى الله عنه ذلك الذى لم تغره الخلافة ، ولا الصحبة ، ولا الرياسة ، ولا امارة المؤمنين ، ولا الحسب ، ولا النسب ، بل كان باكيا حزينا خوفا من غضب الله تعالى ، وخشية من عقابه ، هكذا كان دأب رجال الله الواصلين فتراهم على الدوام فى وَجَل وخوف لكونهم يعرفون الله تعالى ، ومن عرف الله تعالى اتقاه ، وراقبه فى عموم أعماله ، وخشيه فى كافة أحواله سواء الظاهرة منها أو الباطنة من قول وفعل وعمل آناء الليل وأطراف النهار وعمل بما امره الله تعالى من الطاعة ، والعبادة ، وفعل الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، ومواساة أهل الحاجة ولو بالكلم الطيب ، واستعمال الحلال ، والمباح ، وتجنب المحارم والمظالم وكل مكروه شرعا وعقلا ، والتباعد عن ايذاء الناس فى أعراضهم وأموالهم ، ومصالحهم وأنفسهم كما قال رسول الله ﷺ «اثنان لاتقربهما . الشرك بالله والاضرار بالناس» الهمنا الله الرشد ، ووفقنا لمرضاته ، وابعدنا عن المحارم ما ظهر منها وما بطن .

* * *

مرض أبي بكر

ذكر أصحاب التراجم ومتون الحديث جملة أسباب لمرضه منها عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال،كان سبب موت أبى بكر وفاة رسول الله ﷺ كمدا فمازال جسمه يجرى حتى مات – ومعنى يجرى أى ينقص – أخرجه الحاكم . ومنها عن ابن شهاب أن أبا بكر ، والحارث بن كلدة ، كانا يأكلان خزيرة أهديت لأبى بكر فقال الحارث لأبى بكر : ارفع يدك ياخليفة رسول الله ، والله ان فيها لسم سنة وأنا وأنت نموت فى يوم واحد فرفع يده فلم يزالا عليلين حتى ماتا فى يوم واحد عند انقضاء السنة ، أخرجه ابن سعد والحاكم بسند صحيح قال الزبير بن بكار كان به طرف من السل ، وقال غيره أصل ابتداء ذلك السل به الوجد على رسول الله ﷺ لما قبضه الله اليه فمازال ذلك به حتى قضى منه . ومنها عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت كان أول بدء مرض أبى بكر ان اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة وكان يوما باردا فحم خمسة عشر يوما لايخرج الى الصلاة وتوفى ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون سنة . أخرجه الحاكم ، وكذلك أخرجه ابن جرير فى تاريخه عن عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما فمن ذلك يتضح أن أبا بكر أول ماأصيب به من البلاء فى الدنيا هو انه حزن حزنا شديدا على وفاة رسول الله ﷺ وصار بعد ذلك جسمه ينتحل تدريجيا ثم أكل من الخزيرة أو الحريرة المسمومة وأثر السم فى جسمه ، ولما دنا الأجل اغتسل فاصابته الحمى فكانت فيها الوفاة . واخرج ابن سعد وابن أبى الدنيا عن أبى السفر قال دخلوا على أبى بكر فى مرضه فقالوا : ياخليفة رسول الله الا ندعو لك طبيبا ينظر اليك ؟ قال : قد نظر الىّ . فقالوا ما قال لك ؟ قال : انى فعال لما أريد . وكان يأمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى مرضه ان يصلى بالناس ، وكان يدخل عليه الناس يعودونه وهو

يثقل كل يوم . وكان نازلا فى داره التى قطع له رسول الله ﷺ ، وكان عثمان الزمهم له فى مرضه . وأوصى أن تغسله زوجته اسماء بنت عميس ويعينها ابنه عبد الرحمن بن أبى بكر ، وقالت عائشة أم المؤمنين أنه سألها أبو بكر فى كم كفن النبى ﷺ ، قالت فى ثلاثة أثواب ، قال : أغسلوا ثوبى هذين ، وكانا ممشقين وابتاعوا لى ثوبا اخر ، قالت : يا أبه انا موسرون ، قال : أى بنية الحىّ أحق بالجديد من الميت ، انما هما للمهلة والصديد . واخرج الامام أحمد عن عائشة رضى الله عنها قالت ان أبا بكر لما حضرته الوفاة قال : أى يوم هذا ؟ قالوا يوم الاثنين ، قال : فان مت من ليلتى فلاتنتظروا بى لغد فان أحب الأيام والليالى الىّ أقربها من رسول الله ﷺ . وقد أوصى بخمس ماله وقال آخذ من مالى ما أخذ الله من فيىء المسلمين ، أخرجه ابن سعد . واخرج أيضا عن عائشة رضى الله عنها قالت لما ثقل أبو بكر تمثلت بهذا البيت الشعرى :

لعمرك مايغنى الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال : ليس كذلك ، ولكن قولى (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ماكنت منه تحيد) ثم قال : أى يوم توفى رسول الله ﷺ ؟ قالت يوم الاثنين ، قال : أرجو فيما بينى وبين الليل فتوفى ليلة الثلاثاء ودفن قبل الصبح وأوصى أبو بكر رضى الله عنه عائشة أم المؤمنين أن يدفن الى جنب رسول الله ﷺ .

* * *

استخلاف أبي بكر عمر

كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه مشغولا بأمر المسلمين وهو فى شدة مرضه ولم يشغله المرض عن التفكر فى مصلحة أمته وبالاخص مسألة الخلافة وكان هو أعلم الناس بها وبطلابها ، وبالصالح لها ، ولم يشأ ان يتركهم فوضى خشية أن يكثر طلابها فينشقر الأمر بينهم وربما أفضى الى مالايحمد عقباه ، فأراد أن لاتغمض عيناه الا وقد اجتمعت الأمة على رجل منها ، فدعا أبو بكر رضى الله عنه عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فقال له : اخبرنى عن عمر بن الخطاب ؟ فقال : ماتسألنى عن أمر الا وأنت أعلم به منى . فقال أبو بكر وان ، فقال عبد الرحمن : ياخليفة رسول الله هو والله أفضل من رأيك فيه من رجل ولكن فيه غلظة ، فقال أبو بكر : ذلك لأنه يرانى رقيقا ولو أفضى الأمر اليه لترك كثيرا مما هو عليه ، ويا أبا محمد قد رمقتُه فرأيتنى اذا غضبت على رجل فى شىء أرانى الرضاء عنه ، واذا لنت له أرانى الشدة عليه ، لاتذكر ياأبا محمد مما قلت لك شيئا ، قال نعم . ثم دعا عثمان بن عفان فقال : ياأبا عبد الله أخبرنى عن عمر ؟ قال أنت أخبرُ به ، فقال أبو بكر : علىّ ذاك ياأبا عبد الله . قال عثمان : اللهم علمى به أن سريرته خير من علانيته ، وأن ليس فينا مثله . قال أبو بكر : رحمك الله ياأبا عبد الله لاتذكر مما ذكرت لك شيئا . قال أفعل ، فقال له أبوبكر : لو تركته ماعدوتك وما أدرى لعله تاركه ، والخِيَرَة له الا يلى من أموركم شيئا ولوددت أنى كنت خلْوا من أمركم ، وانى كنت فيمن مضى من سلفكم ، ياأبا عبد الله لاتذكرن مما قلت لك من أمر عمر ، ولا مما دعوتك له شيئا . ثم شاور أبو بكر رضى الله عنه سعيد بن زيد ، وأسيد بن حضير ، وغيرهما من المهاجرين والانصار فقال أسيد : اللهم أعلمه الخير بعدك يرضى للرضى ، ويسخط للسخط الذى يسر خير من الذى يعلن ، ولن يلى هذا الأمر أحد أقوى عليه منه ، ثم دخل عليه عبد الرحمن

ابن عوف فرآه مهتما فقال له عبدالرحمن : أصبحت والحمد لله بارئا . فقال أبوبكر رضى الله عنه : أتراه ؟ قال نعم ، قال : انى وليت أمركم خيركم فى نفسى ، فكلكم وَرِمَ أنفه من ذلك يريد أن يكون الأمر له دونه ، ورأيتم الدنيا قد أقبلت ولما تقبل وهى مقبلة حتى تتخذوا ستور الحرير ، ونضائد الديباج ، وتألموا الاضطجاع على الصوف الأذرِىّ ، كما يألم أحدكم ان ينام على حسك ، والله لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه فى غير حدّ خير له من أن يخوض فى غمرة الدنيا ، وأنتم أول ضال بالناس غدا فتصدونهم عن الطريق يمينا وشمالا ياهادى الطريق انما هو الفجر أو البحر . قال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فقلت له : خفض عليك رحمك الله فان هذا يهيضك فى أمرك ، انما الناس فى أمرك بين رجلين اما رجل رأى ما رأيت فهو معك ، واما رجل خالفك فهو مشير عليك وصاحبك كما تحب ، ولانعلمك أردت الاخيرا ولم تزل صالحا مصلحا ، وانك لاتـأسى على شىء من الدنيا ، قال أبو بكر رضى الله عنه : أجل انى لا آسى على شيىء من الدنيا الا على ثلاث فعلتهن وددت انى تركتهن ، وثلاث تركتهن وددت انى فعلتهن ، وثلاث وددت أنى سألت عنهن رسول الله ﷺ ، فأما الثلاث اللاتى وددت انى تركتهن فوددت انى لم أكشف بيت فاطمة عن شىء وان كانوا قد غلقوه على الحرب ، ووددت انى لم أكن حرقت الفجاءة السُلمى ، وانى كنت قتلته سريحا أوخليته نجيحا ، ووددت انى يوم سقيفة بنى ساعدة كنت قذفت الأمر فى عنق أحد الرجلين (يريد عمر ، وأبا عبيدة) فكان أحدهما أميرا وكنت وزيرا ، وأما اللاتى تركتهن فوددت انى يوم أتيت بالاشعث بن قيس أسيرا كنت ضربت عنقه فانه يخيل الى انه لايرى شرا الا أعان عليه ـ وقد ظهرت فراسة أبى بكر رضى الله عنه فيه يوم الحكمين فى وقعة (صفين) كما سيأتى تفصيل ذلك فى الجزء الثامن ان شاء الله ووددت انى حين سيرت خالد بن الوليد الى أهل الردة أقمت بذى القصة ، فان ظفر المسلمون ظفروا وان هزموا كنت بصدد لقاء أو مدد ، ووددت انى كنت اذ وجهت خالد بن الوليد الى الشام كنت وجهت عمر بن الخطاب الى العراق ، فكنت قد بسطت يدىّ كلتيهما فى سبيل الله (ومد يديه فِعْلا) ووددتُ انى كنت سألت رسول الله ﷺ لمن هذا الأمر ، فلا ينازعه أحد ، ووددت انى كنت سألته هل للانصار فى هذا الأمر نصيب ؟ ووددت انى كنت سألته عن ميراث ابنة الاخ ، والعمة ، فان فى نفسى شيئا .

هذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه يحاسب نفسه على فراش الموت ويظهر لجلسائه الاشياء التى كان من الواجب عليه ان يعملها ، ويرى نفسه انه قَصرَّ فى ذلك ، مع انه لم يكن مقصرا لأن هذه الأشياء ظهرت له فيما بعد ، وهكذا نتائج الأعمال لاتظهر الا بعد اتمام ذلك العمل اما نجاحا ، واما قصورا ، وانما أراد الصديق رضى الله عنه أن يعطى جلساءه درسا ذا قيمة عن مجريات خلافته كى يكون خلفه على بصيرة من أمره ، وليعلمهم أن الرجل العظيم هو الذى يحاسب نفسه قبل أن يحاسبه غيره ، وهو الذى يدرك مواضع النقص والقصور من أعماله قبل أن يلاحظها غيره عليه .

ثم دخل على الخليفة أبى بكر الصديق رضى الله عنه وهو على ذلك الحال بعض الصحابة فقال له قائل منهم : ماأنت قائل لربك اذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد ترى غلظته ؟ فقال ابو بكر رضى الله عنه : اجلسونى ثم قال بالله تخوفنى ؟ خاب من تزود من أمركم بظلم ، أقول اللهم انى استخلفت عليهم خير أهلك ، أبلغ عنى ماقلت من وراءك وجاء فى تاريخ الخميس ان أبا بكر جمع أهل السابقة من الصحابة وقال لهم : أترضون بخلافة خليفة أعينه لكم ؟ والله ماأعين لكم أحدا من أقربائى . قالوا قد رضينا من اخترت لنا ، فقال قد اخترت عمر فقال طلحة والزبير ما كنت قائلا لربك اذا وليته مع غلظته ، وفى رواية قال طلحة أتولى علينا فظا غليظا ما تقول لربك اذا لقيته ؟ فقال أبو بكر ساندونى فاجلسوه فقال : أبالله تخوفنى ؟ أقول استعملت عليهم خير أهلك ، وحلفت ماتركت أحدا أشد حباله من عمر ، فستعلمون اذا فارقتموه وتنافستموها. ودخل عثمان وعلى ، فاخبرهما أبو بكر فقال عثمان علمى به انه يخاف الله فوله فما فينا مثله ، وقال على ياخليفة رسول الله امض لرأيك فما نعلم به الاخيرا . كانت الصحابة تحسب حسابا كبيرا لشدة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذلك لما يرون منه من الغلظة والشدة فى حياة رسول الله ﷺ وفى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه وكاد يكون ذلك رأى معظم أصحاب رسول الله ﷺ حيث هو المعروف فى طبيعة الفاروق رضى الله عنه غير أن رأى الصديق رضى الله عنه كان فيه على خلاف رأيهم وذلك لأنه لمااستشار عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه وقال له (ولكن فيه غلظة) أجابه الصديق بقوله : وذلك لانه يرانى رقيقا ، ولو أفضى الأمر اليه لترك كثيرا مما هو عليه . وظهرت النتيجة أن رأى الصديق فى الفاروق هو أصوب الآراء ، وظهر أن عصره كان عصر السعادة الاسلامية ، وعصر تقدم

الاسلام . وعصر العدل والنور .

فدعا الخليفة أبو بكر رضى الله عنه عثمان بن عفان رضى الله عنه فقال له أكتب (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماعهد أبو بكر بن أبى قحافة فى آخر عهده بالدنيا خارجا منها . وعند أول عهده بالآخرة داخلا فيها ، حيث يؤمن الكافر ، ويوقن الفاجر ، ويصدق الكاذب ، انى استخلفت عليكم بعدى عمر بن الخطاب ، فاسمعوا له وأطيعوا ، وانى لم آل الله ورسوله ودينه ونفسى واياكم خيرا ، فان عدل فذلك ظنى به وعلمى فيه ، وان بَدَّل فلكل امرىء مااكتسب ، والخير أردت ولاأعلم الغيب ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته) ثم امر بالكتاب فختمه ، ثم أمر عثمان فخرج بالكتاب مختوما فبايع الناس ، وهو على تلك الحالة اذ أشرف أبو بكر على الناس من داره واسماء ابنة عميس زوجته ممسكته وهو يقول : أترضون بمن استخلف عليكم ؟ فانى والله ماألوت من جهد الرأى ، ولاوَلَّيت ذا قرابة ، وانى قد استخلفت عمر ابن الخطاب فاسمعوا له واطيعوا . فقالوا سمعنا وأطعنا . ثم دعا أبو بكر عمر بن الخطاب رضى الله عنهما واختلى به فاوصاه بما أوصاه ثم خرج من عنده . هذا ما ذكره ابن جرير والسيوطى فى تاريخ الخلفاء .

وجاء فى الرياض النضرة للمحب الطبرى عن عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط قال لما حضرت أبابكر الوفاة دعا عمر فقال له : اتق الله ياعمر واعلم ان لله عملا بالنهار لايقبله بالليل ، وعملا بالليل لايقبله بالنهار ، وانه لايقبل نافلة حتى تؤدى فريضة الم تر ياعمر انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى دار الدنيا وثقله عليهم ، وحق لميزان لايكون فيه الا الحق ان يكون ثقيلا ، الم تر ياعمر انما خفت موازين من خفت موازينه باتباعهم الباطل ، وحق لميزان لايكون فيه الا الباطل أن يكون خفيفا الم تر ياعمر : انما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة وآية الشدة مع آية الرخاء ليكون المؤمن راغبا راهبا يتمنى فيها على الله ماليس له ، ولايرهب رهبة يلقى فيها بيديه ، ألم تر ياعمر ان الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيآتهم ، فاذا ذكرتهم قلت انى لأخاف ان لا الحق بهم ، وان الله ذكر أهل النار بأسوأ أعمالهم ورد عليهم أحسنها ، فاذا ذكرتهم قلت انى لأرجو أن لاأكون مع هؤلاء ليكون العبد راغبا راهبا لايتمنى على الله ولايقنط من رحمته ، فان انت حفظت وصيتى فلايك غائب أحب اليك من الموت ولست

تعجزه وان لم تحفظ وصيتى فلا يك غائب أبغض اليك من الموت . وأخرج ابن عساكر عن يسار بن حمزة قال لما ثقل أبو بكر أشرف على الناس من كورة فقال : أيها الناس انى قد عهدت عهدا أفترضون به ؟ فقال الناس : رضينا ياخليفة رسول الله فقام على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال : لا نرضى الا ان يكون عمر . قال أبو بكر فانه عمر . وجاء فى الرياض النضرة عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه خطب خطبة طويلة فقال فيها : أيها الناس ان هذا الامر لايصلح آخره الا بما يصلح اوله ، ولايحتمله الا أفضلكم مقدرة وأملككم لنفسه وأشدكم فى حال الشدة وأسلككم فى حال اللين ، يأتى على الامور لايتجاوز منها شيئا معتدلا لاعدوان فيه ولاتقصير متصد لما هو آت وهو عمر بن الخطاب ، وقال على رضى الله عنه فى خطبة طويلة ان الله تعالى صير الأمر الى عمر فى المسلمين فمنهم من رضى ومنهم من سخط ، فكنت ممن رضى فوالله مافارق الدنيا حتى رضى من سخطه فأعز الله باسلامه الاسلام وجعل هجرته للدين قواما وضرب الحق على لسانه حتى ظننا ان ملكا ينطق على لسانه ، وقذف الله فى قلوب المؤمنين الحب له ، وفى قلوب المنافقين الرهبة منه ، شبهه رسول الله ﷺ بجبريل فظا غليظا ، وبنوح حنقا مغتاظا ، فمن لكم بمثله ، وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : المتفرسون فى الناس أربعة ، ثم ذكرهم وقال : والرجل الثانى أبو بكر الصديق لما حضرته الوفاة قال انى قد تفرست أن أجعل الأمر من بعدى فى عمر بن الخطاب ، فقلت له : ان تجعلها فى عمر فانى راض ، فقال سررتنى والله لأسرنك بما سمعت من رسول الله ﷺ يقول : (ان على الصراط عقبة لايجوزها أحد الا بجواز من على بن أبى طالب ، فقلت أفلا أسرك فى نفسك وفى عمر بما سمعت من رسول الله ﷺ ؟ قال بلى ، قلت سمعت رسول الله ﷺ يقول : (هذان سيدا كهول أهل الجنة).

كل ماتقدم اخذته من ابن جرير ، والرياض النضرة ، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ، وتاريخ الخميس ، وليس فى غيرها ماهو خارج عنها . ومن تأمل ماتقدم وفحصه بدقة تظهر له أمور ثلاثة .

الأول ـ يظهر له أن أبابكر الصديق رضى الله عنه قد كابد كثيرا وبذل جهودا لايستهان بها فى اجتماع كلمة الصحابة على بيعة عمر بن الخطاب بالخلافة من بعده وذلك بعد أن جادله بعض كبار الصحابة مثل طلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف . وذلك لأن

أبا بكر رضى الله عنه كان من مبدئه حب اجتماع الكلمة ، ولم يشأ ان تغمض عينه قبل أن يوحد كلمتهم ويعلم مصيرهم ، ولم تكن هذه الأولى فى بابها ، فان الصديق رضى الله عنه قد وقف فى حياته مواقف رهيبة لايقوى عليها غيره ، وقد تقدم من أمثال هذه المواقف الشيء الكثير ونبهنا عليها فى مواضعها مثل موقفه يوم وفاة رسول الله ﷺ وقد أخذت الناس الروعة ، وفى سقيفة بنى ساعدة ، وبعث جيش أسامة بن زيد والناس فى وجل من ارتداد العرب ؛ وموقفه فى قتال أهل الردة ، وبعثه البعوث وتجييش الجيوش لفتح فارس ، والروم ، قبل ان تجف الدماء التى أهرقت فى اخضاع الاعراب المرتدة ، وهذا الموقف الداخلى الرهيب الذى هو عقد البيعة بالخلافة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، هو فى حد ذاته من أعظم المواقف خطرا وأشدها حراجة ، ولا يدرك خطورة هذا الموقف كل انسان ، ولايقدره حق قدره جميع الناس على السواء ، اذ أن تقدير هذا الموقف لايدركه الا الرجل العظيم الذى قد عرف الدهر وعركه وحنكته التجارب واتسعت مداركه ومعلوماته ، وخاض بحار السياسة وجال فى ميدان التقلبات ، حتى صار ينظر الى الأمور قبل وقوعها ، فكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه هو رجل الدنيا وواحدها ، فقد درس الموقف درسا دقيقا ، وفحصه فحص خبير ، ومحصه تمحيص محنك ، من يوم مرض رسول الله ﷺ ومادار بين المتطلعين الى الخلافة ، وما كان من تقديمه للصلاة بالناس ، وماكان من عزم رسول الله ﷺ فى كتابة شيء فى ذلك ثم عدل عنه ، وماكان يوم وفاته من اقتسام الناس فى الخلافة وقد كشف الغطاء وانبلج الصبح ، وظهر الخفاء ، وبان طلابها ، اذ فى ذلك اليوم الذى غمضت فيه عين رسول الله ﷺ وودع الدنيا وأقبل على ربه جل وعلا ، وقبل أن يقبر ، تظاهرت الناس وانقسمت أحزابا بطلب الخلافة ، فقد اجتمعت الانصار فى سقيفة بنى ساعدة لبيعة سعد بن عبادة الأنصارى ، واجتمع بنو هاشم فى مسجد رسول الله ﷺ ومعهم الزبير بن العوام على على بن أبى طالب ، واجتمعت بنو أمية كذلك فى المسجد النبوى على عثمان بن عفان ، واجتمعت بنو زهرة على سعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف ، كما تقدم تفصيل ذلك فى بيعة أبى بكر الصديق . كل ذلك من هذه الاقتسامات وقع من عظماء الصحابة ومن أرباب البأس والنجدة والزعامة منهم مهاجرون وأنصار فى اليوم الذى توفى فيه رسول الله ﷺ ، فيدل ذلك على ان التطلع الى الخلافة كان يفكر فيه عظماء الصحابة من قبل وفاة رسول الله ﷺ وتظاهروا بذلك علانية فى يوم

وفاته . فما بالك وقد اتسع نطاق المباراة والمسابقة بين عظماء الناس الى المعالى والرياسة فى عصر الخليفة أبى بكر ؟ ولم يكن ذلك منهم خروجا أوعيبا ، أونقصا ، أو حراما ، أو مكروها ، من الوجهة الدينية ، أو السياسية أو الاجتماعية ، وانما ذلك هو من طبيعة النفوس الكبيرة ، والأدمغة العظيمة ، وعلو الهمة . فرأى أبو بكر الصديق رضى الله عنه والحالة هذه وقد تقلد الخلافة أنه قد أصبح هو المسؤول وحده عن مصير الأمة الاسلامية بعد ان تقلد أمرها حيا وأنه صار من المحتم عليه أن لاتغمض عينه قبل ان يجتمع الناس على رجل منهم ، اذ فى اهماله ذلك الخطر العظيم على الأمة الاسلامية ، حيث أن طلاب الخلافة الذين قد تطلعوا اليها يومْ وفاة رسول الله ﷺ لايزالون فى قيد الحياة ولاتزال مطالبتهم بها تتقوى ، وكلهم ذو شوكة وسطوة ، وقوة ، وبأس ، ومقدرة ، ومهارة ، وكلهم صاحب مكانة ومرضى عند قومه وعشيرته وفريق عظيم من المسلمين ، وكلهم مسموع الكلمة ، وكلهم يرى انه كفء للخلافة ، وأهل لامارة المؤمنين ، فالخطر العظيم الذى كان يرى أبو بكر الصديق رضى الله عنه شبحه بين عينيه قد وقع فعلا ونتج منه قتل عثمان بن عفان ، ووقعة الجمل ، وصفين ، والنهروان ، وقتل الحسين ، وعبد الله بن الزبير ، وانتزع العباسيون الخلافة من الأمويين ، وغير ذلك مما حدثنا عنه التاريخ وسيأتى ان شاء الله تعالى تفصيل كل ذلك فى محله . فقد اعتورت الخليفة الأول أبا بكر الصديق رضى الله عنه بعد درس كل ماتقدم وهو فى مرض موته ثلاثة أمور كلها ذات أهمية عظيمة (الأول) من يكون الخليفة ؟ الثانى من الذى يرتضيه هؤلاء ذوو الرؤوس الكبار ، والبأس الشديد ، من كبار الصحابة وطلاب الخلافة ؟ (الثالث) كيف تتم البيعة فى سكون وهدوء قبل وفاته ؟ . فمن العادة البشرية ان المريض انما يفكر فى معالجته ، وكيف يزول مرضه ، ومتى يحصل له الشفاء ، أما أبو بكر فقد نسى نفسه ومرضه ولم يفكر فى صحته ، وكأنه قد انسلخ من الطبيعة البشرية الى أرقى منها ، لأن فكره قد انحصر فى درس مصير الأمة المحمدية التى قد خبر أحوالها ، وسبر غورها ، ومارس كيانها ، فأخذ يفكر (فيمن) يكون الخليفة ؟ أيكون أحد طلابها المعروفين بالذات ؟ فربما لايرضاه الفريق الآخر . فنتج من ذلك التفكير ان اختار عمر بن الخطاب ، ولكن كيف يخضع أولئك الذين هم كعمر بن الخطاب الى التنازل لبيعة عمر الفاروق ، فصار يذاكر الرؤوس الكبار من مهاجرين وانصار الذين هم أصحاب الشوكة ، وطلاب الخلافة ، وأرباب الحل والعقد ، ومن يغضب لغضبهم فريق

عظيم من الناس . ومن حيث أن أبابكر رضى الله عنه كان قوى الارادة عظيم المهابة ، شديد العزم ، فقد تغلب عليهم والزمهم البيعة لمن اختاره لهم من بعده خليفة لهم ، وأميرا عليهم . فكان ذلك الاختيار قد أصبح مرضيا عند الجميع ومصداقا لحسن ظن أبى بكر الصديق رضى الله عنه به . هذا ماكان من نتيجة البيعة بالخلافة لعمر الفاروق رضى الله عنه .

وأما الأمر الثانى ـ هو أن على بن أبى طالب رضى الله عنه كان ممن رجح تولية عمر ابن الخطاب رضى الله عنه على غيره ، وأول من صرح بقبول ولايته ، وأول من بايعه بالخلافة ، وكان ذلك من علىّ رضى الله عنه باختياره ورضاه ، ولم تكن مبايعته بالخلافة لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما عن طريق القهر والضغط كما تقوله الرافضة ، اذ انه لم يكن جبانا ، ولاخائفا ، ولاذليلا ، ولاضعيفا ، بل انه كان رضى الله عنه من أعظم الصحابة مكانة فى الهيئة الاجتماعية ، ومن اجلهم علما ، ورأيا ، وادراكا ، وبعد نظر فى عواقب الأمور ، فلو لم ير أن الأوفق والأصلح للجامعة الاسلامية مبايعته لأبى بكر وعمر وكما سيأتى لعثمان لما بايع . واذا فرضنا انه كان يرى نفسه أحق بالخلافة من غيره ، وكان من رغبته أن تكون البيعة بالخلافة له قبل أبى بكر وعمر ، وذلك لقرابته من رسول الله ﷺ ومصاهرته له ، ولسابقيته فى الاسلام ، ولغزارة علمه ، وعظيم فضله ، وقوة بأسه ، ومنعة حزبه(بنو هاشم)وكونهم أعظم شكيمة فى العرب من بنى تيم ، وبنى عدى ، لكن مع ذلك كان حكيما يقدر الأمور حق قدرها ، ويعرف مجريات الأحوال ويسبرها قبل وقوعها ، فلم يشأ والحالة كما تقدم أن يشق عصا الطاعة ويفرق الجماعة ، ويكون هو أول من ابتدع ذلك فى الاسلام ، بل أنه لما رأى ان وجهة الجمهور كانت متجهة نحو غيره وان من اتجهت اليه وجهة الناس كان افضل وأولى من غيره فلم يسعه إلا مجاراة الأمور حبا فى جمع الكلمة ، واحكام ربط الالفة بين المسلمين .

والذى ظهر لنا انه لم يكن من رأى على رضى الله عنه ان يرغم الناس على بيعته ويكرههم عليها بحد الحسام ، كما هو رأى من لايدرك الامور ولايقدر المواقف حق قدرها . وانما كان يؤمل فى الناس ان لايقدموا عليه أحدا فى الخلافة بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وقد صرح لعمه العباس بن عبد المطلب بذلك كما تقدم ، لكونه رضى الله عنه كان يعلم ان الحكم والولاية على الناس لا يكونان عن طريق القوة والقهر ، فانه اذا كان كذلك فهو

لايدوم . وزمنه محدود . ولاناصر له من الأمة . كما أنه علم من سياق التاريخ ان على بن ابى طالب رضى الله عنه كانت له عند أبى بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، رضى الله عنهما المكانة العليا . والمنزلة العظمى ، وكان وزير صدق عندهما ولايقطعان أمرا دونه وكانا يسندان اليه مهام الامور القضائية ، كما انه كانت له المكانة الكبرى عند عموم المهاجرين والانصار ، بل وعند عموم المسلمين ، ولم يكن ذلك منهم لأجل النسب فحسب ، بل لغزارة علمه وعظيم فضله ومكارم أخلاقه . ولما فيه من الشهامة والشجاعة وقوة البأس والمواقف الرهيبة فى مواطن البأس وغير ذلك من الفضائل مما لايعد ولايحصى ، ولاأكون مبالغا اذا قلت أصبح رضى الله عنه مستودع الفضائل والمكرمات عموما .

وأعظم دليل على صحة ماقلناه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى كونه بايع أبابكر ، وعمر ، وعثمان ، باختياره وحبا فى جمع كلمة المسلمين هو انه لما بويع بالخلافة فى المدينة المنورة ورأى نفسه انه اصبح صاحب الحق فى الخلافة جرد سيفه فى وجه من عاكسه وقاومه من بنى أمية وغيرهم ، وقاتل دون مركزه كل من ناصبه العداء وأجمع علماء الاسلام قاطبة انه صاحب الحق فى الخلافة بعد البيعة له بالمدينة وان من قاتله على الخلافة كان باغيا عليه حيث انه اصبح هو وحده صاحب الحق بالخلافة دون غيره من الناس وان الناس تبع له . فلو انه كما تقول الرافضة كان مقهورا ومرغما على بيعة أبى بكر وعمر لما جرد حسامه بعد البيعة له بالخلافة على من عارضه وقاومه وبغى عليه فى ذلك ، وسفك فى سبيل ذلك من الدماء أنهارا ، وقتل فى حروبه من النفوس الشريفة ، ومن الابطال العظام ، وصناديد الرجال ، وفرسان الوغى ، وذوى الفضل والمجد والعلاء ، مالم يقتل قدرهم منذ مبعث النبى ﷺ الى بيعته بالخلافة فى عموم غزوات النبى ﷺ وبعوثه وسراياه جميعها ، وفى قتال أهل الردة والمتنبئين فى عموم الجزيرة العربية ، وفى فتح فارس والروم ومصر والمغرب الاقصى وافريقيه وأرمينية وماوراء النهر ، فى خلافة أبى بكر وعمر وعثمان من المسلمين . وذلك فى يوم الجمل ، وصفين ، والنهروان .

فلذلك قلنا أن بيعة على بن أبى طالب رضى الله عنه بالخلافة لأبى بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، ولعثمان ايضا رضى الله عنهم أجمعين كانت باختياره ورضاه ، ولم يكن مقهورا ولامرغما كما تقوله الرافضة ، يل بدافع الرغبة حبا فى جمع كلمة المسلمين واعترافا بفضل الشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما . كما ان أبابكر وعمر يقدران على بن أبى

طالب رضى الله عنه حق قدره ، ويعترفان بفضله ، ويعلمان عظيم منزلته عند رسول الله ﷺ وعند عموم المسلمين وله عندهما من المنزلة العظمى فوق ماله عند عموم المسلمين ، بل أعظم وأشد حباله ولآل بيت النبوة الطاهر من الشيعة والرافضة ، مع ذلك لوفكرنا فى الحوادث التاريخية الصحيحة لوجدنا ان الرافضة قاتلهم الله كانوا ولايزالون أشد بلاء على الاسلام والمسلمين بل وعلى علىّ بن أبى طالب وآل بيته من أعداء الاسلام وأعداء علىّ رضى الله عنه نفسه . وذلك لأنهم باسم التشيع لآل البيت الطاهر فرقوا كلمة المسلمين وباسم التشيع خذلوا على بن أبى طالب يوم الحكمين ؛ وباسم التشيع خذلوا الحسن بن على رضى الله عنهما يوم خرج من العراق لقتال معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه وطعنوه فى فخذه ، والجأوه الى التنازل عن الخلافة لمعاوية ثم قالوا فيه ماقالوا ، وباسم التشيع كاتبوا الحسين بن على رضى الله عنهما من العراق وهو بمكة ودعوه أن يأتيهم الى العراق ليبايعوه فلما أقبل عليهم بأهله ، وولده ، وشيعته ، وأصحابه ، خذلوه وغدروا به وقتلوه مع أصحابه ، وسبوا نساءه ، وأهله وذريته ، وكان اليزيد بن معاوية أشفق على آل الحسين حين وصلوا اليه بالشام من الرافضة . وباسم التشيع دعوا زيد بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب رضى الله عنهم الى الخروج والمطالبة بالخلافة وانهم هم أنصاره فلما أجاب دعوتهم وخرج قالوا له ماقولك فى ابى بكر وعمر ، فاثنى عليهما فخذلوه ورفضوه ، وهو الذى سماهم الرافضة وغير ذلك من شرورهم وبلائهم على الاسلام والمسلمين وعلى ال البيت الطاهر خاصة قديما وحديثا كما سيأتى كل ذلك مفصلا فى محله ان شاء الله تعالى ، عاملهم الله بما يستحقون .

وأما الأمر الثالث ـ وهو أن الخليفة أبابكر الصديق رضى الله عنه لما عقد البيعة بالخلافة لعمر الفاروق رضى الله عنه أحضره عنده أوصاه بتلك الوصية المتقدمة وخوفه عقاب ربه الجليل العظيم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم ، ولا غفلة عن خلقه وعباده ، ومايعمله الجبابرة فى عباده من الغطرسة والظلم ، وهو لهم بالمرصاد فى الدنيا والآخرة . مع ان كلا الاثنين قد بشرهما رسول الله ﷺ بالجنة ، وهما بلا ريب أفضل الأمة الاسلامية على الاطلاق بعد نبيها ﷺ وهما اللذان وفقهما الله تعالى لاصلاح الأمة الاسلامية ، وكان المسلمون فى عصريهما على ارفع قمة فى المجد ، وأقوى منعة فى المجتمع الانسانى ، وأشد شكيمة من سائر الأمم المعاصرة لهم ، غير أن ذلك لايغرى أبابكر الصديق ولايجعله فى

غفلة من خشية ربه سبحانه وتعالى لأنه أعظم الناس معرفة بربه ، وأخوفهم من عقابه ، وجعله يوصى الفاروق الذى عهد اليه بأمر الأمة ان يتقى الله تعالى ويخشى عقابه فى عموم أعماله لكونه تحمل أعباء الخلافة وأصبحت الأمة الاسلامية مع من بذمتها من الأجانب فى عنقه ، وصار هو وحده المسؤول امام الله ، وامام ضميره ، وامام الانسانية ، عن سعادتها ، ورقيها ، وتقدمها ، وسياستها ، واجتماعها وتفوقها على غيرها ، واقامة العدل ، والانصاف ، والمساواة ، بين الرعية فى الحقوق الشخصية امام القضاء ، وذلك مع علم أبى بكر رضى الله عنه ان عمر الفاروق هو من اتقى اصحاب رسول الله ﷺ وأشدهم خوفا من الله تعالى وقد قال فى خلافته : لو ان سخلة أكلها الذئب فى وادى الفرات لسئل عنها عمر . ولكن كان ذلك من أبى بكر لعمر رضى الله عنهما على سبيل الذكرى ، فان الذكرى تنفع المؤمنين . ولم يأنف أمير المؤمنين الفاروق من وصاية الصديق له مع علو مكانته فى الاسلام قبل الخلافة ، فتقبلها منه قبولا حسنا ، مع اننا نجد من هو أقل من الفاروق رضى الله عنه بآلاف الدرجات يأنف من الوصاية ، ويمتعض من النصح ، وتأخذه العزة بالاثم على من يقوم بنصحه وارشاده ، وقد ورم أنفه ، وانتفخت أوداجه ، وامتلأ رأسه كبرا ، واغترارا بنفسه ، وبالمرتبة التى نالها تصادفا وعفوا ، وهى اما مدير بأحد الدوائر، أو استاذ باحدى المدارس ، أو خطيب باحد الاندية والمجتمعات، وهذا يدل دلالة واضحة على نقصان عقله ، وقصر مداركه ، اذ لو فكر قليلا لعلم انه فى اشد الحاجة الى نصح الناصحين ، وارشاد المرشدين . حيث لم يكن بأعظم من الفاروق رضى الله عنه فى شيء من الأشياء على العموم ، بل ولا مثله ولا أكون مبالغا اذا قلت بل ولا أقل منه بألف درجة فى كل صفة من الصفات التى كان الفاروق رضى الله عنه متصفا بها ، فكانت وصاية ابى بكر لعمر رضى الله عنهما درسا من دروس الحياة الاجتماعية اذ علمنا منها ان الانسان مهما بلغ من العلم والرفعة فهو يحتاج الى نصح الناصحين وارشاد المرشدين ، حيث ينبغى على كل رجل عاقل بصير كيفما كانت درجته فى الهيئة الاجتماعية ، ومهما بلغ من العلم والصلاح ، ان يكون خاشعا لله تعالى خائفا من عقابه ، خاضعا لخشيته ، وجلا منه ، والا فقد خسر الدنيا والآخرة ، ولاينبغى ان يتلفت او يصغى الى قول اولئك الذين نبذوا الدين ، ونبذتهم الانسانية ، وما يسخرون به من ضروب السخرية بالمتعبدين والصالحين واتقياء الناس ، فانهم قد خسروا الدنيا والآخرة ، وليس لما يقولونه قيمة ، لأنهم

قد تمردوا على مكارم الأخلاق التى هى قيمة الانسان فى المجتمع الانسانى فان الله مع الذى اتقوا والذين هم محسنون . ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا . ألهم الله المسلمين رشدهم ووفقهم لما فيه صلاح دينهم ودنياهم وآخرتهم .

* * *

وفاة أبي بكر

هنا نودع شيخ الاسلام والمسلمين أجمعين والخليفة الأول فى الاسلام لرسول الله ﷺ أبابكر الصديق رضى الله عنه ، هنا تودع عصره المجيد الذى انتشر فيه الاسلام فى عموم الجزيرة العربية والعراق والشام بقوة ارادة الصديق وحده ذلك الذى قال فى حقه أبوهريرة رضى الله عنه : والذى لااله الا هو لولا ان أبابكر استخلف ما عُبِدَ الله . هنا نودع رجل العلم رجل التقى رجل الشفقة والرحمة التى قد أوجدها الله تعالى فى شخصه مجسمة على الاسلام والمسلمين من يوم مبعث رسول الله ﷺ الى يوم وفاته وكانت عِظَةً حسنة لمن أتى بعده . هنا نودع رجل الدنيا وواحدها ، نودع رجل السياسة ، نودع رجل الاجتماع ، نودع رجل الحرب والقيادة ، نودع رجل الاقدام والجرأة ، نودع رجل الفتح ، نودع رجل العلياء والقوة والبأس ، نودع رجل الشهامة والشجاعة . وهنا نودع رجل العفة والطهارة والنزاهة التى لانظير لها فى غيره من الناس . هنا نودع رجل الحلم والتواضع والعطف الذى لم يبلغ درجته فيه احد من الخلق بعد الأنبياء . هنا نودع ذلك الشيخ الوقور الجليل العظيم الذى مثل للعالم أجمع معنى الوقار بأوضح بيان . هنا نودع ذلك الشهم الكبير الذى درس اخلاق الناس وعالجهم بدواء الحكمة والتبصر والسياسة حتى شَفوا من أمراضهم الاجتماعية ، ذلك الرجل الجسور الجرىء الذى أطفأ نار الردة التى اندلع لسانها فى عموم الجزيرة العربية من أقصاها الى أقصاها فى مدة لا تتجاوز بضعة أشهر . هنا نودع ذلك الخليفة المتواضع الذى ملىء قلبه عطفا على الأرامل والعجزة والضعفاء والمساكين وذوى الحاجة أولئك الذين كان يخدمهم بنفسه ويحلب غنمهم ويقضى حوائجهم . هنا نودع ذلك الخليفة الجبار على أعداء الله ، الشفوق على عباد الله . هنا نودع رجل العدل والانصاف والآخذ الحق من القوى الى الضعيف . هنا نودع الصديق الذى لا يغضب لنفسه ولا يرضى لها بل كان يغضب لله تعالى ويرضى لرضاه .

فلتهنأ أبابكر الصديق بما خصك الله تعالى من هذه الفضائل والمكارم والمحامد وماهو فوق ذلك . فرحمة الله تعالى عليك أيها الصديق وبركاته ورضوانه ، ولتقر عيناك بما قدمت يداك عند من لايضيع مثقال ذرة خير لمن عملها ويجازى الحسنة بعشر أمثالها ، وجزاك عن أمة محمد ﷺ خير الجزاء ، وعظم الله أجر الاسلام والمسلمين فيك ورزقهم بمن يقتدى بعملك فيقوم فيهم خير قيام ، ومازلت حيا فى قلوب المؤمنين ، ولازالت ذكراك خالدة ماتداول الجديدان ، ومازالت روحك السعيدة ترتع فى النعيم الأبدى من ثمار الجنان .

توفى أبوبكر الصديق رضى الله عنه ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء الموافق لليوم الثانى والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، والموافق ٢٣ أغسطس سنة ٦٣٤ ميلادية . وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام على أصح الروايات . وكانت غسلته امرأته اسماء ابنة عميس وابنه عبدالرحمن بن أبى بكر ، وكفن فى ثلاثة أثواب ، وحمل على السرير الذى حمل عليه رسول الله ﷺ ، وصلى عليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى مسجد رسول الله ﷺ ، وحفر قبره فى حجرة ام المؤمنين عائشة رضى الله عنها وجعل رأسه عند كتفى رسول الله ﷺ بعد ان أضجع خلفه ، والصقوا اللحد بلحد النبى ﷺ ، ودخل قبره عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيدالله ، وعبدالرحمن بن أبى بكر . ودفن ليلة الثلاثاء ، وكان كل ذلك حسب وصايته رضى الله عنه . ولما توفى كان قد بلغ من العمر ثلاثة وستين سنة على أشهر الأقوال وأكثرها .

* * *

ثناء علي بن أبي طالب عليه

روى المحب الطبرى فى الرياض النضرة عن أسيد بن صفوان وكان قد ادرك النبى ﷺ قال : لما قبض أبوبكر سجى عليه وارتجت المدينة بالبكاء عليه كيوم قبض رسول الله ﷺ فجاء عليٌ بن ابى طالب رضى الله عنه مسترجعا وهو يقول:(اليوم انقطعت خلافة النبوة) حتى وقف على باب البيت الذى فيه أبوبكر الصديق وهو مسجى فقال : يرحمك الله يا أبابكر كنت الف رسول الله ﷺ وأنسه ، ومستراحه ، وثقته ، وموضع سره ، ومشاورته ، كنت اول القوم اسلاما ، وأخلصهم ايمانا ، وأشدهم يقينا ، وأخوفهم لله ، وأعظمهم غناء فى دين الله ، وأحوطهم على رسول الله ﷺ ، وأحدبهم على الاسلام ، وأيمنهم على أصحابه ، وأحسنهم صحبة واكثرهم مناقب ، وأفضلهم سوابق ، وأرفعهم درجة ، وأقربهم وسيلة ، وأشبههم برسول الله ﷺ هديا وسمتا ورحمة وفضلا ، وأشرفهم منزلة ، وأكرمهم عليه ، وأوثقهم عنده ، فجزاك الله عن الاسلام وعن رسوله خيرا ، كنت عنده بمنزل السمع والبصر ، صدقت رسول الله ﷺ حين كذبه الناس فسماك الله عز وجل فى تنزيله صديقا فقال (والذى جاء بالصدق وصدق به) الذى جاء بالصدق محمد ﷺ وصدق به أبوبكر ، واسيته حين بخلوا وقمت به عند المكاره حين عنه قعدوا ، وصحبته فى الشدة أكرم الصحبة ، ثانى اثنين وضاحبه فى الغار والمنزل عليه السكينة ، ورفيقه فى الهجرة ، وخلفته فى دين الله وأمته أحسن الخلافة حين ارتد الناس ، وقمت بالأمر مالم يقم به خليفة نبى فنهضت حين وهن أصحابك ، وبرزت حين استكانوا ، وقويت حين ضعفوا ، ولزمت منهاج رسول الله ﷺ اذ هموا ، كنت خليفة حقا لم تنازع ، ولم تصدع بزعم المنافقين ، وكبت الكافرين ، وكره الحاسدين ، وغيظ الباغين ، وقمت بالأمر حين فشلوا وثبت اذ تتعتعوا ، ومضيت بنور الله اذ وقفوا ، فاتبعوك فهدوا ، وكنت أخفضهم صوتا ، وأعلاهم فوقا ، وأمثلهم كلاما ، وأصوبهم منطقا ، وأطولهم صمتا ، وأبلغهم قولا ،

وأشجعهم نفسا ، وأعرفهم بالأمور ، وأشرفهم عملا ، كنت والله للدين يعسوبا أولا حين نفر عنه الناس ، وآخرا حين أقبلوا ، كنت للمؤمنين أبا رحيما حتى صاروا عليك عيالا ، فحملت أثقال ماضعفوا ، ووعيت ما أهملوا ، وحفظت ما أضاعوا ، وعملت ماجهلوا شمرت اذ خفضوا وصبرت اذ جزعوا ، فأدركت أوتار ماطلبوا وراجعوا رشدهم برأيك فظفروا ونالوا بك مالم يحتسبوا ، كنت على الكافرين عذابا صبا ولهبا ، وللمؤمنين رحمة وأنسا وحصنا ، فطرت والله بفنائها ، وفزت بحبائها ، وذهبت بفضائلها ، وأدركت سوابقها ، لم تفلل حجتك ، ولم تضعف بصيرتك ، ولم تجبن نفسك ، ولم يرع قلبك ، ولم يخر ، كنت كالجبل الذى لا تحركه القواصف ، ولاتزيله العواصف ، وكنت كما قال رسول الله ﷺ أمن الناس علينا فى صحبتك وذات يدك ، وكنت كما قال ضعيفا فى بدنك قويا فى أمر الله ، متواضعا فى نفسك ، عظيما عند الله ، جليلا فى أعين الناس ، كبيرا فى أنفسهم ، لم يكن لأحد فيك مغمز ، ولا لقائل فيك مهمز ، ولا لأحد فيك مطمع ، ولا لمخلوق عندك هوادة ، الضعيف الذليل عندك قوى عزيز حتى تأخذ بحقه ، والقوى عندك ضعيف ذليل حتى تأخذ منه الحق ، القريب والبعيد عندك فى ذلك سواء ، أقرب الناس اليك أطوعهم لله وأتقاهم له ، شأنك الحق والصدق والرفق ، قولك حكم وحتم ، وأمرك حلم وحزم ، ورأيك علم وعزم ، فأقلعت وقد نهج السبيل وسهل العسير وأطفيت النيران ، واعتدل بك الدين ، وقوى بك الايمان ، وثبت الاسلام والمسلمون ، وظهر أمر الله ولو كره الكافرون ، فسبقت الله سبقا بعيدا ، وأتعبت من بعدك اتعابا شديدا ، وفزت بالخير فوزا مبينا ، فجللت عن البكاء ، وعظمت رزيتك فى السماء وهدَّتْ مصيبتك الأنام فانا لله وانا اليه راجعون ، رضينا عن الله قضاءه ، وسلمنا له امره ، فوالله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله ﷺ بمثلك أبداً ، كنت للدين عزا وحرزا وكهفا ، وللمؤمنين فئة وحصنا وغيثا ، وعلى المنافقين غلظة وغيظا ، فألحقك الله بنبيك ﷺ ولا حرمنا أجرك ، ولا أضلنا بعدك ، فانا لله وانا اليه راجعون قال وسكت الناس حتى انقضى كلامه ثم بكوا حتى علت أصواتهم وقالوا : صدقت يا ختن رسول الله ﷺ . قال المحب الطبرى واخرج هذه الرواية ابن السمان فى كتاب الموافقة ، وخرج الامام ابوبكر محمد بن عبدالله الجوزقى من أوله الى والذى جاء بالصدق محمد ﷺ وصدق به أبوبكر .

فهذه مرثية على بن أبى طالب رضى الله عنه فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وهى المرثية التى لايمكن لأى بليغ ان يأتى بمثلها لما شملته من المعانى المؤثرة والبلاغة الراقية فى الرثاء غير على رضى الله عنه اذ هو معدن البلاغة ومصدر الانشاء ، والمثل الأعلى فى الفصاحة وهو الذى يعرف فضل ابى بكر الصديق رضى الله عنه حيث كما قيل (انما يعرف الفضل من الناس ذووه) وهنا نتساءل مع الرافضة هل اطلعت على هذه المرثية المؤثرة ام لا ؟ ولا أشك لو أطلعت عليها لكذبت اسنادها الى على رضى الله عنه . وان صدقت بها قلوبها فلا تقرها ألسنتها ، لأن ذلك خلاف مشربهم لكونهم لايريدون ان يثبتوا شيئا فيه وفاق بين على بن ابى طالب رضى الله عنه وبين الشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما حتى لو سمعوا ذلك من على رضى الله عنه لكذبوا آذانهم بسماعه لأن غرضهم الوحيد تفريق كلمة الاسلام والمسلمين ، والسخط على أجل أصحاب رسول الله ﷺ من مهاجرين وأنصار ومن عموم قبائل العرب ، وعلى الأجمال فعندهم عموم أصحاب رسول الله ﷺ ماتوا على الرِدَّة غير بضعة أشخاص مثل على رضى الله عنه وآله وسلمان الفارسى وعمار بن ياسر رضى الله عنهما . وهذا المذهب الذى ذهبت اليه الرافضة يعتبر تكذيبا لما جاء به القرآن ، وتكذيبا لما تلتقه الأمة الاسلامية جمعاء بالتواتر طبقة عن طبقة وجيلا بعد جيل ان عموم أصحاب رسول الله ﷺ هم أجل أهل الأرض بعد الأنبياء والمرسلين ، وأتقى الناس أجمعين ، وأقوى الناس إسلاما ، وأشدهم أيمانا ، وقد قال تعالى (لَقَدْ رَضِيَ الله عَنِ المؤْمِنِين إِذْ يُبَايِعُونَكَ تحت الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فى قلوبهم فَأَنزل السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وأَثَابَهُمْ فَتَحاً قَرِيباً) الآية (١٨) سورة الفتح . فالذين قد رضى الله تعالى عنهم وسماهم مؤمنين كانوا ألفا وخمسمائة صحابى كلهم بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجر بالحديبية منهم أبوبكر وعمر ، ومن شرط الايمان بالله تعالى ان يرضى المؤمن عمن رضى عنه الله تعالى ويسخط على من سخط الله تعالى عليه . فماذا يكون موقف الرافضة هنا وقد سخطوا على من رضى الله تعالى عنهم ؟ ثم قال تعالى فى سورة الفتح ايضا (مُحَمَّدٌ رسولُ الله وَالَّذين مَعَهُ أشدَّاءُ على الكفار رُحَمَاءُ بينهم تراهم رُكَّعاً سُجَّداً يبتغون فضلا من الله وَرِضواناً سِيمَاهُمْ فى وُجُوهِهِمْ من أثر السجود ذلك مَثَلُهُمْ فى التَّوْرَاةِ ومَثَلُهُمْ فى الانجيل كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَأَزَرَهُ فاستغلظ فاستوى على سوقه يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ ليغيظ بهم الكُفَّارَ وعد الله الذين امنوا وعَملوا الصالحات منهم مغفرةً وَأجْراً عَظِيماً) الآية (٢٩) . وفى هذه الآية قد وصفهم الله

تعالى بأوصافهم التى كانوا عليها من الجهاد والشدة ، والرحمة ، والتقى ، والعبادة ، وقال (مثلهم فى التوارة ، ومثلهم فى الانجيل) أى أنه كما جاء مثلهم فى القرآن المجيد المنزل على نبينا محمد ﷺ قد جاء مثلهم فى التوراة المنزل على نبى الله موسى عليه الصلاة والسلام ، وفى الانجيل المنزل على نبى الله عيسى عليه الصلاة والسلام . فلا أدرى لماذا سخط الرافضة على عموم أصحاب رسول الله ﷺ الأجْل أنهم جاهـدوا فى الله حق جهاده ؟ أو لأجْل انهم كانوا رُكعاً سُجَّداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا ؟ أوْ لأجْل انه قد رضى الله عنهم ؟ أوْ لأجْل ان مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل أوْ لأجْل ان النبى ﷺ مات وهو عنهم رَاضٍ ؟ أوْ لأجْل أن أبابكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما هما اللذان أزالا ملك فارس وكان قواد الجنود وبعض الجنود من أصحاب رسول الله ﷺ فلذلك سخطوا على أصحاب رسول الله ﷺ لأنهـم أزالـوا المجوسيـة ، والاستعبـاد ، والارهاق ، من بلاد فارس ، وأدخلوا فيها ايمان بالله ورسوله ، والاصـلاح ، والحريـة ، والعدل ، ولأن على بن أبى طالب رضى الله عنه اشتغل فى خلافته بالحروب الداخلية عن الحروب الخارجية فلم يسمح له الدهر ان يشترك فى الفتح فلذلك أظهروا رضاهم عنه وأخذوا يصورون الكذب ويختلقون الأباطيل التى لم تحدث من أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فى حق على بن أبى طالب رضى الله عنه ولو اشترك على رضى الله عنه فى قتال فارس وباشر فى ابادة العرش الفارسى المشيد على المجوسية واستعباد الخلائق ، وعمـل على تقويض دعائم المملكة الفارسية لكان نصيبه نصيب صاحبيه ابى بكر وعمر رضى الله عنهما وانى لأقسم لو فرض المحال وخرج على رضى الله عنه من قبره لكان أول شىء بدأ به قتال الرافضة وابادتهم من الدنيا كما قاتل اهل النهروان ومحاهم . وذلك لأن عليا رضى الله عنه من أجل وأعظم أصحاب رسول الله ﷺ ومن أعظمهم علما ومعرفة ، فهو رضى الله عنه يعلم قيمة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وقيمة سائر أصحاب رسول الله ﷺ فلا شك انه كان جعل حداً لمفتريات وأباطيل الرافضة . وهذه كلمة مقتضبة ذكرتها هنا عن الرافضة وسيأتى ان شاء الله ذلك مسهبا فى محله ، ويظهر للقارىء سبب سخط الرافضة على أصحاب رسول الله ﷺ مفصلا على أساس ماذكرناه هنا ، والله الهادى الى صراطه المستقيم .

* * *

أبو قحافة وتأثره من وفاة الصديق

جاء فى الرياض النضرة ان أبا قحافة والد أبى بكر الصديق رضى الله عنهما كان حيا حين وفاة أبي بكر بمكة فلما نعى اليه الصديق قال : رزء جليل . وعاش بعده ستة أشهر وأياما وتوفى فى المحرم سنة أربع عشرة بمكة وهو ابن سبع وتسعين سنة . وقال الحافظ ابن حجر فى الاصابة : أبوقحافة اسمه عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة القرشى التيمى وأمه آمنة بنت عبدالعزى العدوية أسلم عام الفتح وهو أول من ورث خليفة فى الاسلام ، وذكر وفاته وسنه كما تقدم .

* * *

مرثية أبي بكر

وروى ابن عساكر فى تاريخه عن الأصمعى قال قال خفاف بن ندبة السلمى يبكى ابابكر الصديق رضى الله عنه :

ليس لحى فاعلمنه بقاء	وكل دنيا أمرها للفناء
والملك فى الأقوام مستودع	عارية فالشرط فيه الاداء
والمرء يسعى وله راصد	تنند به العين ونار الصداء
بهرم أو يقتل أو يقهر	يشكوه سقم ليس فيه شفاء
ان ابابكر هو الغيث اذا	لم تزرع الجوزاء بقلا بماء
تالله لا يدرك أيامه	ذو مئزر ناش ولا ذو رداء
من يسمع كى يدرك أيامه	مجتهد اشذ بأرض فضاء

هذا ماتيسر لى تأليفه فى خلافة ابى بكر الصديق رضى الله عنه الى وفاته وهو أجل وأعظم من أن تحصر فضائله فرضى الله عنه وجزاه الله تعالى عن أمة محمد ﷺ خير الجزاء ومتعه بجنات النعيم .

تحرر بحمد الله تعالى وحسن عنايته وتوفيقه (الجزء الخامس من حياة سيد العرب وتاريخ النهضة الاسلامية مع العلم والمدنية) وهو اول القسم الثانى من الأقسام الخمسة فى يوم الأربعاء الموافق ٦ جمادى الأولى سنة ١٣٥١ ألف وثلاثمائة واحدى وخمسين من الهجرة ، ويوافق ٧ سبتمبر سنة ١٩٣٢ ميلادية . ويليه ان شاء الله الجزء السادس وهو يحتوى على خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وقد استغرق تأليفه شهرين وبضعة ايام . وتحرر بقلم مؤلفه حسين بن عبدالله بن محمد بن سالم بن عمر بن عوض باسلامه آل باداس الكندى الحضرمى المكى والحمد لله رب العالمين .

٦ جمادى الأولى سنة ١٣٥١ هـ

حسين باسلامة

مصادر هذا الكتاب

قد راجعت اكثر من مائة مؤلف من كتب الحديث وشروحها والتراجم والتاريخ والمعاجم واللغة وغير ذلك مما دبجه يراع جهابذة العلماء المحققين وسأذكر هنا اهم المصادر التى اقتطفت منها هذا المصنف .

١ مسند الامام احمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ .

٢ صحيح محمد بن اسماعيل البخارى الجعفى المتوفى سنة ٢٥٦ .

٣ صحيح أبى الحسين مسلم بن الحجاج النيسابورى المتوفى سنة ٢٦١ .

٤ سنن ابى داود سليمان بن الأشعث السجستانى المتوفى سنة ٢٧٥ .

٥ سنن ابى عيسى محمد بن عيسى السلمى الترمذى المتوفى سنة ٢٧٩ .

٦ سنن ابى عبدالرحمن احمد بن شعيب النسائى المتوفى سنة ٣٠٣ .

٧ سنن ابن ماجة ابى عبدالله محمد بن يزيد القزوينى المتوفى سنة ٢٧٣ .

٨ فتح البارى شرح صحيح البخارى للحافظ ابن حجر العسقلانى .

٩ شرح صحيح مسلم للامام محيى الدين بن شرف النووى .

١٠ الاستيعاب فى اسماء الأصحاب للحافظ ابى عمر يوسف بن عبدالبر .

١١ الطبقات لابن سعد .

١٢ الاصابة فى تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر العسقلانى .

١٣ أسد الغابة لابن الأثير ابى الحسن على بن محمد الشيبانى الجزرى .

١٤ تاريخ ابن جرير الطبرى .

١٥ تاريخ الحافظ ابن كثير .

١٦ تاريخ ابن الأثير .

١٧ تاريخ مروج الذهب للمسعودى .
١٨ تاريخ ابن خلدون مع المقدمة .
١٩ تاريخ ابن الوردى .
٢٠ الامامة والسياسة لابن قتيبة .
٢١ تاريخ ابن عساكر .
٢٢ تاريخ أبى الفداء .
٢٣ تاريخ الخلفاء للسيوطى .
٢٤ تاريخ الحافظ السخاوى المسمى (الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ)
٢٥ معجم البلدان لياقوتَ الحموى .
٢٦ طبقات الأمم لابن صاعدة الأندلسى .
٢٧ تاريخ الخُمس للعلامة حسين بن محمد بن الحسن الديار بكرى .
٢٨ الرياض النضرة للمحب الطبرى .
٢٩ كشف الظنون فى اسماء الكتب والفنون .
٣٠ النهاية لابن الأثير .
٣١ القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروز ابادى .
٣٢ نهاية الأرب فى أنساب العرب لشهاب الدين احمد بن عبدالله القلقشندى .

فهرس

الموضـــوع	الصفحـة

اصدارات إدارة النشر بتهامة

سلسلة : **الكتاب العربي السعودي**

صدر منها :

العنوان	ملاحظة	المؤلف
• الجبل الذي صار سهلا	(نفد)	الأستاذ أحمد قنديل
• من ذكريات مسافر		الأستاذ محمد عمر توفيق
• عهد الصبا في البادية	(قصة مترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
• التنمية قضية	(نفد)	الدكتور محمود محمد سفر
• قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا	(نفد)	الدكتور سليمان بن محمد الغنام
• الظمأ	(مجموعة قصصية)	الأستاذ عبد الله جفري
• الدوامة	(قصة طويلة)	الدكتور عصام خوقير
• غداً أنسى	(قصة طويلة) (نفد)	الدكتورة أمل محمد شطا
• موضوعات اقتصادية معاصرة		الدكتور علي بن طلال الجهني
• أزمة الطاقة إلى أين ؟		الدكتور عبد العزيز حسين الصويغ
• نحو تربية إسلامية		الأستاذ أحمد محمد جمال
• إلى ابنتي شيرين		الأستاذ حمزة شحاتة
• رفات عقل		الأستاذ حمزة شحاتة
• شرح قصيدة البردة		الدكتور محمود حسن زيني
• عواطف إنسانية	(ديوان شعر) (نفد)	الدكتورة مريم البغدادي
• تاريخ عمارة المسجد الحرام	(نفد)	الشيخ حسين باسلامة
• وقفة		الدكتور عبد الله حسين باسلامة
• خالتي كدرجان	(مجموعة قصصية) (نفد)	الأستاذ أحمد السباعي
• أفكار بلا زمن		الأستاذ عبد الله الحصين
• كتاب في علم إدارة الأفراد		الأستاذ عبدالوهاب عبد الواسع
• الابحار في ليل الشجن	(ديوان شعر)	الأستاذ محمد الفهد العيسى
• طه حسين والشيخان		الأستاذ محمد عمر توفيق
• التنمية وجها لوجه		الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي
• الحضارة تحد	(نفد)	الدكتور محمود محمد سفر
• عبير الذكريات	(ديوان شعر)	الأستاذ طاهر زمخشري
• لحظة ضعف	(قصة طويلة)	الأستاذ فؤاد صادق مفتي
• الرجولة عماد الخلق الفاضل		الأستاذ حمزة شحاتة
• ثمرات قلم		الأستاذ محمد حسين زيدان
• بائع التبغ	(مجموعة قصصية مترجمة)	الأستاذ حمزة بوقري
• أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة	(تراجم)	الأستاذ محمد على مغربي
• النجم الفريد	(مجموعة قصصية مترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء

• مكانك تحمدي	الأستاذ أحمد محمد جمال
• قال وقلت	الأستاذ أحمد السباعي
• نبض ...	الأستاذ عبدالله عبدالرحمن جفري
• نبت الأرض	الدكتورة فاتنة أمين شاكر
• السعد وعد (مسرحية)	الدكتور عصام خوقير
• قصص من سومرست موم (مجموعة قصص مترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
• عن هذا وذاك	الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي
• الأصداف (ديوان شعر)	الأستاذ أحمد قنديل
• الأمثال الشعبية في مدن الحجاز	الأستاذ أحمد السباعي
• أفكار تربوية	الدكتور ابراهيم عباس نتو
• فلسفة المجانين	الأستاذ سعد البواردي
• خدعتني بحبها (مجموعة قصصية)	الأستاذ عبد الله بوقس
• نقر العصافير (ديوان شعر)	الأستاذ أحمد قنديل
• التاريخ العربي وبدايته (الطبعة الثانية)	الأستاذ أمين مدني
• المجاز بين اليمامة والحجاز (الطبعة الثانية)	الأستاذ عبد الله بن خميس
• تاريخ الكعبة المعظمة (الطبعة الثانية)	الشيخ حسين عبد الله باسلامة
• خواطر جريئة	الأستاذ حسن بن عبد الله آل الشيخ
• السنيورة (قصة طويلة)	الدكتور عصام خوقير
• رسائل إلى ابن بطوطة (ديوان شعر)	الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي
• جسور إلى القمة (تراجم)	الأستاذ عزيز ضياء
• تأملات في دروب الحق والباطل	الشيخ عبد الله عبد الغني خياط
• الحمى (ديوان شعر)	الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي
• قضايا ومشكلات لغوية	الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار
• ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة	الأستاذ محمد علي مغربي
• زيد الخير	الأستاذ عبد العزيز الرفاعي
• الشوق إليك (مسرحية شعرية)	الأستاذ حسين عبد الله سراج
• كلمة ونصف	الأستاذ محمد حسين زيدان
• شيء من الحصاد	الأستاذ حامد حسن مطاوع
• أصداء قلم	الأستاذ محمود عارف
• قضايا سياسية معاصرة	الدكتور فؤاد عبدالسلام الفارسي
• نشأة وتطور الإذاعة في المجتمع السعودي	الأستاذ بدر أحمد كريم
• الإعلام موقف	الدكتور محمود محمد سفر
• الجنس الناعم في ظل الإسلام	الشيخ سعيد عبدالعزيز الجندول
• ألحان مغترب (ديوان شعر)	الأستاذ طاهر زمخشري
• غرام ولادة (مسرحية شعرية)	الأستاذ حسين عبد الله سراج
• سير وتراجم	الأستاذ عمر عبدالجبار
• الموزون والمخزون	الشيخ أبو تراب الظاهري

لام الأقلام		الشيخ أبو تراب الظاهري
قاد من الغرب		الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي
حوار.. في الحزن الدافيء		الأستاذ عبدالله عبدالرحمن جفري
صحة الأسرة		الدكتور زهير أحمد السباعي
سباعيات	(الجزء الثاني)	الأستاذ احمد السباعي
خلافة أبي بكر الصديق		الشيخ حسين عبد الله باسلامة
البترول والمستقبل العربي		الأستاذ عبدالعزيز مؤمنة
إليها	(ديوان شعر)	الأستاذ حسين عبد الله سراج
من حديث الكتب	(ثلاثة أجزاء)	الأستاذ محمد سعيد العامودي
أيامي		الأستاذ أحمد السباعي
التعليم في المملكة العربية السعودية		الأستاذ عبد الوهاب عبد الواسع

تحت الطبع :

حتى لا نفقد الذاكرة		الأستاذ سعد البواردي
أحاديث وقضايا إنسانية		الدكتور عبد الرحمن بن حسن النفيسة
تاريخ القضاء في المملكة العربية السعودية		الأستاذ حسن بن عبد الله آل الشيخ
معجم اللهجة المحلية في منطقة جازان		الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي
الإسلام في نظر أعلام الغرب		الشيخ حسين عبد الله باسلامة
قصص من طاغور	(ترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
ماما زبيدة	(مجموعة قصصية)	الأستاذ عزيز ضياء
مدارسنا والتربية		الأستاذ عبد الوهاب عبد الواسع
عام ١٩٨٤ لجورج أورويل	(قصة مترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
موجز النقد عند العرب		الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي
هكذا علمني ورد زورث		الأستاذ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري
وحي الصحراء		الأستاذ عبد الله بلخير الأستاذ محمد سعيد عبدالمقصود خوجه
الطاقة نظرة شاملة		الدكتور عبدالهادي طاهر
عبير الأبابيل	(ديوان شعر)	الأستاذ إبراهيم هاشم فلالي
عمر بن أبي ربيعة		الأستاذ إبراهيم هاشم فلالي
رجالات الحجاز	(تراجم)	الأستاذ إبراهيم هاشم فلالي
رق في القرآن		الأستاذ إبراهيم هاشم فلالي
مقالات عبد الله عبد الجبار		الأستاذ عبدالله عبدالجبار
بعث		الأستاذ محمد علي مغربي
صحة ظمأى	(ديوان شعر)	الدكتور أسامة عبدالرحمن
عزة ودفاع		الشيخ سعيد عبد العزيز الجندول
إليكم شباب الأمة		الشيخ سعيد عبد العزيز الجندول
لن تلحد		الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري

• التنمية قضية	الطبعة الثانية	الدكتور محمود محمد سفر
• قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا	الطبعة الثانية	الدكتور سليمان بن محمد الغنام
• غداً أنسى (قصة طويلة)	الطبعة الثانية	الدكتورة أمل محمد شطا
• تاريخ عمارة المسجد الحرام	الطبعة الثانية	الشيخ حسين باسلامة
• خالتي كدرجان (مجموعة قصصية)	الطبعة الثانية	الأستاذ أحمد السباعي
• الحضارة تحد	الطبعة الثانية	الدكتور محمود محمد سفر
• الجبل الذي صار سهلا	الطبعة الثانية	الأستاذ أحمد قنديل

سلسلة :

الكتاب الجامعي

صدر منها :

• الإدارة : دراسة تحليلية للوظائف والقرارات الإدارية	الدكتور مدني عبد القادر علاقي
• الجراحة المتقدمة في سرطان الرأس والعنق (باللغة الإنجليزية)	الدكتور فؤاد زهران الدكتور عدنان جمجوم الدكتور محمد عيد
• النمو من الطفولة إلى المراهقة	الدكتور محمد جميل منصور الدكتور فاروق سيد عبد السلام
• الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا	الدكتور عبد المنعم رسلان
• النفط العربي وصناعة تكريره	الدكتور أحمد رمضان شقليه
• الملامح الجغرافية لدروب الحجيج	الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
• علاقة الآباء بالأبناء (دراسة فقهية)	الدكتورة سعاد إبراهيم صالح
• مباديء القانون لرجال الأعمال	الدكتور محمد إبراهيم أبو العينين
• الاتجاهات العددية والنوعية للدوريات السعودية	الأستاذ هاشم عبده هاشم
• قراءات في مشكلات الطفولة	الدكتور محمد جميل منصور
• شعراء التروبادور (ترجمة)	الدكتورة مريم البغدادي
• الفكر التربوي في رعاية الموهوبين	الدكتور لطفي بركات أحمد
• النظرية النسبية	الدكتور عبد الرحمن فكري الدكتور محمد عبد الهادي كامل
• أمراض الأذن والأنف والحنجرة (باللغة الإنجليزية)	الدكتور أمين عبد الله سراج الدكتور سراج مصطفى زقزوق
• المدخل في دراسة الأدب	الدكتورة مريم البغدادي
• الرعاية التربوية للمكفوفين	الدكتور لطفي بركات أحمد
• أضواء على نظام الأسرة في الإسلام	الدكتورة سعاد إبراهيم صالح
• الوحدات النقدية المملوكية	الدكتور سامح عبدالرحمن فهمي
• الأدب المقارن (دراسة في العلاقة بين الأدب العربي والآداب الأوروبية)	الدكتور عبد الوهاب على الحكمى

تحت الطبع :

• هندسة النظام الكوني في القرآن	الدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر
• تاريخ طب الأطفال عند العرب	الدكتور محمود الحاج قاسم
• المنظ[illegible]	



صدر منها :

العنوان	ملاحظة	المؤلف
• حارس الفندق القديم	(مجموعة قصصية)	الأستاذ صالح إبراهيم
• دراسة نقدية لفكر زكي مبارك	(باللغة الإنجليزية)	الدكتور محمود الشهابي
• التخلف الاملائي		الأستاذة نوال عبد المنعم قاضي
• ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودية		إعداد إدارة النشر
• ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودية	(باللغة الإنجليزية)	
• تسالي	(من الشعر الشعبي) (الطبعة الثانية)	الدكتور حسن يوسف نصيف
• كتاب مجلة الأحكام الشرعية على مذهب الإمام أحمد بن حنبل الشيباني	(دراسة وتحقيق)	الشيخ أحمد بن عبد الله القاري الدكتور عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان الدكتور محمد إبراهيم أحمد علي
• النفس الإنسانية في القرآن الكريم		الأستاذ إبراهيم سرسيق
• واقع التعليم في المملكة العربية السعودية	(باللغة الإنجليزية) (الطبعة الثانية)	الدكتور عبد الله محمد الزيد
• صحة العائلة في بلد عربي متطور	(باللغة الإنجليزية)	الدكتور زهير أحمد السباعي
• مساء يوم في آذار	(مجموعة قصصية)	الأستاذ محمد منصور الشقحاء
• النبش في جرح قديم	(مجموعة قصصية)	الأستاذ السيد عبد الرؤوف
• الرياضة عند العرب في الجاهلية وصدر الإسلام		الدكتور محمد أمين ساعاتي
• الاستراتيجية النفطية ودول الأوبك		الأستاذ أحمد محمد طاشكندي
• الدليل الأبجدي فى شرح نظام العمل السعودي		الدكتور عاطف فخري
• رعب على ضفاف بحيرة جنيف		الأستاذ شكيب الأموي
• العقل لا يكفي	(مجموعة قصصية)	الأستاذ محمد على الشيخ
• أيام مبعثرة	(مجموعة قصصية)	الأستاذ فؤاد عنقاوي
• مواسم الشمس المقبلة	(مجموعة قصصية)	الأستاذ محمد علي قدس
• ماذا تعرف عن الأمراض ؟		الدكتور إسماعيل الهلباوي
• جهاز الكلية الصناعية		الدكتور عبد الوهاب عبد الرحمن مظهر
• القرآن .. وبناء الإنسان		الأستاذ صلاح البكري
• اعترافات أدبائنا في سيرهم الذاتية		الأستاذ علي عبده بركات
• الطب النفسي معناه وأبعاده		الدكتور محمد محمد خليل
• الزمن الذي مضى	(مجموعة قصصية)	الاستاذ صالح إبراهيم
• مجموعة الخضراء	(دواوين شعر)	الأستاذ طاهر زمخشري
• خطوط وكلمات (رسوم كاريكاتورية)	(الطبعة الثانية)	الأستاذ علي الخرجي
• ديوان السلطانيين		الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي
• الإمكانات النووية للعرب وإسرائيل		الدكتور صدقة يحيى مستعجل

- رحلة الربيع — الأستاذ فؤاد شاكر
- وللخوف عيون (مجموعة قصصية) — الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
- البحث عن بداية (مجموعة قصصية) — الأستاذ جواد صيداوي

تحت الطبع :

- قراءات في التربية وعلم النفس — الأستاذ فخري حسين عزّي / الدكتور لطفي بركات أحمد
- الموت والابتسامة (مجموعة قصصية) — الأستاذ عبد الله أحمد باقازي
- الوحدة الموضوعية في سورة يوسف — الدكتور حسن محمد باجودة
- الأسر القرشية .. أعيان مكة المحمية — الأستاذ أبو هشام عبد الله عباس بن صديق
- الحجاز واليمن في العصر الأيوبي — الدكتور جميل حرب محمود حسين
- ملامح وأفكار — الاستاذ أحمد شريف الرفاعي
- المذاهب الأدبية في شعر الجنوب — الدكتور علي علي مصطفى صبح
- النظرية الخلقية عند ابن تيمية — الدكتور محمد عبدالله عفيفي
- الكشاف الجامع لمجلة المنهل — الأستاذ عبدالله سالم القحطاني
- ديوان حام — الأستاذ محمد مصطفى حام
- رحلة الأندلس — الدكتور حسين مؤنس
- فجر الأندلس — الدكتور حسين مؤنس
- الماء ومسيرة التنمية — الأستاذ مصطفى نوري عثمان

رسائل جامعية

صدر منها :

- صناعة النقل البحري والتنمية في المملكة العربية السعودية (باللغة الإنجليزية) — الدكتور بهاء حسين عزي
- الخراسانيون ودورهم السياسي — الأستاذة ثريا حافظ عرفة
- الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت — الأستاذة موضي بنت منصور ابن عبدالعزيز آل سعود
- العثمانيون والإمام القاسم بن على في اليمن — الأستاذة أميرة على المداح
- القصة في أدب الجاحظ — الأستاذ عبد الله باقازي
- تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف — الأستاذة فوزية حسين مطر
- النظرية التربوية الإسلامية — الأستاذة آمال حمزة المرزوقي
- نظام الحسبة في العراق .. حتى عصر المأمون — الأستاذ رشاد عباس معتوق
- المقصد العلي في زوائد أبي يعلي الموصلي (تحقيق ودراسة) — دكتور نايف بن هاشم الدعيس
- الجانب التطبيقي في التربية الإسلامية — الأستاذة ليلى عبد الرشيد عطار
- الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية

تحت الطبع :

- الأستاذ نبيل عبد الحي رضوان
- دور المياه الجوفية في مشروعات الري والصرف بمنطقة الإحساء بالمملكة العربية السعودية (باللغة الإنجليزية) — الدكتور فايز عبد الحميد طيب

- العقوبات التفويضية وحكمة تشريعها في ضوء الكتاب والسنة — الدكتور مطيع الله دخيل الله اللهيبي
- العقوبات المقدرة وحكمة تشريعها في ضوء الكتاب والسنة — الدكتور مطيع الله دخيل الله اللهيبي
- دراسة أثنوغرافية لمنطقة الإحساء (باللغة الإنجليزية) — الدكتور فايز عبد الحميد طيب
- أساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام — الأستاذة فتحية عمر رفاعي الحلواني
- افتراءات فيليب حتى .. وبروكلمان على التاريخ الإسلامي — الأستاذ عبد الكريم علي باز
- الطلب على الإسكان من حيث الاستهلاك والاستثمار — الدكتور فاروق صالح الخطيب
- الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة في صدر الإسلام — الأستاذة نورة عبدالملك آل الشيخ
- تقييم النمو الجسماني والنشوء — الدكتورة ظلال محمود رضا

كتاب الناشئين

صدر منها :

سلسلة : وطني الحبيب

- جدة القديمة — الأستاذ يعقوب محمد اسحاق
- جدة الحديثة — الأستاذ يعقوب محمد اسحاق
- الديك المغرور والفلاح وحماره — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- الطاقية العجيبة — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- الزهرة والفراشة — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- سلمان وسليمان — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- زهور البابونج — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- اليد السفلى — الدكتور محمد عبده يماني، إعداد الأستاذ يعقوب محمد اسحاق

سلسلة حكايات ألف ليلة وليلة

- السندباد والبحر — اعداد الأستاذ يعقوب محمد اسحاق

تحت الطبع :

- سنبلة القمح وشجرة الزيتون — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- نظيمة وغنيمة — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- جزيرة السعادة — الأستاذة فريدة محمد على فارسي



صدر منها :

• الصرصور والنملة	الأستاذ عمار بلغيث
• السمكات الثلاث	الأستاذ عمار بلغيث
• النخلة الطيبة	الأستاذ اسماعيل دياب
• الكتكوت المتشرد	الأستاذ عمار بلغيث
• المظهر الخادع	الأستاذ عمار بلغيث
• بطوط وكتكت	الأستاذ اسماعيل دياب

مجموعة : لكل حيوان قصة — للأستاذ يعقوب محمد اسحاق

• القرد • الكلب • السلحفاء • الأسد • الحمار الأهلي • الفرس • الغزال • الوعل • الضفد
• الضب • الغراب • الجمل • البغل • الفراشة • الدجاج • الحمار الوحشي • الجاموس • الدب
• الثعلب • الأرنب • الذئب • الفأر • الخروف • البط • الببغاء • الحمامة • الخرتي

تحت الطبع

• الكنغـر • الهدهـد • البـوم • البجـع
• التمسـاح • فرس النهر • الخفـاش • النعـام

مجموعة: حكايات كليلة ودمنه — إعداد : الأستاذ يعقوب محمد اسحاق

• عندما أصبح القرد نجارا • أسد غررت به أرنب
• الغراب يهزم الثعبان • المكاءالتي خدعت السمكات

تحت الطبع

• لقد صدق الجمل • سمكة ضيعها الكسل
• الكلمة التي قتلت صاحبها • قاض يحرق شجرة كاذبة

مجموعة: التربية الإسلامية — للأستاذ يعقوب محمد اسحاق

• الله أكبر • الصلاة • صلاة العيدين • صلاة المسبوق • الشهادتـان • التيـمم
• قد قامت الصلاة • الاستخارة • صلاة الجمعة • أركان الاسلام • الوضـوء
• صلاة الاستسقاء • صلاة الجنازة • صلاة الكسوف والخسوف

مجموعة: حكايات للأطفال — نقلها إلى العربية الأستاذ عزيز ضياء

• سعاد لا تعرف الساعة • ضيوف نار الزينة
• الحصان الذى فقد ذيله • الضفدع العجوز والعنكبوت
• تورتة الفراولة

كتب صدرت باللغة الانجليزية

Books Published in English by Tihama

- Surgery of Advanced Cancer of Head and Neck.

  By: F. M. Zahran
  A.M.R. Jamjoom
  M.D. EED

- Zaki Mubarak: A Critical Study.

  By Dr. Mahmud Al Shihabi

- Summary of Saudi Arabian
  Third Five year Development Plan

- Education in Saudi Arabia, A Model with Difference Second Edition
  By Dr. Abdulla Mohamed Al-Zaid.

- The Health of the Family in A Changing Arabia
  By Dr. Zohair A. Sebai

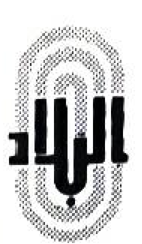
- Diseases of Ear, Nose and Throat

  By: Dr. Amin A. Siraj
  Dr. Siraj A. Zakzouk

- Shipping and Development in Saudi Arabia
  By Dr. Baha Bin Hussein Azzee

- Tihama Economic Directory.
- Riyadh Citiguide.
- Banking and Investment in Saudi Arabia.
- A Guide to Hotels in Saudi Arabia.
- Who's Who in Saudi Arabia.





طبعت بمطابع دار البلاد

جدة ـ ص . ب : ٧٦١٤

ت : ٦٧١٦٤٦٦ خمسة خطوط

هذا الكتاب

هذا واحد من الكتب التاريخية الهامة للكاتب الإسلامي الكبير المرحوم حسين عبد الله باسلامه .. وفيه يسجل مرحلة من التاريخ الإسلامي، هي القدوة بقياداتها، والحكيمة بسياساتها، والمظفرة بانتصاراتها.

وتهامة للنشر والمكتبات تقدم هذا الكتاب لكونه واحداً من الكتب القليلة التي تؤرخ لعصر أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي شهد انتشار الإسلام في أرجاء الجزيرة العربية، والعراق، والشام، بفضل الله سبحانه وتعالى، ثم بقوة إرادته رضي الله عنه .. وقد قال في حقه أبو هريرة: «والذي لا إله إلا هو لولا أن أبا بكر استخلف ما عُبِدَ الله».

ومهما قيل أو سيقال عن أبي بكر .. فإن أحداً من البشر لن يستطيع أن يوفيه أجره، وهو الذي قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم: «ما طلعت شمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر» .. فأجره عند الله سبحانه وتعالى وهو خير الحاسبين ..

تهامة للنشر والمكتبات

نبذة وافية عن حياة المؤلف في كتابه «عمارة المسجد الحرام» من سلسلة الكتاب العربي السعودي رقم ١٦